حقيقة خالدة

شهادت ذوي ضحايا ومفقودي مجزرة الشعيطات حتى لا يُقتلوا مرتين

"في 9 آب/أغسطس 2014، قرر أحمد وإخوته الثلاثة: محمد، سليمان، وخليل، البقاء في منزل العائلة في الكشكية، رغم أن أقاربهم قد نزحوا، اعتقدوا أن المدنيين لن يكونوا مستهدفين من قبل تنظيم داعش، لكن في ساعات متأخرة من الليل، اقتحمت مجموعة من عناصر التنظيم منزلهم، وقامت بتصفيتهم نحراً بالسكاكين دون رحمة، وبحسب شهادة عمهم، الذي كان مختبئاً في المنزل نفسه، فإن خليل وصل لاحقاً إلى المنزل للاطمئنان على إخوته، لكنه قُتل بالطريقة نفسها على يد أحد عناصر التنظيم، في اليوم التالي، تسلل أبناء عمومتهم ليلاً ودفنوا الإخوة الأربعة في الأرض الزراعية التابعة للعائلة في قبر واحد"

يوليو-2025

حول منظمة سنابل الفرات:

منظمة سنابل الفرات هي منظمة غير حكومية وغير ربحية، تأسست بهدف إحداث تغيير جذري ومستدام في المجتمعات السورية، من خلال معالجة التحديات الهيكلية والاجتماعية التي تعيق التمكين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للنساء والشباب، تعمل المنظمة على تطوير برامج تنموية مبتكرة تعزز سبل العيش، تدعم التماسك الاجتماعي، وتُرسّخ مبادئ المساواة بين الجنسين، مع التركيز على بناء قدرات الأفراد والمجتمعات لتولي أدوار قيادية في جهود التنمية والتحول السياسي، وتسعى المنظمة إلى بناء مجتمع سوري شامل يكرّس قيم العدالة والمواطنة، ويضمن مشاركة فعالة للشباب والنساء في الحياة العامة والسياسية. وتعمل كجسر يربط بين احتياجات المجتمع المحلي وأهداف التنمية المستدامة عبر مبادرات تستند إلى الابتكار، الشفافية، والمشاركة المجتمعية.

منظمة سنابل الفرات
Sanabel AL-Furat
Organization

حول الدليل:

تم إنجاز هذا الدليل من قبل منظمة سنابل الفرات بتمويل من منظمة سوريون من أجل الحقيقية والعدالة (STJ) ضمن مشروع حقيقية خالدة- دير الزور، الشعيطات.

سوريون من أجل الحقيقة والعدالة
Syrians For Truth & Justice

تم إعداد منهجية التوثيق القصصي وإعداد الدليل النهائي من قبل:

حسن خلف الحسين: خبير في الأبحاث والحوكمة وتطوير سياسات المنظمات غير الحكومية وغير الهادفة للربح، ومؤسس لمجتمع المعرفة المدنية- سنجاب وهي مؤسسة مدنية تعمل على المساهمة الفاعلة والمُجدية في تفعيل وإنماء المساحات المدنية، وصون وحماية الفضاء المدني، وتمكين وبناء قدرات الفاعلين/ات ومبادراتهم/ن وشبكاتهم/ن والمدافعة عن حقوق الإنسان وقضايا الفئات الأشد ضعفاً في المجتمعات المحلية، كما أن حسن ناشط مدني متمرس في العمل على أبحاث التنمية وتدريب الباحثين/ات الشباب، وتطوير آليات وأدوات تعزيز الديمقراطية التشاركية وحوكمة البنى المجتمعية وغير الحكومية، ويمتلك خبرات متقدمة في تصميم وإدارة وتطوير البرامج والمشاريع التنموية، وتعزيز التنظيم المجتمعي والحوكمة الرشيدة.

مقدمة الدليل:

في صيف عام 2014، اجتاحت منطقة الشعيطات في ريف دير الزور الشرقي موجةٌ غير مسبوقة من العنف المنهجي، نفذها تنظيم داعش ضمن حملة مركّزة استهدفت المدنيين من أبناء قبيلة الشعيطات، وعلى مدار أسابيع، قُتل مئات الأشخاص بدمٍ بارد، واختفى المئات دون أثر، وسُجّلت حالات إعدام جماعي، وجرائم اعتقال تعسفي، وإخفاء قسري، وتشريد قسري لعائلات بأكملها، كانت تلك المجزرة واحدة من أكثر الفصول دموية في تاريخ الصراع السوري، لكنها لم تنل ما تستحقه من تسليط الضوء أو المحاسبة حتى اليوم.

"حقيقة خالدة" ليس مجرد دليل توثيقي، بل محاولة جادة لإعادة بناء سردية قائمة على الحقائق، تُستقى من لُبّ المأساة ومن أفواه ذوي الضحايا والمفقودين أنفسهم، لنعيد عبر هذا الدليل ترتيب الأحداث من خلال شهادات حية، نرصد فيها التحولات التي مرّت بها العائلات، ليس في لحظة الفقد فقط، بل في سنوات الغياب التالية، حيث الألم متواصل، والعدالة غائبة، والذاكرة وحدها تقاوم النسيان.

يتضمن هذا الدليل مجموعة من القصص الشخصية التي تم جمعها وتوثيقها بدقة، تروي كيف عاش الضحايا، وكيف غابوا، وماذا ترك غيابهم من أثر في نفوس أسرهم ومجتمعاتهم، ولا نعرضها كحالات معزولة، بل كجزء من جريمة ممنهجة، ارتُكبت في سياق يُرجّح أنه يرقى إلى مستوى الجريمة ضد الإنسانية، ونأمل أن يُسهم هذا الدليل في تحفيز الجهات القضائية والحقوقية الوطنية والدولية لفتح ملفات المحاسبة، والضغط من أجل كشف مصير المفقودين، وتحقيق العدالة لعائلات لم تعد تطلب أكثر من الاعتراف، والمحاسبة، وجبر الضرر، لأننا نؤمن أن القصص لا تموت إذا كُتبت بصدق، وأن الذاكرة هي أول خطوات العدالة، نضع بين أيديكم هذا العمل، كشهادةً حيّة على ما حدث، ليكون صوتاً لمن لا صوت لهم.

أهمية الدليل:

تنبع أهمية هذا الدليل من كونه يوثق واحدة من أكثر الجرائم الجماعية المنسية في تاريخ النزاع السوري، ويعيد الاعتبار لضحايا مجزرة الشعيطات عبر رواية قصصهم بأسمائهم، وحياتهم، وأحلامهم التي قُطعت قسراً، وفي ظل غياب التحقيقات الرسمية، وانعدام المساءلة، وتحول الضحايا إلى أرقام في تقارير موجزة، يأتي هذا العمل ليسدّ فراغاً توثيقياً وحقوقياً صارخاً، ويُسهم في حفظ ذاكرة جماعية مهددة بالتجاهل والنسيان.

كما يُعدّ الدليل أداة مرجعية للمؤسسات الحقوقية، والجهات القانونية، ووسائل الإعلام، والباحثين في مجالات العدالة الانتقالية، والعدالة الجنائية الدولية، إذ يحتوي على شهادات دقيقة وسرديات موثقة يمكن البناء عليها في أي مسار قضائي مستقبلي، سواء أمام محاكم وطنية أو دولية، أو ضمن آليات المساءلة البديلة، كما يحمل الدليل أهمية اجتماعية ونفسية بالغة؛ إذ يمنح ذوي الضحايا فرصة لقول الحقيقة بأصواتهم، في مساحة تحفظ كرامتهم، وتعترف بمعاناتهم، وتُشرّع الباب لمطلبهم بالعدالة، لا بوصفه رد فعل عاطفي، بل كحق قانوني وأخلاقي لا يسقط بالتقادم، ومن خلال إبراز أثر الجريمة على العائلات والمجتمع المحلي، يرسّخ الدليل أيضاً أهمية توثيق الانتهاكات من منظور إنساني شامل، لا يكتفي برصد الحدث، بل يعيد بناء السياق، ويركّز على ما بعد الجريمة: على الصمت، والفقد، والعيش في ظل غياب العدالة.

القصة 1: ياسين محل العلي

ياسين محل العلي، شاب سوري في مُقتبل العمر، لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره حين اغتالته يد الغدر، متزوج وأب لطفلة صغيرة، كان يترقب بفارغ الصبر ولادة ابنه الثاني، حلمه الكبير الذي كان يرى فيه امتداداً لحياته وفرحته التي لم تكتمل، يعيش في بلدة الكشكية ويعمل نجّاراً بارعاً إلى جانب والده، واضعاً كل مهارته وحبه في تفاصيل مهنته، كان شاباً يحمل بين ضلوعه شغفاً بالحياة وشعوراً عميقاً بالمسؤولية تجاه أسرته الصغيرة.

عُرف ياسين بين أهله وأصدقائه بشغفه بالحياة والتزامه تجاه عائلته، كان رغم طبيعته العصبية أحياناً، يملك قلباً كبيراً، يسارع إلى الاعتذار حين يخطئ، ويرى في العائلة الحصن الذي لا يُفرّط به، في ورشة النجارة، كان يحول الخشب إلى تحف، وفي بيته، كان ينسج الأحلام حول ابنه القادم، متخيلاً لحظة احتضانه له للمرة الأولى، عاش أيامه بجد واجتهاد، حالماً بمستقبلٍ كريم يصنعه بيديه، مستقبل يُربّي فيه أبناءه على ما تربى عليه من قيم وكرامة.

في 12 أغسطس 2014 ومع تصاعد تهديد تنظيم داعش، اضطرت عائلة ياسين إلى النزوح إلى بلدة البحرة، آملين بالنجاة من الخطر الداهم، لكن الأمان لم يدم طويلاً، ففي الثاني عشر من ذلك الشهر، اقتحمت دورية تابعة للتنظيم مكوّنة من نحو 200 عنصر البلدة، وداهمت منازل العائلات، تم اقتياد الرجال، ومن بينهم ياسين، أمام أعين الأمهات والأطفال، وتمت تصفيتهم بدم بارد، لم تمنحهم لحظة وداع، ولم تُمهلهم فرصة للنجاة، كانت مجزرة مكشوفة، تقشعرّ لها الذاكرة قبل الجسد، لتُكتب بذلك واحدة من أحلك صفحات الألم في تاريخ المنطقة.

لم تبحث العائلة عن ياسين... لأنها شهدت مقتله أمام أعينها، المأساة لم تُخفِ شيئاً، لم تكن هناك إشاعات أو أمل زائف، وحدها الحقيقة القاسية كانت حاضرة بكل وضوح، بعد الجريمة، لم يهبّ أحد لمساعدتهم، بل تكفل بعض شباب البلدة، ليلاً، بدفن الجثث خفية، مخاطرين بحياتهم لإكرام الشهداء، لم تُسجل القضية رسمياً، ولم تُفتح أي تحقيقات، وحده الخوف بقي حاضراً، والوحدة، والوجع المتوارث.

شكل غياب ياسين صدمة نفسية ومادية قاسية لأسرته، كان المعيل الوحيد، وركيزة الاستقرار، أصيبت والدته وزوجته بأزمات صحية ونوبات هلع بسبب ما شهدته أعينهما، وتدهور حال الأسرة بعد فقده، ما تزال غرفة زفافه على حالها، وكأنها تنتظره ليعود، ضاقت الأحوال، واضطروا لبيع دراجته النارية – مصدر رزقه – لتأمين الاحتياجات الأساسية، تولى أحد إخوته رعاية أطفاله في محاولة لملء الفراغ الهائل، لكن الحزن لم يبرح القلوب، ولا زالت العائلة تحيا على ذكراه، وتكافح يوماً بعد يوم لتجاوز خسارتها.

تحمل العائلة في صدرها ناراً لا تنطفئ، وحقاً لم يُردّ، مطلبهم الأول يتمثل في محاسبة الجناة، لا انتقاماً أعمى، بل استعادة للعدالة التي سُلبت منهم، لم تُخطر أي جهة حقوقية أو قانونية سوى لجنة التوثيق، ولم يتلقوا دعماً من أي منظمة، ومع ذلك، فإنهم مستعدون للمثول أمام أي محكمة دولية أو وطنية ليرووا قصتهم، مطالبين بالقصاص وإنصاف الضحايا، بالنسبة لهم، نشر القصة ليس مجرد توثيق للألم، بل صرخة في وجه الصمت، ونداء للعالم بأن لا يطوي هذه المأساة في النسيان، إنهم يؤمنون أن في العدالة حياةً، وأن في الاعتراف بالمجزرة بداية لشفاء طويل، تأخر كثيراً لكنه لا يزال ممكناً.

القصة 2: عبد الرحمن حمد المحمد

عبد الرحمن حمد المحمد، شاب في العشرين من عمره، من أبناء مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، يعمل مع والده في بيع أسطوانات الغاز في محل صغير قرب الجامع الكبير، وكان من أعمدة أسرته الكبيرة، يساند والده في إعالة العائلة وتغطية مصاريفهم المتزايدة، يحمل عبد الرحمن شخصية محبوبة في منطقته، شهم، شجاع، وصاحب روح قيادية نادرة، عُرف بين أقرانه بوقوفه إلى جانب الضعفاء، حتى لو كان ذلك على حساب أبناء قريته، كما فعل يوم دافع عن نازح مظلوم دون تردد.

كان عبد الرحمن يعيش حياة بسيطة مليئة بالكد والعمل، يساعد والده في المحل، ويشارك في تحمّل أعباء العائلة الكبيرة، وعلى الرغم من صغر سنه، كان يتحمل مسؤولية تفوق عمره، ويعيش بمبادئ الشهامة والعدالة التي تربّى عليها، كان في مرحلة التحضير للزواج من خطيبته التي كان يحبها بصدق، ينتظر معها يوم الزفاف بفارغ الصبر، لكن الحلم توقّف عند لحظة، وسبقهم القدر إلى خاتمة لم يتوقعها أحد.

في العشرين من أغسطس 2014، وبعد أن نزحت عائلة عبد الرحمن إلى بلدة البحرة هرباً من الحرب واجتياح تنظيم داعش، داهم عناصر التنظيم المنزل الذي كانوا فيه، واعتقلوا عبد الرحمن دون سابق إنذار، اقتيد إلى مصير مجهول، دون أن يُعرف له أثر بعدها، ومنذ تلك اللحظة، لم تسمع العائلة عنه أي خبر موثوق، وبقي مصيره طي الغياب.

منذ الأيام الأولى لاعتقاله، بدأت العائلة البحث عن عبد الرحمن، مدفوعة بأمل أمه الكبير في رؤيته حياً، تواصلوا مع ناجين، وأهالي مفقودين، وزاروا كل مقبرة جماعية سمعوا عنها، مهما كان موقعها، في محاولة يائسة لتحديد مصيره، لم يقدموا بلاغاً رسمياً أثناء سيطرة داعش بسبب الخوف، لكن بعد رحيل التنظيم، سعوا خلف الجهات الفاعلة، دون جدوى، ولأن مصير المعتقلين بقي طي الكتمان، كانت العائلة تتعرض لحالات نصب وابتزاز ممن يزعمون امتلاك معلومات عنه، فدفعوا المال مرات كثيرة مقابل وعود كاذبة.

شكل فقدان عبد الرحمن ضربة قاسية للعائلة، ليس فقط لأنه أحد معيلَيها الأساسيين، بل لأنه كان حاضراً في تفاصيلهم اليومية، سنداً ورفيقاً ومصدر أمل، وبعد غيابه، عاشت العائلة في حالة من الذهول والترقب المستمر، وتفاقم التوتر داخل البيت، وتدهورت صحة والدته التي أنهكها القلق، خصوصاً مع سماعها المستمر لقصص التعذيب والقتل في معتقلات داعش، ورغم الفقر الذي تعانيه العائلة، لم تفرّط في أي شيء من ممتلكاته، وظلت تحتفظ بأغراضه كما لو أنه سيعود غداً

تتمسك عائلة عبد الرحمن بحقها في معرفة مصير ابنها أولاً، وتطالب بالعدالة لكل المفقودين، وهم مستعدون للمشاركة في أي مسار قانوني يمكن أن يفتح أبواب الحقيقة، ويضع حداً لهذا الانتظار القاتل، وتطالب العائلة بدعم مادي ونفسي، ليس لها فقط، بل لجميع الأسر التي ما زالت تنتظر أبناءها المفقودين، وترى العائلة أن معرفة مصير عبد الرحمن ومحاكمة المسؤولين تمثل الشكل الأوضح للعدالة، ولا تزال تؤمن – رغم خيبة الأمل المتكررة – أن العدالة ممكنة، إن توفرت الإرادة والشفافية، وإن وُضع حد للصمت، وهي تؤكد أن نشر هذه القصص ضرورة، ليس فقط لإحياء الذاكرة، بل لإبقاء القضية حيّة، حتى لا ينجو الجناة من المحاسبة.

القصة 3: منير حمد حسين الصالح

منير حمد حسين الصالح، معلم سوري في منتصف العمر من أبناء بلدة الكشكية، كان يؤدي رسالته التعليمية بكل إخلاص، حاملاً في قلبه حب المعرفة وروح المسؤولية، متزوج وأب لأربعة أبناء – ثلاثة ذكور وبنت – عاش حياة متواضعة بدخل محدود، لكنه كان غنياً بسمعته الطيبة وأخلاقه النبيلة.

قبل المجزرة، كان الأستاذ منير يعيش حياة بسيطة ومستقرة، يمارس مهنته في إحدى مدارس الكشكية بشغف وحب، لم يكن التعليم بالنسبة له مجرد وظيفة، بل رسالة إنسانية كان يؤديها بكل تفانٍ، مؤمناً بدوره في تنشئة جيل يحب وطنه ويخاف الله، عرفه الجميع بخدمته للناس واستعداده الدائم لتقديم العون، مهما كانت ظروفه، كان حلمه الأكبر أن يربي أبناءه تربية صالحة، وأن يراهم يكبرون أمام عينيه في بيئة آمنة، كان يحلم بحياة هادئة معهم، مليئة بالرضا والاستقرار.

مع اشتداد بطش تنظيم داعش في صيف 2014، نزح منير مع عائلته إلى بلدة البحرة المجاورة، هرباً من بطش التنظيم، على أمل أن يجد فيها ملاذاً آمناً، لكن الأمان كان قصير الأجل، ففي السادس عشر من أغسطس 2014، وبينما كان يعيش مع أسرته حالة من الاطمئنان المؤقت، داهمت مجموعة من عناصر داعش منزله، واقتادته دون توضيح، بعد ساعات من اعتقاله، أُعدم منير بطريقة وحشية بقطع رأسه، في واحدة من أبشع الجرائم التي عايشها أهالي المنطقة، وعثر عليه لاحقاً مقتولاً في مقبرة جماعية، جثة بلا رأس، وتعرفت عليه عائلته من خلال خاتم كان يرتديه.

لم تتمكن العائلة من البحث عن منير في الأيام الأولى لاختفائه، بسبب الصدمة وغياب أي معلومة، لكن مع مرور الوقت، بدأت رحلة مؤلمة من البحث عن الحقيقة، لم يتركوا مقبرة أو مكانًا إلا وذهبوا إليه، حتى وصلوا إلى جثته في إحدى المقابر الجماعية، تعرفوا عليه من خلال خاتمه، وقد وثّق عدد من الشهود الجريمة التي تعرّض لها.

غياب منير ترك جرحاً غائراً في قلب عائلته، كان المعيل الوحيد والسند الأكبر، ورحيله فجأة غيّر حياة الأسرة جذرياً، واجهت زوجته صدمة نفسية شديدة، عانت خلالها من نوبات هلع وحزن دائم، واضطرت لاحقاً إلى الخروج للعمل لمواجهة صعوبات الحياة وتوفير الحد الأدنى من الاستقرار لأبنائها، تدهور الوضع الاقتصادي للعائلة، فاضطرت لبيع أرض كان يملكها منير، فقط لتأمين احتياجات أبنائه الأساسية، وما تزال صوره معلقة على جدران البيت، يلجأ إليها أولاده كلما اشتاقوا إليه، كأنها النافذة الوحيدة التي تربطهم بوجوده.

ما تطلبه عائلة منير اليوم هو الاعتراف أولاً بمجزرة الشعيطات، وفتح الملف رسمياً في المحافل الحقوقية، لم تتمكن العائلة من التواصل مع أي جهة قانونية في وقت وقوع الجريمة بسبب سيطرة داعش، لكنهم اليوم مستعدون للمشاركة في أي مسار قانوني يُفضي إلى معرفة الحقيقة ومحاسبة المجرمين، هم يطالبون بجبر الضرر، ليس فقط عبر الدعم المادي والنفسي، بل عبر تحقيق العدالة الشاملة، يشعرون أن العالم نسي المجزرة، وأن قضيتهم تم تهميشها، لكنهم يؤمنون أن في نشر قصة منير وغيرها من القصص وسيلة لكسر الصمت، وإعادة الاعتبار للضحايا.

القصة 4: محل علي الرفيش

محل علي الرفيش، رجل من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، في الخمسين من عمره، ربّ عائلة كبيرة، متزوج من زوجتين، وأب لسبعة عشر ولداً وبنت واحدة، كان المعيل الوحيد لهم، يحمل عبء إعالتهم على كتفيه بكل صبر وإخلاص، يعمل في مجال النجارة، ويمتلك خشباً خاصاً به، يديره مع أبنائه ليؤمّن لقمة العيش، وكان وجيهاً في منطقته، وصاحب كلمة مسموعة، يلجأ إليه الناس لحل الخلافات.

في بلدته الكشكية، كان محل شخصية بارزة يُشار إليها بالبنان، معروف بهدوئه، وطيبته، واستعداده الدائم للمساعدة، لم يكن يوفّر جهدًا في سبيل خدمة منطقته وأهله، كان الخشب الذي يملكه مصدر رزقه، ومن خلاله كان يسدّ حاجات عائلته الكبيرة، كان يحلم بأن يزوّج أبناءه، يراهم يكبرون أمام عينيه، يختار لهم الزوجات ويشاركهم تسمية أحفاده، كان يرى في هذا الحلم امتداداً لحياته، ولكن كل هذه الأحلام اختُطفت معه في لحظة واحدة.

في الثاني عشر من أغسطس 2014، وبعد نزوحه إلى بلدة البحرة مع أفراد عائلته، ظنّ محل أن الأمان قد عاد إليهم، استأجر بيتًا يتسع للجميع، وبدأوا يحاولون التكيّف مع واقعهم الجديد بعيداً عن الحرب، لكن الطمأنينة لم تدم طويلًا، إذ داهمت مجموعة كبيرة من عناصر داعش منزلهم، واقتادت الرجال الموجودين، ومن بينهم محل، وأعدمتهم أمام أعين أسرهم المذهولة، كانت الجريمة قاسية، مروّعة، بلا رحمة ولا تفسير، وتركت في ذاكرة العائلة مشهداً لا يُمحى مدى الحياة.

لم يكن هناك حاجة للبحث، فقد شهدت العائلة الجريمة بأم أعينها، حيث تمّت تصفية محل مع مجموعة من أقاربه في الأيام الأولى من النزوح، ولم يبقَ مجال للأمل أو السؤال، لم تقدّم العائلة بلاغاً رسمياً، ولم تزر المقابر الجماعية، لأن الحقيقة كانت أمامهم، ولكن رغم ذلك، لم يستسلموا للخوف، بل أصروا على دفن الجثث، رغم تهديدات داعش الصريحة، وفي جنح الليل، تسلّلوا وسحبوا جثث الضحايا ودفنوهم سرًا، في مشهد مهيب مليء بالخوف والكرامة.

كان محل هو العمود الفقري لعائلته، المعيل الوحيد والموجّه الأول، بعد فقدانه، انقلبت حياة العائلة رأساً على عقب، ففي الأيام الأولى، عانت العائلة من فقر مدقع، فقدوا مصدر دخلهم الوحيد، واضطروا لبيع الخشب الذي كانوا يعملون به، إضافة إلى بيع سيارة الفقيد التي كانت وسيلة تنقلهم، ومع مرور الوقت، تحسّن وضعهم المعيشي قليلاً، لكن الحزن لم يفارقهم، ولا تزال الجريمة تطارد ذاكرتهم اليومية.

تطالب العائلة أولاً بالاعتراف الرسمي بمجزرة الشعيطات، كحق لا يمكن التنازل عنه، ثم تطالب بمحاكمة الجناة، ومعاقبتهم بما يليق بفداحة الجريمة، لم تتواصل العائلة مع أي جهة قانونية باستثناء لجنة التوثيق، لكنها مستعدة الآن للمشاركة في أي مسار قانوني يكشف الحقيقة ويوصل العدالة، وترى العائلة أن جبر الضرر يجب أن يشمل الدعم المادي والمعنوي، بالإضافة إلى الدعم النفسي، لهم ولجميع عائلات الضحايا، وبالنسبة لهم، شكل العدالة الذي يطمحون إليه يتمثّل في معرفة الحقيقة كاملة، وتحديد المسؤولين الحقيقيين، وتجريمهم علناً.

القصة 5: عيسى محمد الطعمة

عيسى محمد الطعمة، رجل من أبناء مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، عاش كغيره من رجال المنطقة معتمداً على الأرض كمصدر رزق وكرامة، عمره 42 عاماً، متزوج وأب لثمانية أطفال، أكبرهم لم يتجاوز العاشرة من عمره، عاش حياة بسيطة، يكدّ فيها ليؤمن لأطفاله ما يستطيع، ويمنحهم الأمان في بيئة كانت تتغير من حوله سريعاً.

كان عيسى فلاحاً بكل جوارحه، يزرع أرضه بيديه، ويرى فيها شرفاً وأماناً وأملاً، لم يكن عيسى فلاحاً صامتاً؛ كان شجاعاً، يملك حسًا عاليًا بالعدالة، كان عيسى أباً حاضراً، حلمه أن يربي أبناءه الثمانية على القيم التي آمن بها: الصدق، الشجاعة، العمل الشريف، لم يكن يطمح إلا لحياة كريمة لهم، يراهم يكبرون أمامه، يتعلمون، ويصبحون رجالاً ونساءً صالحين، كان يرى فيهم امتداداً له، تماماً كما كانت أرضه امتداداً لجهده وعطائه.

في صباح الحادي عشر من أغسطس 2014، قرر عيسى الرحيل مع أسرته عن مدينة غرانيج هرباً من بطش داعش، في الطريق، اعترضتهم دورية من داعش، أمروا الابن أن يكمل طريقه، بينما اقتادوا الأب بعيداً، دون أن يمنحوه فرصة للحديث أو الوداع، وفي اليوم نفسه، تم إعدام عيسى محمد الطعمة، بدم بارد، دون محاكمة أو تهمة، فقط لأنه كان يريد أن يحمي عائلته ويهرب بها من الموت، وهكذا، انتهت حياته كما عاشها: واقفاً، شجاعاً، محافظاً على كرامته حتى اللحظة الأخيرة.

في الأيام الأولى، لم تستسلم العائلة. بحثوا عن عيسى رغم الخوف، وسألوا هنا وهناك، وبعد أيام، وجد أحد أقاربه جثته مرمية على قارعة الطريق، بلا حياة، لم تُبلغ العائلة أي جهة، حملوه ودفنوه بصمت، دون مراسم، في زمنٍ كان الخوف فيه أقوى من أي قانون، وكل من حولهم كان يمر بنفس التجربة، كأن الألم بات هو القاسم المشترك بين الأهالي.

بغياب عيسى، سقط عمود البيت الأول، لم يخلّف وراءه ثروة، بل عائلة كبيرة تعتمد عليه في كل شيء، فقدانه كان صدمة نفسية ومادية، أحد أطفاله – الذي شهد لحظة خطفه – أصيب بنوبات هلع طويلة الأمد، وبقي يحمل في ذاكرته صورة الأب يُقتاد بعيداً دون أن يتمكن من مساعدته أو حتى توديعه، ترك الأبناء الدراسة، وذهبوا إلى الأسواق والحقول بحثاً عن قوت يومهم، وفي لحظة حاجتهم القصوى، اضطرت العائلة لبيع الأرض التي كانت مصدر رزقهم الوحيد، تلك الأرض التي حملت عرق عيسى وذكرياته، لم يكن قراراً سهلاً، لكنه كان ضرورياً.

سنوات مضت، وما زالت عائلة عيسى تطالب بمحاسبة من قتلوا أباهم، ويرون أن تحقيق العدالة ليس رفاهية، بل ضرورة، يريدون أن يُعترف بمجزرة الشعيطات رسمياً، وأن تُفتح ملفات المحاسبة، ويطالبون بالدعم المادي والنفسي، لأنهم يعيشون في فقر شديد، بعد أن باعوا أرضهم وفقدوا كل شيء، كما يطالبون المنظمات المدنية والإعلام الوطني بتوثيق قصصهم، ونشر معاناتهم، حتى يعرف العالم أن ما حدث في الشعيطات لم يكن مجرد حدث عابر، بل جريمة كاملة الأركان، بالنسبة لهم، العدالة تعني: أن تُعاد الكرامة لعائلات الضحايا، وأن يُعاقب المجرمون، وأن تبقى القصص حيّة، لا تُنسى.

القصة 6: طارق عبد الله الحروبي

طارق، شاب في العشرين من عمره من أبناء بلدة غرانيج، خُلوق وهادئ الطبع، كان طالباً جامعياً مجتهدًا يدرس الهندسة الكهربائية في دير الزور، ويُعدّ من بين الأكثر تفوقاً في دفعته، لم يكن معيلاً لعائلته، لكنه كان روح البيت، والأمل الذي يُبنى عليه المستقبل، أعزب، وكان يستعد للخطبة خلال تلك الأيام، واضعاً خططاً بسيطة لحياةٍ يريد أن يبدأها من قلب العائلة، وإليها يعود.

طارق كان شاباً لا يرضى بالقليل، ولا يعرف التخاذل، كان يوازن بين الدراسة والعمل، وبين طموحه الشخصي ومسؤوليته تجاه أسرته، كل صباح، ينطلق إلى جامعته بشغف كبير، ينهل من العلم ويعود ليساعد والديه، أو يصلح عطلاً كهربائياً لجار أو قريب، عرفه الجميع بابتسامته الهادئة، وسلوكه الراقي، ومحبته للناس، لم يكن يرى في المستقبل حلماً غامضاً، بل طريقاً واضحاً يسير نحوه خطوة بخطوة: التخرج، العمل، الزواج، وبناء بيت مليء بالحب، كان يخطط ليكون أباً حنوناً ومهندساً ناجحاً، وأن يكون فخراً لأهله ومجتمعه، لكن الزمن لم يمهله.

في صباح الثالث عشر من أغسطس 2014، خرج طارق مع رفيقه موسى لنقل بعض الأغنام إلى أسرهم التي نزحت عن غرانيج بسبب ظروف الحرب، لم يكن يتوقع أن هذه المهمة البسيطة ستكون الأخيرة في حياته، فبينما كانا يقومان بعملهما، ظهرت فجأة دورية تابعة لتنظيم داعش، دون إنذار أو استجواب، أطلقت عناصرها الرصاص عليهما بدم بارد، وأردتهما قتيلين على الفور، هكذا انتهت حياة شابين لم يكن ذنبهما سوى أنهما حاولا تأمين لقمة العيش لعائلاتهم في زمنٍ مملوء بالخوف والاضطراب.

لم يكن هناك مجال للبحث، فأفراد العائلة عرفوا من شهود العيان كيف قُتل طارق، وبأي طريقة رحل، لم تكن هناك إشاعات أو مقابر جماعية ليراجعوها، بل جريمة علنية بلا مواربة، حتى دفنه لم يكن سهلاً، فقد اضطروا لدفنه ليلاً، في خوفٍ كامل من أن تُرصد حركتهم أو يعاقَبوا على إكرام ميتهم، بعد ذلك، خيم الصمت. لم يتلقَّوا أي دعم، ولم يُعرض عليهم أي نوع من المساندة النفسية أو الاجتماعية. نزحوا من بلدتهم، حاملين الحزن معهم في كل مكان، يحكون قصة طارق بألم، ويحاولون التماسك كلما مرّ اسمه أو مرت ذكراه.

رحيل طارق كان كأن الروح سُحبت من جسد العائلة، لم يكن معيلاً، لكنه كان أملهم، ومحور قوتهم، وغيابه فجأة أدخلهم في دوامة من الحزن العميق، والدته التي كانت تعتمد عليه نفسياً وجسدياً، بدأت تعاني من اضطرابات صحية ونفسية، في المنزل، لا تزال أغراضه محفوظة بعناية، كأنها قطعة من روحه لا يجب أن تُمسّ، كل صورة، كل دفتر دراسة، كل أداة كهربائية كان يستخدمها أصبحت بمثابة شاهد على ما كان، وعلى ما لم يكتمل.

ورغم مرور أكثر من عشر سنوات، لم تنطفئ نار الحزن في قلوبهم، مطلبهم الأول ما زال هو ذاته: العدالة، يريدون معرفة من قتل طارق ولماذا، من أمر بإطلاق النار، ومن نفذ، لا يطلبون الانتقام، بل الحقيقة، يريدون أن تُروى القصة كما حدثت، وأن يُحاسب من ارتكب الجريمة، وهم يؤمنون أن الإعلام والمنظمات الحقوقية يجب أن تُسلط الضوء على ما حدث، وأن قصص طارق ومن مثله يجب أن تُروى، لا أن تُنسى، فبالنسبة لهم، رواية القصة ليست مجرد حزن، بل خطوة أولى نحو إنصافٍ تأخر كثيراً.

القصة 7: محمد أحمد الحسين

محمد أحمد الحسين، من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، يبلغ من العمر 62 عاماً عند مقتله في 11 آب 2014، خلال مجزرة الشعيطات. متزوج من امرأتين، وأب لعشرين ولداً وبنتاً، أكبرهم يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، وأصغرهم لم يتجاوز العاشرة، كان محمد يعمل سائق جرار زراعي، ويعتمد على الزراعة كمصدر رزق، بوصفه المعيل الأساسي لعائلته الكبيرة، لم يكن ينتمي لأي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يشارك في أي نشاط مسلح، كان رجلاً مدنياً بالكامل، حياته تدور حول أرضه وأسرته.

محمد كان رجلًا تُرابياً بمعنى الكلمة، مرتبطاً بالأرض التي زرعها وعاش منها، ومؤمناً أن الكرامة الحقيقية تأتي من الكدّ والعمل، ففي ساعات الفجر الأولى، كان ينطلق بجراره ليحرث أراضي الآخرين، يساعدهم في موسم الزراعة، ويعود بعد الظهر إلى أرضه الخاصة ليزرع القمح والخضار، ويشرف بنفسه على كل تفاصيل الزراعة، كان شديد التواضع، حليماً، صبوراً، محبوباً في قريته، لا يُذكر اسمه إلا مقترناً بالكرم والمروءة، ورغم كبر سنّه، لم يتوقف عن العمل يوماً، لأن لديه حلماً بسيطاً: أن يربّي أبناءه، أن يزوجهم، وأن يرى أحفاده يلعبون حوله في فناء الدار وتحت أشجار أرضه.

في يوم الأحد، 11 من أغسطس 2014، اشتدت وتيرة الحملة العسكرية التي شنّها تنظيم داعش على مناطق الشعيطات، ورغم توسلات عائلته للخروج معهم من البلدة، رفض محمد مغادرة منزله، كان يرى أن الرحيل عن البيت الذي بناه بعرقه خيانة لتعب العمر، وخيانة لذاكرة لم يكن مستعداً للتخلي عنها، عند الساعة الخامسة مساءً، اقتحمت عناصر من تنظيم داعش بلدة الكشكية، وانتشروا في الشوارع، توقّفوا عند بيت محمد، ودون سابق إنذار أو حوار، أطلقوا عليه الرصاص داخل منزله، أصيب برصاصتين قاتلتين في الرأس والبطن، وسقط شهيداً في المكان الذي أحبّه، حيث عاش وربّى أبناءه، المشهد كان صادماً لعائلته، الذين رأوا بأعينهم كيف تُزهق روح رجلٍ لم يعتدِ على أحد، ولم يحمل سلاحاً، فقط لأنه بقي في منزله.

لم تحتج العائلة إلى البحث عن محمد، فقد كان استشهاده علنياً، رفض مغادرة منزله، وبقي فيه حتى لحظة اقتحامه، فكانت نهايته كما كان يتوقعها بصمت وكرامة، عادت العائلة إلى البيت بعد انتهاء الاجتياح لتجده مسجّىً برصاص الغدر، لم يكن هناك التباس لأن الدماء كانت لا تزال ندية على الأرض، لكن ما كان واضحاً في تفاصيل موته، لم يُقابله وضوح في الموقف العام، لم يتلقوا مساعدة، ولم يُسجّل كشهيد في أي ملف قانوني رسمي، بقيت الجريمة حاضرة في ذاكرتهم، ومجتمعهم، لكنها غائبة عن ضمير العالم.

كان محمد هو العمود الفقري لعائلته وبرحيله المنزل فقد هويته، والأرض افتقدت من كان يعرف خباياها، بدأت علامات الحزن تظهر على الجميع، لكن الأشد وقعاً كانت الصدمة التي أصابت زوجته، إذ دخلت في نوبة قلبية بعد أيّام من استشهاده، ولم تنجُ، أحد أبنائه، الذي كان الأقرب إليه، انسحب من الحياة تدريجياً، ودخل في حالة اكتئاب حاد، انعزل عن الناس، ورفض مواصلة الدراسة أو العمل، والعائلة، التي كانت عامرة بالحياة والضجيج، باتت يغمرها صمت ثقيل، يخنق تفاصيل اليوم، ويزيد من ثقل الغياب.

تؤمن عائلة محمد أن العدالة ليست ترفاً، بل ضرورة إنسانية وأخلاقية، ويطالبون أولاً باعتراف رسمي بمجزرة الشعيطات، يريدون أن يُحاسب الجناة، ليس فقط من أجلهم، بل من أجل كل الضحايا الذين سقطوا بلا ذنب، ويطالبون أيضاً بجبر الضرر، عبر دعماً مادياً يعوّضهم عن فقد المعيل، ودعماً نفسياً يُرمّم أرواحاً تهشّمت منذ تلك الليلة، وأحياء ذكرى الضحايا وضمان أن قصصهم لن تنسى.

القصة 8: خابور إسماعيل العبد الشحاذة

خابور إسماعيل العبد الشحادة شاب في الثانية والعشرين من عمره من أبناء بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، بعد إكماله المرحلة الثانوية، افتتح محلاً صغيراً لصناعة وبيع الحلويات، وكان معروفاً بطموحه وإصراره على بناء حياة مستقلة، متزوج، ويحلم بتكوين أسرة دافئة ومستقرة، وكان محله نقطة جذب لأبناء الحي، كباراً وصغاراً، بسبب جودة ما يصنع وابتسامته الدائمة.

خابور لم يكن مجرد بائع حلويات، بل كان رمزاً للشباب المكافح، المؤمن بالعمل الشريف والكرم الإنساني، عمل في متجره بتفانٍ، يصنع الحلوى بيده ويقدمها بوجه بشوش، حتى لمن لا يملك ثمنها، ورأى في عمله وسيلة لنشر الفرح في محيط يغرق بالحزن، لم يكن يرفض مساعدة أحد، وكان عطوفاً على الفقراء، كريمًا في تعامله مع الناس، محبوباً في منطقته، وعلى الرغم من انشغاله، لم يفقد حلمه الأساسي: بناء بيت يجمعه بزوجته وأطفاله المستقبليين، ببيت ملؤه الحب والاستقرار، وفي زمن كانت فيه الأحلام تُسرق من أهل المنطقة يوماً بعد يوم، كان خابور الأمل في عيون عائلته، وأحد شباب البلدة الذين يمثلون نموذجاً نادراً للشهامة، الأخلاق، والطموح.

هرب خابور من بطش تنظيم داعش إلى بلدة البحرة، باحثاً عن الأمان، لكنه لم يجده، وفي 12 أغسطس 2014، اقتادته عناصر التنظيم من بين مجموعة من أهالي أبو حمام، إلى إحدى المدارس في البلدة، حيث جرى إعدامهم جماعياً بدم بارد، دون تهمة أو محاكمة، المكان الذي كان ذات يوم منارة للعلم، تحوّل إلى ساحة للقتل، ولم تنتهِ المأساة عند هذا الحد؛ العائلة شاهدت الجريمة موثّقة في مقطع فيديو، رأوا فيه خابور يُقتل بوحشية، أمام عدسة الكاميرا، بلا قدرة على الدفاع أو النجاة، وهذا التسجيل، بدل أن يمنحهم دليلاً على ما حدث، شكّل صدمة إضافية، طُبعت في الذاكرة، لا يمكن نسيانها.

لم تكن هناك رحلة بحث طويلة، فالفيديو الذي وثّق إعدام خابور كان كافياً لكشف مصيره المأساوي، لم يلجأوا إلى الجهات الرسمية، ولم يقدّموا بلاغاً، لأن الحقيقة كانت أمامهم، واضحة، دامغة، لا تحتاج إلى إثبات، لم يزوروا المقابر الجماعية، لأنهم كانوا يعرفون جيداً مكان مقتله، وعاشوا مع هذا الإدراك المرير، دون أن يخفّف عنهم أحد، وما زاد الطين بلّة هو شعورهم بالعزلة الكاملة، لا دعم نفسي، ولا جهة حقوقية، ولا جهة قانونية تبنّت قضيتهم، بقوا في صمت ثقيل، وألم غير معلن، يواجهون الخسارة دون أدوات، ودون صوت.

غياب خابور زلزال ضرب كيان العائلة، لم يكن مجرد معيل، بل روح البيت وركيزته، وبرحيله، غاب الأمان والاستقرار، وتحول البيت الذي كان ينبض بالحياة إلى فراغ قاتل، والدته، التي كانت تعتمد عليه نفسياً ومادياً، دخلت في دوامة من الاكتئاب والقلق، بينما زوجته الشابة واجهت مسؤوليات الحياة الثقيلة وحدها، في ظل غياب السند والداعم، والوضع المادي للأسرة تدهور بشكل حاد، خاصة وأن خابور كان مصدر الدخل الأساسي، لكن رغم الحاجة، لم يفرّطوا بأي شيء من أغراضه، احتفظوا بها كما لو أنه سيعود، وهذه الذكريات، من أدواته إلى أغراضه الشخصية، باتت رموزاً لحضوره الغائب، تطلّ عليهم كل يوم، وتؤلمهم بصمت.

ورغم مرور أكثر من عشر سنوات، لم تفقد العائلة إيمانها بأن العدالة ممكنة، يطالبون اليوم بالاعتراف الرسمي بالجريمة، ومحاكمة مرتكبيها، العدالة في نظرهم ليست شعارات، بل مسار قانوني واضح، يفضي إلى تقديم الجناة للمحاسبة وفق القانون الدولي، ويرون أن الإعلام له دور كبير في إيصال قضيتهم، ويطالبونه بكسر الصمت، ونقل الحقيقة كما هي، فقصصهم ليست مجرد أحداث محزنة، بل شواهد على جريمة لم تأخذ حقها من المحاسبة، بالنسبة لعائلة خابور، العدالة تبدأ من رواية القصة، وتوثيقها، وإيصالها، حتى لا تُدفن مرتين: مرة في القبر، ومرة في النسيان.

القصة 9: محمد العلي الأحمد

محمد العلي الأحمد، رجل أربعيني من بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان أباً لثلاثة عشر ابناً وابنة، متزوجاً من زوجتين، ومعيلاً وحيداً لعائلته الكبيرة، عمل سائقاً على جرار زراعي، حيث كان يقضي أيامه في خدمة الفلاحين، يحرث الأرض ويجهزها للزراعة، رابطاً حياته بمصدر الرزق الأساسي لأهله وأرضه، ولم تكن مهنته مجرد عمل، بل كانت امتداداً لهويته كابن للريف، يعرف الأرض ويخدمها بمحبة وصبر.

محمد كان مثالاً للرجل الريفي الصبور، الذي عرف قيمة العمل اليدوي، وبنى حياته على الجهد والتعب، بجراره الزراعي، كان يتنقّل بين الحقول، يساعد جيرانه وأبناء قريته، لا يردّ طلباً ولا يتأخر عن خدمة أحد، امتاز بشخصيته الهادئة، المتزنة، وبحكمته في التعامل مع ظروف الحياة القاسية، ولم يكن صوته مرتفعاً، بل كان يحلّ مشكلاته وأعباءه بصمت ونبل، وكان حلمه بسيطاً وعظيماً في آن: أن يؤمّن لأولاده حياة كريمة، أن يراهم يكبرون ويتعلّمون ويتزوّجون، وأن يبني لهم منزلًا يجمعهم في دفء واحد، بعيدًا عن شتات الحرب.

في صباح 13 أغسطس 2014، توجه محمد إلى صيدلية في بلدة البحرة لشراء دواء لأحد أطفاله، كانت المنطقة تحت سيطرة تنظيم داعش، وكان الخوف يسكن كل تفاصيل الحياة، وأثناء وجوده في الصيدلية، داهمت دورية من عناصر التنظيم المكان، وبدأت بحملة اعتقالات عشوائية طالت المدنيين، محمد، الذي لم يكن يحمل سوى همّ دواء لطفله، تم اقتياده دون أي مبرر أو تهمة، في لحظة اختطفت فيها كل ما يملكه: حريته، أمانه، ومستقبل عائلته، وبعد اعتقاله، انقطعت أخباره تماماً، وعاش أهله في دوامة من القلق والخوف، لا يدرون إن كان حياً أم ميتاً، ولا جهة يمكنهم اللجوء إليها للبحث أو السؤال.

لم تعرف العائلة مصير محمد لوقت طويل، فبعد اختفائه، غادرت العائلة بلدة البحرة ونزحت إلى بلدة السوسة، بحثاً عن الأمان، وهناك عاشوا حالة من الترقب، من الانتظار الذي لا نهاية له، ظلّ الغموض يخيّم على مصيره، حتى بدأت عائلات بلدة غرانيج المجاورة بالعودة إلى بيوتها بعد انحسار المعارك، وكانت الصدمة بانتظارهم: جثث عديدة ظهرت في المناطق التي كانت تحت سيطرة التنظيم، وكان من بينها جثة محمد، وبذلك، انتهت رحلة الانتظار، لكن لم ينتهِ الألم، فقد عرفوا الحقيقة، لكن ليس كما تمنّوا، بل كما كانوا يخشون.

غياب محمد أحدث زلزالاً في حياة أسرته، فقد كان المعيل الوحيد لعائلة تضم زوجتين وثلاثة عشر ابناً وابنة، وكان وجوده يعني لهم الأمان والاتزان، وبعد رحيله، عمّ الحزن والصمت البيت الذي كان مليئاً بالحياة، ورغم الظروف الاقتصادية الصعبة، رفضت العائلة بيع أي من أغراضه، واحتفظت بكل ما يخصه وكأنه سيعود، أبناؤه الكبار حاولوا سدّ الفراغ الذي خلّفه، فعملوا في محل عصائر متواضع لتأمين القوت اليومي، ورغم محاولاتهم، لم يتمكنوا من الوصول إلى مستوى الاستقرار الذي كان محمد يوفره بعنائه.

اليوم، وبعد مرور سنوات على الجريمة، لا تزال عائلة محمد تطالب بالعدالة، يريدون أن تُكشف الحقيقة كاملة، وأن يُحاسب المسؤولون عن هذه الجرائم التي أودت بحياة أبرياء دون ذنب، ويرون في العدالة شكلين لا ينفصلان: المحاسبة القانونية، وجبر الضرر المادي والمعنوي، وهم مستعدون للمشاركة في أي مسار قانوني، وللتعاون مع أي جهة تبحث عن الحقيقة وتوثّق الجرائم، وهم اليوم يدركون أن صوتهم لا بد أن يُسمع، وأن قصتهم يجب أن تُروى، ليس فقط لأجلهم، بل لأجل جميع الضحايا المنسيين، وهم يرون في الإعلام حليفاً ضرورياً، ويطلبون من المؤسسات الحقوقية والإنسانية أن تدفع باتجاه فتح الملفات المغلقة، وأن تقف إلى جانب العائلات المكلومة.

القصة 10: ياسر علي الرفيش

ياسر علي الرفيش، من مواليد بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر ثلاثين عاماً عند مقتله في الحادي عشر من آب 2014، خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج، وأب لخمسة بنات، أكبرهن في الثامنة من عمرها، وأصغرهن لم تكمل عامها الأول، كان يعمل في محل لبيع ألعاب الأطفال، ويساعد في إعالة أسرته من خلال الزراعة الموسمية للخضار.

كان ياسر شاباً هادئاً ومجتهداً، عاش حياته بتواضع وتفرغ لأسرته الصغيرة، نهاره كان مقسماً بين عمله في متجر ألعاب الأطفال، حيث اعتاد أن يوزع البسمة على وجوه الأطفال، وبين ساعات من الكدّ في الحقل، يزرع الخضار الموسمية لتأمين دخل إضافي لعائلته، وفي محيطه، كان يُعرف برجل لا يُرى في الخصام، ولا يُسمع له صوت في الشجار، كان حلمه بسيطاً: أن يرى بناته يكبرن أمام عينيه، أن يكون لهن أباً حاضراً، وسنداً لا يغيب. لكنه رحل قبل أن تكتمل صورته كأبٍ يرافق بناته في خطواتهن الأولى نحو الحياة.

في صباح 11 أغسطس 2014، كانت عائلة ياسر قد انتقلت إلى بلدة البحرة، بحثاً عن مأوى آمن من العنف الذي عمّ المنطقة، اعتقد ياسر، كما كثيرون غيره، أن البحرة قد تكون مكاناً ينأى بأسرته عن نيران الحرب والدمار، لكن ما حسبوه نجاة، كان فخاً آخر، ظهرت دورية تابعة لتنظيم داعش، وداهمت المكان دون سابق إنذار، وكان الرعب يلف الأجواء، ولم يُتح لياسر أو لعائلته أي فرصة للهرب أو الدفاع، وأمام أعين زوجته وبناته، أطلق عناصر التنظيم النار عليه، وقتلوه بدم بارد، تلك اللحظة انغرست في ذاكرة الأسرة، وأصبحت جرحاً مفتوحاً لا يندمل.

لم يكن هناك بحث عن مصير ياسر لأن الجريمة ارتُكبت أمام أعينهم، كانوا شهوداً على القتل، وعلى اللحظة التي غاب فيها ياسر من حياتهم إلى الأبد، ورغم ذلك لم يكن هناك دعم اجتماعي، ولا محاولة للمواساة، بل كانت العائلة مضطرة لأن تواجه صدمة الفقد، والجريمة، والنجاة من الموت في آنٍ واحد، دفن ياسر تمّ سراً، وفي الليل، خوفاً من عيون القتلة، في مشهد يختزل غياب العدالة في تلك السنوات.

غياب ياسر كان ضربة وجودية لعائلته، لم يكن فقط المعيل، بل الأمان، والكتف، والرجل الوحيد الذي يحمل مسؤولية خمس بنات وزوجة، بعد مقتله، تدهور الوضع المعيشي للعائلة بسرعة، أصبح الفقر واقعاً لا يُمكن تجاهله، وبدأت ملامح المعاناة تظهر على أفراد الأسرة، خاصة الوالدين، فوالدته دخلت في حالة من الاكتئاب الصامت، وأصبح الحزن هو اللغة اليومية داخل المنزل، أما والده، فكان يحاول أن يتماسك، لكنه لم يستطع إخفاء انكساره، والفتيات، رغم صغر سنهن، شعرن بالغياب، وكان من الصعب شرح لهن لماذا اختفى والدهن فجأة، ولماذا لم يعد أحد يشتري لهن ألعاب العيد.

رغم مرور السنوات، لا تزال العائلة متمسكة بمطلبها الأساسي: محاسبة الجناة، فبالنسبة لهم، العدالة لا تتوقف عند التوثيق، بل يجب أن تذهب إلى محكمة وطنية تُنزل العقاب بكل من تورّط في المجزرة، لم يتواصلوا مع جهات قانونية سوى لجنة توثيق الضحايا، لكنهم اليوم مستعدون للشهادة، والمشاركة، والانخراط في أي مسار قانوني يكشف الحقيقة، ويعيد بعض الكرامة لعائلة فقدت كل شيء، ويرون أن العدالة لا تقتصر على المحاكم، بل تشمل أيضاً الدعم المادي والمعنوي والنفسي، خاصة لأسر مثلهم بقيت معلقة بين الغياب والصمت، ويطلبون من الإعلام أن يسلط الضوء على قصتهم، لا كحادثة فردية، بل كجزء من جريمة جماعية لم تنل حقها من المحاسبة.

القصة 11: فهيم عبد الخضر

فهيم عبد الخضر، من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، عمره 32عاماً، كان رجلاً في قمة عطائه حين فُقد في 15 أغسطس 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لتسعة أولاد – خمسة ذكور وأربع بنات – أكبرهم في الرابعة عشرة من عمره، وأصغرهم لم يتجاوز الثلاث سنوات، كان يعمل في الزراعة، تلك المهنة التي لم تكن فقط مصدر رزق، بل جزءاً من هويته وشغفه بالحياة، لقد عاش حياة بسيطة ومليئة بالكدّ، يحاول أن يكون أباً حاضراً، ومزارعاً ناجحاً، وسنداً لا يتزعزع لعائلته الكبيرة.

بعد عودته من السفر، لم يكن لفهيم من هدف إلا أن يكرّس جهده لأرضه وأولاده، أحب الزراعة وأتقنها، وكان يعرف تفاصيل المواسم والري والحصاد كما يعرف أسماء أولاده، وكان يرى في كل شتلة يزرعها مستقبلاً، وفي كل ثمرة يُخرجها من الأرض شهادة على عمله الشريف وصبره الطويل، لكن حلمه الأكبر كان في رؤية أولاده يكبرون أمامه، يحملون القيم التي تربى عليها، ويكملون طريقه في الحياة بشرف واجتهاد، وكان يعرف بين الناس بأنه هادئ، متواضع، ومحب للحياة البسيطة.

مع اشتداد حملة تنظيم داعش على المنطقة، اضطرت عائلة فهيم، ككثير من العائلات الأخرى، للنزوح نحو بلدة البحرة بحثاً عن الأمان، لكن ضيق المكان وكثرة الأهل دفعتهم لتقسيم أنفسهم إلى مجموعتين: الأولى بقيت في البحرة، والثانية، ومن ضمنها فهيم، توجهت نحو بلدة الشعفة، في الطريق، أوقفهم حاجز تابع لتنظيم داعش، صادر السيارة التي كانوا يستقلونها، واحتجز الرجال دون أي مبرر سوى انتمائهم لقبيلة الشعيطات، ومن هناك، اقتيد فهيم إلى مصير مجهول، لم يكن هناك صوت يعلو فوق صوت الرعب، وكان ذلك اليوم، 15 أغسطس 2014، بداية لرحلة طويلة من الغياب، والبحث، والانتظار الذي لم ينتهِ حتى اليوم.

منذ لحظة اختفاء فهيم، لم تستسلم العائلة، انطلقت في رحلة بحث مرهقة، تسأل وتسافر، تطرق كل باب وتلاحق كل شائعة، على أمل أن تجد خبراً يعيد لها بعض الأمل، ورغم أنهم لم يقدموا بلاغاً رسمياً لأي جهة، إلا أنهم لم يتركوا وسيلة إلا ولجأوا إليها، يزورون المقابر الجماعية، يسألون الناس، يتتبعون القصص، ويتحملون ويلات الكذب والتضليل، هذه الجهود، التي لم تثمر حتى الآن، كانت مرهقة نفسياً ومادياً، أشخاص مجهولون أوهموهم بمعلومات، مقابل المال، مستغلين ألمهم وقلقهم، وفي النهاية، لم يحصلوا على شيء سوى المزيد من الغموض، والمزيد من الوجع.

غياب فهيم لم يكن فقط فقدان رب أسرة، كان هو المعيل، والموجه، والمصدر الوحيد للدخل والاستقرار، ومع اختفائه، أصبحت الأسرة بلا سند، وتحوّل البيت إلى مكان خافت الصدى، تغمره الوحدة ويثقل عليه الانتظار، الألم النفسي كان واضحاً على الجميع، خاصة زوجته، التي وجدت نفسها وحيدة في مواجهة تسعة أطفال، بلا دعم ولا معين، وما زالت الأسرة تحتفظ ببعض مقتنياته، تلك التي بقيت شاهدة على وجوده، وعلى حكاية لم تكتمل. يتعاملون معها بحنين ووجع، فهي الرابط الأخير بينهم وبين من كان يومًا حاضراً في كل تفاصيلهم.

بالنسبة لعائلة فهيم، العدالة تبدأ من معرفة الحقيقة، لا يريدون الانتقام، ولا يطلبون سوى أن يُعرف مصير والدهم، وأن تُنصف ذكراه، ويناشدون المنظمات الحقوقية والإنسانية للوقوف إلى جانبهم، وتوثيق قضيتهم، والضغط من أجل فتح ملفات المفقودين، فهم ليسوا رقماً، بل قصة، وحياة، وعائلة تعيش على الحافة، ويرون أن تسليط الضوء الإعلامي هو السبيل الأول لتحريك الملفات المغلقة، والوصول إلى شهود أو معلومات قد تكون طيّ الكتمان، إنهم يؤمنون أن رواية قصتهم قد تُخرجهم من الظل، وتعيد إليهم حقهم في معرفة المصير، والاعتراف والكرامة.

القصة 12: علي محمد الهلال

علي محمد الهلال، شاب صغير من أبناء مدينة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان في السادسة عشرة من عمره حين فقد حياته على يد تنظيم داعش بتاريخ 23 آب/أغسطس 2014، خلال مجزرة الشعيطات، لم يكن علي كباقي أقرانه، فقد خاض في صغره معركة طويلة مع مرض السرطان، وخرج منها منتصراً. لكنه ما لبث أن تعرّض لحادث سير قبل المجزرة بوقت قصير، تسبب بكسرٍ في ساقه وأبقاه طريح المنزل، كان علي لا يزال أعزب، ينتظر اكتمال شفائه ليعود إلى حياته الطبيعية، ويبدأ خطواته الأولى نحو مستقبله، لكن الحلم انكسر قبل أن يبدأ.

عاش علي تجربة لا يقدر على تحملها إلا من يمتلك قلباً شجاعاً، ورغم أنه في عمر الزهور، واجه مرض السرطان، وتمكّن بعزيمته وإيمانه من التغلب عليه، لقد كان معروفاً بين أقرانه بطيبته وكرمه، سريع الاستجابة لمن يحتاجه، حتى وإن كان على عكاز أو في وضع صحي صعب، كان يحلم بأن يكمل تعليمه، يتعافى تماماً، ويساهم في إعالة عائلته، ربما أن يصبح يوماً ما شخصاً يفتخر به الجميع، لم يكن يتحدث عن مستقبل كبير أو طموحات بعيدة، بل كان يتمنى حياة بسيطة يسودها السلام، خالية من الألم والدم، لكن الزمن لم يُمهله.

في يوم 23 آب/أغسطس 2014، كان علي بصحبة شقيقه، يقودان سيارة لتوزيع الماء مجاناً على النازحين من أبناء قريتهم في بلدة البحرة، لم يكن لديهما هدف سوى مساعدة الأهالي الذين هربوا من الموت، فقررا أن يكونا سنداً للناس، رغم أنهما كانا بدورهما يعانيان من النزوح والضعف، وخلال هذه المهمة الإنسانية، داهمت دورية تابعة لتنظيم داعش المكان، واعتقلت علي وأخاه وصادرت سيارتهما، لم يكن هناك مبرر، لا تُهمة ولا محكمة، فقط الاتهام بانتمائهم لقبيلة الشعيطات كافٍ لجرّهم إلى مصير مجهول، كان علي، الذي بالكاد يمشي بسبب إصابة ساقه، عاجزاً عن الدفاع عن نفسه أو الفرار، تم اقتيادهما، لتسدل ستارة ثقيلة على حياة فتى لم يعرف السلاح يوماً، ولم يفعل سوى محاولة النجاة ومساعدة من حوله.

لم تستسلم العائلة لليأس، وانطلقت في رحلة بحث مضنية، لا تحمل سوى الأمل والخوف، علموا من بعض عناصر داعش المحليين أن علي وأخاه محتجزان في سجن الميادين، فتشبثوا بالمعلومة كالغريق في قشة، لكن سرعان ما تبدد الأمل حين اكتشفوا أن تلك المعلومة كانت كاذبة، وأنها لم تكن سوى جزء من موجة تضليل اعتادها الناس في تلك الفترة، وبعد أربعة أشهر من التهجير والنزوح، عادت العائلة إلى الكشكية، لتكتشف الكارثة الكاملة: جثتا علي وشقيقه ملقيتان في منزلهما، بلا رؤوس، كان المشهد فوق ما يُحتمل، لا يحتاج تأكيداً، لا تقريراً طبياً ولا بلاغاً قانونياً.

لم يكن علي معيلاً مادياً لأسرته، لكنه كان روحها، فغيابه ترك فجوة لا تسدها الأيام ولا الكلمات، كانت والدته تراه كأحد أبنائها الأقرب إلى قلبها، تحملت معه ألم المرض، ودعمت صموده، واليوم وجدت نفسها بلاه، بلا طيفه، بلا صوته، وبلا معنى للشفاء الذي لم يكتمل، والمنزل، الذي كان يشهد خطواته البطيئة بعد إصابته، أصبح أكثر صمتاً بعد رحيله، ولم تعد ضحكته تملأ المكان، ولا تساؤلاته البريئة حول المستقبل تُسمع.

تؤمن عائلة علي أن العدالة تبدأ من كشف الحقيقة، ولا تنتهي إلا بمحاسبة المجرمين، لم يحمل علي سلاحاً، ولم يكن مقاتلاً، كان فتىً يحاول الشفاء، ويقدّم الماء للناس، وموته بهذه الوحشية لا يمكن أن يُبرر، ولا يجب أن يُنسى، وإن أتيحت لهم الفرصة للحديث أمام محكمة وطنية، فلن يكون لديهم سوى مطلب واحد: محاكمة الجناة، فالعدالة بالنسبة لهم تعني أن يسمع العالم قصة علي، ويعرف أنه قُتل فقط لأنه كان من الشعيطات، فقط لأنه أراد أن يعيش.

القصة13: عبد السلام الخليف الأمين

عبد السلام الخليف الأمين، من أبناء مدينة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 37 عاماً حين اختطفه الموت على يد تنظيم داعش في 14 آب/أغسطس 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأبٌ لخمسة أطفال – ثلاث بنات وولدان – كان عبد السلام يعمل في مهنة تقليدية تُعرف محلياً باسم "الهكّاط"، وهي صناعة الألبان ومشتقاتها، وكان مشهوراً في منطقته بجودة منتجه وأمانته.

كان عبد السلام أكثر من مجرد صانع ألبان، بل كان حاملاً لإرث ثقافي تمتد جذوره في ريف الفرات، فمهنة "الهكّاط" لم تكن مجرد حرفة بالنسبة له، بل أسلوب حياة، وشهادة على ارتباطه العميق بتراث منطقته ومجتمعه، وفي سوق المدينة، كان حضوره مميزاً؛ رجل هادئ، صادق، يرفض الغش، ويحرص على رضا زبائنه أكثر من حرصه على الربح، كان معروفاً بأخلاقه واستقامته، يلجأ إليه الناس لا لأجل منتجاته فحسب، بل لصدق مشورته وصفاء سريرته، ورغم انشغاله اليومي في العمل، كان قلبه في بيته، في أطفاله الذين كان يحلم أن ينشأوا على ما نشأ عليه، وكان يرى فيهم امتداداً لحياته، ويحلم أن يرى بناته متزوجات وأولاده شباباً يحملون اسمه وفخره.

في 14 أغسطس 2014، ومع تصاعد وتيرة القتل التي نفذها تنظيم داعش ضد أبناء قبيلة الشعيطات، قرر كثيرون من السكان النزوح أو التخفي، لكن عبد السلام، كغيره من رجال الكرامة، اختار البقاء، لم يحمل سلاحاً، ولم يلوّح بتهديد، بل بقي في منزله، يعتقد أن بيته – الذي بناه بطوبة فوق طوبة – سيكون له حصناً، اقتحمت عناصر التنظيم الحي، وبدأوا حملة إعدامات بدم بارد، عبد السلام كان من بين الضحايا، ولم يُعرف بالتحديد كيف تم قتله، لكن عندما عاد أهله بعد هدوء المعارك، أبلغهم أحد الجيران أنه دفنه بنفسه، كي لا تبقى جثته مرمية في العراء، في مشهد إنساني يختزل وحشية المجرمين ورغبة الأحياء في حفظ كرامة من سقطوا.

لم تبدأ العائلة بالبحث، لأنهم كانوا يعلمون، في أعماقهم، ما حدث، فالأجواء لم تكن تسمح بأي تحرٍّ أو محاولة، فقد كان الخوف سيّد اللحظة، والسؤال عن المفقودين جريمة بحد ذاته، وبعد عودتهم إلى المدينة، لم يكن عليهم أن يسألوا، بل جاء الجواب إليهم مباشرة، أحد الجيران أخبرهم أنه قام بدفن عبد السلام بيده، وأنه وجده مقتولاً في منزله، كما كثيرين غيره.

غياب عبد السلام كان انهياراً حقيقياً لعائلته الصغيرة، لم يكن فقط المعيل، بل كان كل ما تملك العائلة من أمان واستقرار، وبعد مقتله، انهار كل شيء، اضطرت الزوجة، وهي متعبة نفسياً وجسدياً، إلى العمل لتأمين لقمة العيش، رغم آلامها وضعفها، وأطفاله وجدوا أنفسهم في مهب العجز والفقدان، البنات كبرن على ألمٍ مبكر، والأبناء حملوا مسؤوليات تفوق أعمارهم، لم تكن الحياة سهلة، بل كانت قاسية بكل المقاييس، وأمام الحاجة، اضطروا لبيع قطعة الأرض التي كانت جزءاً من إرثهم الوحيد، واحتفظوا ببعض من أدوات عمله وأغراضه، تلك التي تحمل رائحته وذكراه، يتأملونها كلما ضاقت بهم الحياة، ويشعرون أنها ما تبقى من دفئه وصوته ووجوده.

اليوم، بعد سنوات من المجزرة، لا تزال عائلة عبد السلام تطالب بالعدالة، لكن لا من باب الانتقام، بل من باب الكرامة، يريدون اعترافاً بمأساتهم، محاسبة للفاعلين، وكشفاً للحقائق التي ما زالت مطموسة، ويرون في المحاسبة القانونية مساراً يجب أن يسلكه كل من يطالب بالسلام والعدالة، ومطلبهم لا يقف عند المحاكمة، بل يمتد ليشمل جبر الضرر، مادياً ومعنوياً، لأنهم خسروا كل شيء: الزوج، الأب، المعيل، الكرامة، وحتى الاستقرار، إنهم يعرفون أن العدالة الحقيقية ليست سهلة، لكنهم مؤمنون أنها ممكنة... وأن رواية ما حدث هي بداية هذا الطريق.

القصة 14: حمد حسين الخضر

حمد حسين الخضر، شاب من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 21 عاماً حين اعتقلته عناصر تنظيم داعش بتاريخ 15 آب/أغسطس 2014، متزوج منذ عام فقط، وكان قد رُزق حديثاً بطفله الأول الذي لم يتجاوز شهره الأول، لم يكن حمد ينتمي لأي جهة سياسية أو عسكرية، بل عاش حياته في كدح متواصل، متنقلاً بين مهن النجارة والحدادة، ليعيل أسرته ويسند والده المقعد، قبل أن يغادر مرة إلى السعودية في محاولة لتحسين وضعه المعيشي.

كان حمد نموذجاً للشباب المكافح، الذي لم يسمح للفقر أو الصعوبات بأن تكسر طموحه أو تقيده، فمنذ مراهقته، بدأ العمل في النجارة، حيث تعلم الحرفة من كبار السن، ثم أتقن الحدادة، وكان معروفاً بين جيرانه بقوة ساعديه وهدوء طباعه، سافر إلى السعودية لفترة قصيرة، بحثاً عن فرصة عمل، فعاد أكثر نضجاً واستقلالية، محمّلاً بالخبرة والتجربة، لم تكن عودته فقط مادية، بل كانت قراراً ببناء استقرار جديد، تزوّج، واستعد لحياة الأبوّة، وكان ينتظر طفله الأول وكله أمل بأن يكون حاضراً في كل تفاصيل تربيته، حمل على عاتقه مسؤولية إعالة عائلة كبيرة، وكان السند الأول لوالده العاجز، ومعيلاً لأمه وإخوته، إلى جانب أسرته الصغيرة، وكان يرى الحياة بعيون البسطاء، يؤمن أن الأمان في البيت، وأن الشرف في العمل.

في ظل توسّع تنظيم داعش صيف 2014، ومع اشتداد الحصار على مناطق الشعيطات، اضطر حمد وعائلته للنزوح من الكشكية إلى البحرة، هرباً من القصف والتهديد، هناك، حاول حمد تأمين مأوى جديد لأسرته، خصوصاً بعد ولادة طفله، تنقل بين القرى بحثاً عن منزل يستقر فيه، لكن الوضع الميداني كان شديد التوتر، ولم يكن يدرك أن آخر خطواته ستقوده إلى حاجز تابع لداعش في منطقة "هجين"، ففي 15 آب 2014، اعتُقل حمد على الحاجز، وتم اقتياده إلى جهة مجهولة، لتنقطع أخباره كلياً بعد ذلك، اعتقاله لم يكن بسبب جرم، بل لأنه ينتمي إلى قبيلة الشعيطات، التي استهدفتها داعش بشكل مباشر، واعتبرت مجرد الانتماء إليها تهمة تستوجب العقاب.

بدأت رحلة العائلة في البحث عن حمد منذ اللحظة الأولى لاعتقاله، أطلق إخوته محاولات متكررة للتواصل مع أشخاص نجوا من سجون داعش، أو لهم معرفة بواقع الاعتقالات، لعل أحداً يعرف شيئاً عنه، زاروا المقابر بحثاً عن علامة أو شاهد، لكن دون جدوى، كل يوم كانوا يقضونه في البحث، وكل معلومة جديدة كانت إما ناقصة أو كاذبة، لم يقدموا بلاغاً رسمياً، لأن الجهات الرسمية نفسها لم تكن متاحة، وربما لأن الأمل كان لا يزال أقوى من الإجراءات.

كان غياب حمد صدمة لا يمكن تجاوزها بسهولة، فقد كان العمود الفقري لعائلته، ومصدر دخلهم الوحيد، والدته التي كانت تعتمد عليه في كل تفاصيل حياتها، أصابها المرض من شدة الحزن، أما والده المقعد، الذي كان لا يقوى على الحركة، فلم يحتمل غيابه، وذوى بصمتٍ حتى فارق الحياة وهو لا يزال ينتظر عودة ابنه، والطفل الذي بالكاد أبصر النور، لم يعرف والده سوى في الصور والذكريات، كبر يتيماً، محاطاً بصمتٍ يخفي ألف سؤال لم يُجب عليه بعد.

اليوم، وبعد مضي أكثر من عقد من الزمن على اعتقال حمد، لا تزال العائلة تتمسك بحقها في معرفة الحقيقة، فالعدالة، بالنسبة لهم، لا تبدأ من محاكمة القتلة، بل من كشف مصير ابنهم، يريدون أن يعرفوا أين هو، ماذا حدث له، وأين دُفن إن كان قد فارق الحياة، هذه المعرفة هي أولى خطوات العدالة، ويريدون أن تُروى قصته، أن تصل إلى العالم، لأن حمد ليس رقماً، بل إنسانٌ كان له حلم، وكان له ابن ينتظره.

القصة 15: عبد القادر نهار الأمين

كان عبد القادر نهار الأمين رجلاً في الحادية والأربعين من عمره، من أبناء بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، متزوج وأب لسبعة أطفال، خمسة ذكور وبنتين، كانت كبرى بناته تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، بينما كان أصغر أبنائه لا يزال رضيعاً، قضى عبد القادر سنوات من حياته يعمل في إحدى دول الخليج من أجل إعالة أسرته، وقد تميز بإخلاصه في عمله وتفانيه في تأمين حياة كريمة لعائلته، وفي صيف 2014، قرر قضاء إجازة العيد مع أسرته، حاملاً معه الهدايا والشوق، غير مدرك أن هذه الزيارة ستكون الأخيرة في حياته.

كان عبد القادر نموذجاً للرجل الذي يقدّم عائلته على كل شيء، لم يكن مجرد مغترب يرسل المال، بل كان أباً يتابع تعليم أبنائه، يهتم بأحلامهم، ويتحدث إليهم بشغف الأب الحاضر حتى وهو بعيد، كانت أحلامه بسيطة وعميقة في آنٍ واحد: أن يتمكن من اصطحاب أسرته إلى مكان أكثر أماناً، يمنحهم فيه تعليماً جيداً ومستقبلاً أفضل، وأن يعود يوماً ليبني بيتاً هادئاً في بلدته التي لم تغب عن قلبه.

في الرابع عشر من آب 2014، اجتاحت البلدة أجواء من الرعب، مع اقتراب عناصر تنظيم داعش منها، ورغم دعوات الأقارب لمغادرة المنطقة، أصر عبد القادر على البقاء في منزله، مؤمناً بأن كونه مدنياً لا يشكل تهديداً لأحد، وبأن لا أحد سيؤذيه وهو لم يشارك في أي صراع أو نشاط سياسي أو مسلح، لكن ذلك الاعتقاد سرعان ما تبخر أمام واقع وحشي لا يعترف بالحياد، وفي ذلك اليوم، تم تصفيته مع شقيقه وأحد أقربائه، دون تهمة أو محاكمة، وبدم بارد، لم تتمكن عائلته من وداعه، ولم تكن حاضرة أثناء دفنه، بل علموا بالحادثة من أحد الجيران الذي شهد المأساة وتكفّل بدفن الجثث في غياب ذويهم، في محاولة لحفظ كرامة الموتى في لحظة طغى فيها القتل على كل شيء.

لم تتمكن العائلة من البحث عن عبد القادر في الأيام الأولى بعد المجزرة، فقد كانت المنطقة تعيش حالة من الذعر والتهديد المستمر، ولم يكن التحرك آمناً، ومع عودتهم لاحقاً إلى البلدة، وصلهم الخبر المؤلم من أحد جيرانهم، مؤكداً وفاة عبد القادر ورفيقيه، وأنه دُفن دون حضور أسرته، لم يكن هناك شك أو أمل كاذب، بل حقيقة قاسية تجرّعوها دون أن تتاح لهم حتى فرصة إلقاء نظرة الوداع.

كان عبد القادر المعيل الوحيد لعائلته، والغياب المفاجئ له شكّل صدمة عنيفة لا يمكن تجاوزها بسهولة، لم تفقد العائلة مصدر دخلها فحسب، بل فقدت حضوراً يومياً يُشعرهم بالأمان والاطمئنان، اضطرت زوجته إلى تحمل عبء إعالة الأسرة، رغم حالتها الصحية المتدهورة، فعملت بما استطاعت لتأمين احتياجات الأطفال الذين تفرّقوا بين الحزن والخوف، والأبناء، وخاصة الأكبر سناً منهم، دخلوا في دوامة من التغيير النفسي والسلوكي، حيث باتت معالم الصدمة تظهر على وجوههم وأحاديثهم وسلوكهم الدراسي والاجتماعي، ومن الناحية المعيشية، تدهور حال الأسرة كثيراً، ولم يعد لديهم دخل ثابت أو سند اقتصادي، يعيشون على مساعدات بسيطة، إن وُجدت، ويكافحون يوماً بعد يوم للبقاء.

اليوم، وبعد مرور سنوات على المجزرة، لا تزال العائلة تحمل في قلبها مطلباً واضحاً: العدالة، يريدون معرفة الحقيقة الكاملة، من أصدر الأوامر، ومن نفذ، ولماذا قُتل عبد القادر وهو أعزل، في زيارة مؤقتة لأسرته، ويطالبون باعتراف رسمي بما حدث، وتوثيق أسماء الضحايا، وإدراج عبد القادر ضمن قوائم من قُتلوا ظلماً، لا بوصفه رقماً بل إنساناً له قصة وأسرة وأحلام لم تكتمل، كما تطالب العائلة أيضاً بالحصول على دعم مادي، ليس صدقة، بل جبراً للضرر الفادح الذي لحق بهم، وفي رسائلهم إلى المنظمات الإنسانية ووسائل الإعلام، تطلب العائلة تسليط الضوء على قضيتهم، وقصص عائلات أخرى مماثلة، علّ صوتهم يصل إلى من يمكنه أن يفتح ملف هذه المجازر المنسية.

القصة 16: محمد جمال الأمين

محمد جمال الأمين، شاب في الرابعة والعشرين من عمره، أعزب من بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، كان يعمل مع عمومته في مهنة صناعة الألبان والأجبان، لم يكن العمل بالنسبة له مجرد مصدر رزق، بل كان شغفاً يملأ يومه بالمعنى، ويقرّبه من عائلته ومجتمعه، عُرف بحبه لمهنته، وبدوره المساند في محيطه العائلي.

كان محمد نموذجاً للشاب المحب للعطاء، الذي يرى في العمل الجماعي والعلاقات الإنسانية جوهراً للحياة، كان يساعد عمومته في صناعة وبيع منتجات الألبان، ويشعر بالفخر لمساهمته في هذه المهنة المتوارثة، لم يكن يرفض طلباً، ولم ينتظر مقابلاً، وكان حضوره في حياة الآخرين دائماً محط تقدير ومحبة، ورغم صغر سنه، كان محمد يحمل حلماً كبيراً: أن يؤسس عائلة مستقرة، مليئة بالحب والدفء، كان يتحدث عن الزواج، وعن رغبته في أن يكون أباً مسؤولاً يوفر لأطفاله الأمان الذي ينشده الجميع في زمن الاضطراب..

في 14 أغسطس 2014، تحولت بلدة أبو حمام إلى مسرح للدم، لم يكن محمد من أولئك الذين اختاروا الهروب، بل بقي في منزله مع عمومته، على أمل أن تُحترم براءتهم، لم يكونوا مسلحين، ولم يكن لهم علاقة بأي صراع، بل مجرد مدنيين يعملون ويعيشون بسلام، لكن عناصر داعش داهموا البلدة، وارتكبوا مجزرة جماعية، قتلوا فيها محمد وأقاربه في منازلهم دون تمييز أو رحمة، وبعد وقوع المجزرة، بادر أحد الجيران بدفن الجثث، في محاولة إنسانية أخيرة لحفظ كرامة الموتى، وعندما عادت عائلة محمد بعد أربعة أشهر من النزوح، وجدوا قبور أحبائهم بانتظارهم، وكانت الصدمة موجعة، تُدوّي داخل البيت كما في الذاكرة، وتفتح باباً جديداً للحزن والغضب.

لم تكن هناك فرصة حقيقية للبحث أو البلاغ، خلال فترة النزوح التي استمرت أربعة أشهر، لم يكن أحد يعرف ماذا حدث بالضبط، لكن عندما عادت العائلة إلى منزلها، وجدت الحقيقة أمامها: قبور أحبائها، ومحمد بينهم، دفنه أحد الجيران في لفتة إنسانية نبيلة، محاولةً لتقديم أقلّ ما يمكن في زمن فقد فيه الإنسان إنسانيته، لم تُراجع الأسرة المقابر الجماعية أو الجهات القانونية، لأنهم رأوا بأعينهم ما جرى، لم يكن هناك داعٍ للشك أو التخمين، كان المشهد حاضراً، والقبر واضحاً، والحزن لا يحتاج إلى تأكيد.

كان محمد جزءاً أساسياً من حياة أسرته، عاطفياً وعملياً، وفقده لم يكن مجرد غياب شخص، بل انهيار ركيزة من ركائز الأسرة، كان يساعد في تأمين الدخل، ويشارك في المسؤوليات اليومية، ومع رحيله، انقطع هذا الدعم فجأة، لم يكن هناك بديل له، لا في العمل، ولا في الحضور الإنساني الدافئ الذي كان يقدمه لعائلته، والحزن أصبح جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية لأفراد الأسرة، ظهرت المشكلات النفسية والصحية لدى بعضهم، خصوصاً الوالدين، الذين لم يستطيعوا تجاوز الصدمة بسهولة، وتدهور الوضع الاقتصادي للأسرة بعد فقدانه، وزادت الصعوبات في تأمين مستلزمات الحياة الأساسية. لم يكن الدعم الخارجي متوفراً، ومع ذلك حاولت الأسرة التأقلم، لكن الفقد ظلّ حاضراً في كل تفصيلة.

تؤمن عائلة محمد أن العدالة هي حق لا يمكن التنازل عنه، يريدون أن يعرفوا من قتل ابنهم، ولماذا، لا يطالبون بالانتقام، بل بالمحاسبة، فبالنسبة لهم، الحقيقة ليست مجرد تفاصيل، بل هي اعتراف بحقهم، وكرامة ابنهم، وذاكرة المنطقة بأكملها، ويطالبون بدعم مادي ومعنوي من الجهات المحلية والدولية، في ظل ظروفهم الاقتصادية الصعبة، وجبر الضرر بالنسبة لهم لا يعني فقط تعويضاً مالياً، بل دعماً نفسياً، ومجتمعياً، واستعداداً لمرافقة قانونية في أي مسار قضائي يُفتح لاحقاً.

القصة 17: أحمد علي الرفيش

أحمد علي الرفيش، فتى في السابعة عشرة من عمره، من أبناء بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، كان أعزب، في السابعة عشر من عمره، ويعمل بالأجر اليومي في ورشة نجارة، يعيل عائلته من خلال عمله المتواضع، عرفه الناس بطيب أخلاقه وحسن تعامله، وكان مقبلاً على الحياة بروح مرحة رغم الظروف الصعبة.

كان أحمد شاباً مجتهداً، يتعامل مع الخشب في ورشة النجارة بإتقان رغم صغر سنه، ويساهم في إعالة أسرته الكبيرة التي كانت تعتمد عليه بشكل أساسي، كان محبوباً من جيرانه ومعارفه، ويمتاز بروح خفيفة وخلق عالٍ، لم يكن يشتكي أو يتذمر، بل كان يتعامل مع مسؤولياته بحبٍّ ورضا، كان يحلم بالزواج وتكوين أسرة، كثيراً ما يشجعه الناس على الزواج، وكان يبتسم بخجل، لكنه في أعماقه كان يأمل بذلك فعلاً، أن يبدأ حياته مع شريكة تشاركه الأحلام والبساطة والكدح.

في أغسطس 2014، نزحت عائلة أحمد من بلدة أبو حمام إلى بلدة البحرة، بحثاً عن الأمان، استقروا في منزل صغير ضمّ جميع أفراد العائلة، معتقدين أن النزوح لن يدوم أكثر من أيام، لكن الواقع خالف كل التوقعات، ففي 24 أغسطس 2014، داهمت عناصر من تنظيم داعش المنزل، واقتادوا الذكور جميعاً، وكان أحمد من بينهم، ومنذ تلك اللحظة، غاب أثره تماماً، وانقطعت أخباره، وحاولت العائلة البحث عنه، والسؤال، لكن دون جدوى، لم تكن هناك مؤشرات، ولا إجابات، فقط غموض ثقيل يخيّم على أيامهم.

في الأيام الأولى من اختفائه، كان القلق سيّد الموقف، بحثت العائلة كثيراً دون جدوى، وبعد شهور من الانتظار، عادوا إلى غرانيج، وهناك تلقوا الصدمة القاسية: أحمد، مع عدد من أقاربه، دُفنوا في إحدى المدارس، التي تحوّلت إلى مقبرة للجماعية، زيارتهم للمقبرة كانت مؤلمة، لكنها كانت ضرورية؛ كانت تلك لحظة وداع، لا تشبه شيئاً، لكنها ساعدت العائلة على فهم ما حدث، وعلى البدء بمسار الحزن الطويل.

كان أحمد عموداً صغيراً في منزل هشّ، ومع غيابه انهار التوازن، العائلة التي كانت تعتمد عليه في الدخل، وجدت نفسها أمام واقع قاسٍ، يعمّه الصمت والفقر، تحوّلت حياتهم من يوميات بسيطة إلى أيام مثقلة بالحزن، ساد فيها الغياب، وتكررت فيها الأسئلة التي لا إجابة لها، وظهرت مشكلات صحية ونفسية لدى الأهل، وخصوصاً الأم والأب، اللذَين لم يتوقفا عن ذكره في كل مناسبة، وكأن استحضاره بالكلمات محاولة يائسة لإبقائه حياً بينهم، والوضع الاقتصادي ازداد سوءاً بعد فقدان أحمد، إذ كان يسهم في دخل الأسرة، ومع غيابه، عانت العائلة من فقر مدقع، لم تتمكن من تجاوزه حتى اليوم.

عائلة أحمد تطالب بالحقيقة والعدالة، لا يريدون الانتقام، بل يريدون فهم ما حدث، ومحاسبة المسؤولين عن هذه الجريمة، وبالنسبة لهم، القصاص ليس مجرد كلمة، بل فعل يجب أن يتحقق، حتى يشعروا أن دم ابنهم لم يُهدَر، ويطالبون بالدعم المادي والمعنوي، جبراً للضرر الذي لحق بهم، ولضمان ألا تُترك العائلات المتضررة في مواجهة الفقد والفقر وحدها، ويرون في الإعلام وسيلة لإيصال قصصهم إلى العالم، حتى لا تُنسى، وحتى تُمنَح الجرائم حقّها من التوثيق والإدانة.

القصة 18: عبد القادر الجاسم الحمادة

كان عبد القادر الجاسم الحمادة شاباً في السادسة عشرة من عمره، من أبناء بلدة أبو حمام في الريف الشرقي لمحافظة دير الزور، أعزب، وعاشق للعمل في الزراعة، اختار منذ سنواته الأولى أن يكون قريباً من الأرض، يغرس فيها أحلامه ويستمد منها معنى الحياة، كان يعمل في أرضه الصغيرة، بكل ما فيها من تعب ومشقة، وفي صيف 2014، وتحديداً بتاريخ 16 آب، اختفى عبد القادر بعد أن اعتقلته دورية تابعة لتنظيم داعش خلال فترة النزوح إلى بلدة البحرة، ومنذ ذلك اليوم دخلت عائلته في دوامة من الغياب والفقد.

لم يكن عبد القادر مجرد مزارع شاب، بل كان روحاً تنبض في الحقول، كان يقضي أيامه الطويلة تحت شمس حارقة، يسقي المزروعات بعناية، يحرث الأرض ويرى في كل نبتة تكبر حلماً يتجسد أمامه، تعلقه بالأرض لم يكن وليد الحاجة، بل امتداد لفهم عميق بأن الزراعة ليست مجرد عمل، بل فعل انتماء واستمرارية، وكان يحلم بمستقبل بسيط ومليء بالدفء: بيت صغير وسط حقله، زوجة تحب الزرع كما يفعل، وأطفال يركضون بين السهول وهو يروي لهم كيف كان يزرع الحب قبل أن يحصد القمح.

في الأيام التي تلت اجتياح التنظيم للمنطقة، اضطرت عائلة عبد القادر للنزوح إلى بلدة البحرة، باحثة عن ملاذ آمن، لكن الأمان لم يكن سوى سراب، ففي 17 آب 2014، داهمت دورية من التنظيم المكان، واقتادت عبد القادر دون سابق إنذار، كان المشهد صادماً، لم يُمنح أحد فرصة للسؤال أو الاعتراض، واختفى عبد القادر منذ تلك اللحظة في ظلام لا نهاية له، مرت الأيام ثقيلة، وكل دقيقة تحمل معها احتمال أن يكون حياً أو مقتولاً، وعندما عادت العائلة إلى أبو حمام بعد أشهر، عثروا على جثته، ليتحول الأمل إلى حداد، والانتظار إلى ذكرى مؤلمة، لم يكن عبد القادر ضحية مجردة، بل فتىً حمل بذور حلمٍ صغير، فقُطفت حياته قبل أن ينضج.

منذ لحظة اعتقال عبد القادر، بدأت العائلة رحلة بحث مليئة بالتوتر والخوف، تنقلوا بين البلدات، سألوا كل من التقوا به، بحثوا في كل اتجاه، لكن دون جدوى، لم يحصلوا على أي معلومة مؤكدة، وكل من سألوا لم يكن يملك إلا إجابات مبهمة تزيد من قلقهم، وعندما عادوا إلى بلدتهم، علموا من بعض الأهالي أن عبد القادر قد قتل، ووجدوه بين الجثث المدفونة في مقبرة جماعية، تعاملوا مع الفاجعة وحدهم، يحاولون التماسك وسط الخوف والصمت والخذلان.

فقدت العائلة برحيل عبد القادر ليس فقط ابنها، بل الروح الشابة التي كانت تبث الدفء في البيت، كان غيابه كسراً عميقاً في جدار الأسرة، وانقلب البيت إلى مساحة من الصمت والحزن، والداه وأخوته وجدوا أنفسهم في مواجهة فراغ كبير، لا يملؤه أحد، والحزن تسلل إلى تفاصيل الحياة اليومية، فكل شيء في البيت كان يذكّر به: أدوات الزراعة، ملابسه، وحتى أرضه التي بقيت بلا يد تحرثها، رفضت العائلة التصرف بأي شيء من ممتلكاته، وكأنها تمسك بأشيائه كوسيلة للتمسك بوجوده.

اليوم، وبعد كل ما مرّت به، تحمل العائلة مطلباً بسيطاً وواضحاً: معرفة من قتل عبد القادر، ولماذا، يريدون كشف الحقيقة، لا بوصفها انتقاماً، بل كجزء من العدالة التي لم تتحقق بعد، العائلة تطالب الجهات المحلية والدولية بتقديم دعم مادي ونفسي، تعويضاً عن فقدان ابنهم، وعن الألم المستمر الذي يعيشونه، وإنهم يدركون أن العدالة قد تتأخر، لكنها لا تسقط بالتقادم، ويرون أن الحديث أمام أي محكمة وطنية سيكون بمثابة فرصة للبوح بما حملوه من ألم طويل، كما يناشدون الإعلام والمنظمات الإنسانية لتوثيق قصتهم وقصص غيرهم، لأنهم يؤمنون أن المجازر لا يجب أن تُنسى، وأن صوت المظلوم، حتى لو تأخر، سيظل أقوى من الصمت.

القصة 19: عماش عبد المطلق العلي

كان عماش عبد المطلق العلي شاباً في الخامسة والعشرين من عمره، من أبناء بلدة الكشكية في الريف الشرقي من دير الزور، متزوج وأب لأربعة أطفال – ولدين وبنتين – وكان يعمل في البناء يضع أحجار البيوت لغيره، ويأمل أن يأتي اليوم الذي يبني فيه بيتاً لعائلته، يأويهم من التعب والخوف، وفي 12 آب 2014، وفي غمرة النزوح والفوضى، اعتقلته عناصر تنظيم داعش دون تهمة أو سبب، قبل أن ينقطع أثره ويبدأ غيابه الطويل.

كان عماش نموذجاً للرجل المكافح، الذي يضع عرقه في كل لبنة يبنيها، ويرى في عمله بالبناء رسالة قبل أن يكون مصدر رزق، لم يكن فقط يتقن صنعته، بل كان يعمل بشغف، يتأمل في تفاصيل كل بيت يبنيه، وكأنه يبني الحلم الذي يحمله في داخله لعائلته، عرف بين الناس بأمانته وصدقه، وكان أباً حنوناً وزوجاً حريصاً على راحة أسرته، ورغم ضيق الحال، لم يكن يتذمر، بل كان دائماً يبذل ما يستطيع، كل صباح كان يخرج للعمل قبل طلوع الشمس، وكل مساء يعود منهكًا لكن سعيداً بما أنجزه.

في صباح 12 آب 2014، وأثناء النزوح الكبير الذي كانت تعيشه عائلات الكشكية، تم توقيف عماش من قبل عناصر تنظيم داعش في بادية أبو حمام، لم يكن هناك استجواب، ولا تهمة، ولا حتى كلمة تبرير، اختفى عماش فجأة، كما يُقتلع حجر أساس من جدار ما يزال قيد البناء، وترك وراءه زوجة مذهولة وأطفالاً في حالة ذهول وخوف، ومنذ تلك اللحظة، دخلت العائلة في صمت طويل، تنتظر خبراً أو أثراً، لكن الأيام تمضي، والصمت يزداد ثقلاً، والوجوه تزداد شحوباً.

بدأت العائلة منذ لحظة الاعتقال رحلة بحث شاقة، يسألون من نجا، ويطرقون كل باب فيه احتمال، والد عماش كان الأكثر إصراراً، لم يهدأ له بال، ولم يقبل فكرة أن يظل مصير ابنه مجهولاً، تواصلوا مع ناجين من سجون التنظيم، سافروا بين القرى، طرقوا أبواب المقابر الجماعية، لكن دون أي أثر حاسم، لم يكن لديهم وثائق ولا شهود يُعتمد عليهم سوى من رأوه لحظة توقيفه، وفي كل مرة يُقال لهم شيء، يجدون أنفسهم أمام معلومات مشوشة، أو تضليل متعمد، أو أكاذيب تزيد من ألمهم.

كان عماش هو عماد الأسرة، وجوده لم يكن فقط مادياً بل معنوياً؛ كان الضحكة في وجه الأطفال، والطمأنينة التي تمنحها الزوجة حين تضيق بها الحياة، بعد اختفائه، انكسرت العائلة من الداخل، لم يعد في البيت من يملأ الفراغ، لا في المعنى ولا في الحياة اليومية، وصارت الزوجة في مواجهة مسؤوليات لا قبل لها بها، وعاشت حالة من الإرهاق المستمر بين رعاية الأطفال وتوفير احتياجاتهم، في وقت كانت تعيش فيه ألماً لا يُحتمل، والأطفال بدورهم تأثروا نفسياً، فباتت ملامحهم تعكس افتقادهم للحنان والاحتواء، وتحوّل غياب والدهم إلى ندبة في ذاكرتهم الصغيرة.

لا تطلب عائلة عماش شيئاً أكثر من أن تُعرف الحقيقة، يريدون أن يعلموا أين هو، ولماذا أُخذ، ومن المسؤول عن غيابه، ويطالبون بفتح تحقيق جدي حول اعتقاله، يطالبون بأن يسمعهم أحد، أن تُروى قصته، وأن يُدرج اسمه بين من فُقدوا ظلماً، لا أن يبقى مجهولاً في سجلات النسيان، كما يطلبون من الإعلام أن يكون حليفاً لهم، يوصل صوتهم، ويمنع أن تُنسى قصص المفقودين، ويناشدون المنظمات غير الحكومية بأن تدعم أبناء المفقودين، وتوفر لهم فرصاً للحياة والتعليم والعمل، حتى لا يكونوا ضحايا مرتين، مرة لفقد الأب، ومرة لغياب الدعم والحماية.

القصة 20: علي حماد العلي

كان علي حماد العلي، ابن بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، يبلغ من العمر 28 عاماً حين قُتل، متزوج وأب لستة أطفال، أربع بنات وولدين، أكبرهم لم يتجاوز العاشرة من عمره، وأصغرهم لم يُكمل عامه الأول، عمل فلاحاً في أرضه، فكانت الزراعة مصدر رزقه وحياته اليومية، وعرفه الناس برجولته ونخوته، ولم يُعرف عنه إلا حب الأرض وأهله، حتى باغتته يد الغدر في 13 آب 2014.

كان علي رجلاً بسيطاً بأحلام عظيمة، ينهض باكراً كل يوم ليغرس في الأرض ما يعول عليه لغد أولاده، لم يكن يرى في الزراعة مجرد مهنة، بل امتداداً لروحه، عُرف بين أهله بكرمه وطيبته، يقف في وجه الشدة، يهب لنصرة من يحتاجه، وكان بيتُه مقصداً للمستضعفين قبل الأقارب، لم يكن يتوانى عن مد يده لكل من طلبها، وكان يرى أن النخوة لا تُشترى، بل تُورث، وكان فخوراً بانتمائه لعشيرته، الشعيطات، التي كانت تمثل له التاريخ والهوية والمسؤولية.

مع تصاعد خطر داعش، اضطرت عائلة علي إلى النزوح نحو بلدة البحرة، حيث لم يكن أمامهم سوى منزل مهجور يؤويهم، لكنه كان خالياً من الحد الأدنى من مقومات الراحة، علي، الذي لم يكن يرضى لأطفاله سوى بالأمان، قرر البحث عن بيت أفضل، وفي لحظة فارقة، وبينما كان يسعى لحماية أسرته وتأمين مأوى لهم، أوقفته دورية من تنظيم داعش في بادية أبو حمام، واعتقلته دون تهمة، لم يكن يحمل سلاحاً، ولم ينتمِ لأي جهة، بل كان فلاحاً يبحث عن سقف يلمّ عائلته، ولكن انتماؤه لعشيرة الشعيطات كان كافياً ليجعله هدفاً مباشراً، وفي 13 آب 2014، أُعدم علي بدم بارد.

منذ لحظة اختفائه، لم تتوقف العائلة عن البحث، كانوا يتحركون بدافع الحب والأمل، متنقلين بين الأماكن، يسألون الشهود، يستفسرون من الناجين، وكل مرة يعودون دون خبر، حتى المقابر الجماعية لم تكن بعيدة عنهم، زاروها وقلوبهم تتوق الأسوأ، حتى عثروا على الحقيقة: علي كان من بين من دفنوا هناك، في بادية أبو حمام، دون وداع، دون كفن يليق بكرامته، وكان ذلك الوداع الذي لم يحدث هو أكثر ما أوجعهم.

كان علي "عامود البيت"، الكلمة التي ترددت على لسان زوجته بعد غيابه، كان وجوده يعني الأمان، والسند، وغيابه قلب حياة العائلة رأساً على عقب، زوجته، التي كانت شريكته في كل تفاصيل الحياة، دخلت في نفقٍ مظلم من الهلع والحزن، خوف دائم، قلقٌ مستمر، وشعور عارم بالعجز، أما الأطفال، فقد غاب عنهم الأب في سن هم في أمسّ الحاجة إليه، ومع هذا الغياب، انفجر الفقر في وجههم، فعلي كان المعيل الوحيد، العامل الذي لم يكن يكلّ، وحين اختفى، اختفت القدرة على توفير أبسط مقومات الحياة، ولم تعد العائلة قادرة على تأمين الغذاء الكافي أو الضروريات اليومية، والصمود بات معركة خاسرة في وجه الحرمان.

بالنسبة لعائلة علي، العدالة ليست شعاراً، بل ضرورة وجودية، يريدون أن تُعرف الحقيقة، أن يُعرف القَتَلة، أن تُذكر الأسماء، وتُفتح الملفات، ويُحاسب المسؤولون، ويريدون أن يُدرج علي ضمن قوائم الضحايا لا كرقم، بل كإنسان له قصة، وأطفال، وبيت لم يُكمل بناءه، ويوجّهون نداءً إلى المنظمات الحقوقية والإنسانية: لا تنسونا، لا تجعلوا قصتنا تُطوى في الظلال، اجعلوا صوتنا يصل، كما يناشدون وسائل الإعلام بأن تأخذ على عاتقها نقل هذه القصص إلى العالم، لأن تسليط الضوء عليها هو الخطوة الأولى نحو العدالة.

القصة 21: عبد الوهاب حماد العمر

كان عبد الوهاب حماد العمر شاباً في الثامنة عشرة من عمره، من أبناء بلدة أبو حمام، تلك البلدة الزراعية في الريف الشرقي لمحافظة دير الزور، نشأ في كنف عائلة تعمل في الزراعة، فشبّ على حب الأرض وتفاصيل العمل فيها، يساعد أهله في الحقول ويشاركهم تعب المواسم، لم يكن متزوجاً، لكنه كان يستعد لخوض هذه المرحلة الجديدة من حياته، واضعاً حلم الزواج وتكوين أسرة نصب عينيه، إلا أن القدر لم يمهله، فقد تم اعتقاله من قبل تنظيم داعش في الثالث عشر من آب عام 2014، ليكون ذلك اليوم نهاية لحلم بدأ للتو.

كان عبد الوهاب يعيش بين التراب والزرع، ينهض مع شروق الشمس ويسير إلى الأرض بفرح، يحفر التربة بيديه، ويزرع الأمل قبل البذور، لم يكن يرى في الزراعة مجرد وسيلة للرزق، بل كان يراها هوية، طريقة حياة، وانتماء، وكان يحرص على تعلّم أساليب الزراعة الحديثة، لا ليُحسّن إنتاج أرضه فقط، بل ليرشد جيرانه أيضاً، ويساهم في نهضة منطقته الصغيرة، كان شاباً خفيف الظل، يحب الحياة، ويعرف كيف يجمع الناس حوله، صادق في علاقاته، كريم في عطائه، وقريب من الجميع، وفي قلبه، كان يكبر حلم الزواج، حلم أن يبني بيتاً بجانب أرضه، يملأه ضحك الأطفال.

مع تفاقم خطر تنظيم داعش، اضطرت عائلة عبد الوهاب للنزوح إلى بلدة البحرة، وهناك وجدوا أنفسهم في بيت قديم متهالك لا يقي حر الصيف ولا برد الشتاء، عبد الوهاب، الذي لم يكن يرضى لأسرته هذا الوضع، بدأ مع شقيقه رحلة بحث عن بيت أكثر أماناً وراحة، فمضى بين القرى حالماً بأن يجد لهم مكاناً يليق بكرامتهم لكن رحلته هذه انقلبت إلى مأساة حين تم اعتقاله في بادية أبو حمام على يد تنظيم داعش، لا لشيء سوى أنه ينتمي إلى عشيرة الشعيطات، كان ذلك في 13 آب 2014، اليوم الذي توقف فيه حلمه، وسُجلت فيه حياته بين قوائم الضحايا، دون أن يُمنح فرصة للدفاع عن نفسه، أو حتى لتوديع والدته.

منذ لحظة اعتقاله، لم تهدأ العائلة، بحثوا عنه في كل مكان، سألوا الناجين، وتتبعوا الشائعات والمعلومات، لكنهم ظلوا يدورون في دوامة من الصمت والخذلان، وحين وصلوا إلى المقابر الجماعية، لم يكونوا يريدون التصديق، لكنهم وجدوه هناك، بين الأجساد التي أخفيت في الظلام، تلك اللحظة كانت كما قالت والدته: "نهاية الانتظار، وبداية ألم لا يُشفى".

كان عبد الوهاب القلب النابض في عائلته، اليد التي تعمل، والصوت الذي يبث التفاؤل فيهم، وغيابه لم يكن مجرد غياب جسد، بل اختفاء لروح كانت تنبض داخل كل حجر في البيت، والدته كانت أكثر من تألم، لم تستوعب أبداً رحيله، حتى بدأت تنادي أحد إخوته باسمه، وكأنها تحاول أن تُعيده بأي وسيلة، حتى ولو من خلال الوهم، أغراضه لم تُمسّ، أبرزها المعول الذي كان يستخدمه يومياً، ذاك الحديد الصلب الذي تحوّل إلى قطعة من الذاكرة، يلمسونه ليشعروا به قريباً، يرونه في مكانه فيتخيلون أنه سيعود في أي لحظة.

العائلة لا تطالب بالعطف، بل بالحق، ترى أن العدالة تبدأ عندما تُكشف هوية القَتَلة، ويُحاسب المسؤولون عن هذه الجريمة، ويوجهون نداءً خاصاً للإعلام، بأن لا يكتفي بنقل الخبر، بل أن يكون شريكاً في الضغط من أجل العدالة، ويرون أن قصصهم إن لم تُروَ، فلن يعرف أحد معنى الظلم الذي عاشوه.

القصة 22: محمد مخلف المطلق

كان محمد مخلف المطلق رجلاً في السابعة والثلاثين من عمره حين خُطف من عائلته وحياته على يد تنظيم داعش، من أبناء بلدة أبو حمام، متزوج وأب لطفلين، لم يكن أكبرهما قد تجاوز السنة والنصف، بينما كانت ابنته رضيعة لا يتعدى عمرها ثلاثة أشهر، كان معلماً في مدرسة القرية، يؤدي وظيفته بشغف ومسؤولية، وفي الثاني عشر من آب عام 2014، خُطف صوته من الصف، وخُتم دفتره الأخير بصفحة لا عدالة فيها.

محمد لم يكن مجرد معلم، كانت المدرسة بالنسبة له بيتاً ثانياً، وتلاميذه أبناءً آخرين، يعاملهم بلين، ويرى في ضحكاتهم وطموحاتهم ملامح مستقبلٍ يستحق التضحية، لم يكن يشرح الدروس فقط، بل كان يسعى إلى أن يجعل من الصف مساحة للثقة والتعاون، يُنصت للأطفال، يضحك معهم، يلعب معهم في الباحة، ويرى في العلاقة التربوية أكثر من واجب وظيفي، حلمه الكبير كان أن يُشرف على تعليم أبنائه، أن يرى طفليه يكبران في المدرسة التي أحبها، أن يشاركهم دفاترهم، ويكون أول من يسمعهم يتهجون الحروف.

حين نزحت عائلته إلى البحرة، لم تكن الحياة سهلة، كان يعلم أن النزوح قد يطول، وأن ما تبقى من ممتلكاتهم، وخصوصاً الأغنام، لا بد أن تُجلب من أبو حمام كي تؤمن لهم سبل العيش، ورغم خطورة الموقف، قرر العودة بنفسه لجلبها، مخاطراً بكل شيء من أجل تأمين حياة كريمة لعائلته، لكن طريق العودة لم يُكتب له أن يكتمل، ففي منطقة الكشكية، أوقفته دورية من تنظيم داعش، وبدون تحقيق أو تهمة أو حتى كلمة، تم اعتقاله، وفي اليوم نفسه، الثاني عشر من آب 2014، قُتل بدم بارد، رحل محمد قبل أن تفتح ابنته عينيها على الحياة، وقبل أن يسمع كلمتها الأولى.

لم تتوقف العائلة عن البحث في الأيام الأولى، رغم الخطر الكبير، تنقلوا بين القرى، سألوا عن مصيره، وواجهوا جدراناً من الصمت والخوف، لكن الحقيقة كانت أقسى من كل الاحتمالات، وصلهم الخبر المؤلم من أحد الأصدقاء: جثته وُجدت محروقة في منطقة الكشكية، وتم دفنه بشكل سريع دون حضور أي من أفراد عائلته، لم تُتح لهم فرصة توديعه، ولم يشهدوا دفنه، فقط نُقل إليهم النبأ كصاعقة، أُغلقت بها أبواب الأمل، وبدأت معها رحلة من الحزن المفتوح.

كان محمد حجر الأساس في عائلته، المعيل الأول والروح التي كانت تبعث في البيت الدفء والطمأنينة، وبعد مقتله، تحولت الحياة إلى صمت ثقيل، وصار المنزل مساحة من الغياب لا شيء يملؤها، زوجته، التي لم تكن قد خرجت بعد من تجربة الولادة، انهارت نفسياً وأصيبت بحالة من الشرود، تائهة بين الذاكرة والواقع، تناديه أحياناً بين أبنائه وكأنها لا تريد أن تصدق أنه غاب، وأطفاله، وهم صغار لا يدركون المعنى الكامل للفقد، كبروا على غياب والدهم، على قصص تُروى عنه، أما من الناحية الاقتصادية، فقد كانت الضربة موجعة، محمد كان المعيل الوحيد، وبعده اضطرت زوجته للعمل رغم الحالة النفسية الصعبة، تبحث عن أي مورد يؤمن الغذاء والحليب، تسير يوماً بيوم، دون يقين بالغد، فقط بدافع البقاء لأجل طفليها.

تؤمن العائلة أن العدالة تبدأ عندما يُكشف عن الجناة، وتُحاسب الأيادي التي اغتالت معلماً دون ذنب، يطالبون بفتح الملفات، بكشف هوية القتلة، وبأن لا تُترك الجريمة بلا عقاب، لأن في تركها رسالة بأن الدم بلا ثمن، وبأن المعلم الذي يحمل كتاباً يمكن أن يُقتل ولا يُسأل أحد عنه، كما أنهم يطالبون بجبر الضرر المادي الذي لحق بالعائلة، ويرون أن دور الإعلام أساسي، فالقصة التي لا تُروى تُنسى، والجريمة التي لا تُوثّق تُعاد، ويطلبون من وسائل الإعلام أن ترفع صوتهم، أن تسلط الضوء على محمد، وعلى كل معلم مثله، قُتل وهو يحمل طباشيره، وعلى آلاف العائلات التي تنتظر كلمة "حق" تُقال في ساحات العدالة.

القصة 23: عبد الرزاق كمال الحسن

عبد الرزاق كمال الحسن، شاب في الثامنة والعشرين من عمره، من أبناء بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، ومن عشيرة الشعيطات، كان أعزباً، ويستعد للزواج في الأيام القليلة المقبلة حين خطفته المجزرة، عمل في مجال الزراعة، وهي مهنة أحبها وارتبط بها وجدانياً، كما كان يشتغل في أعمال حرة أخرى ليساهم في إعالة أسرته.

كان عبد الرزاق مثالاً للشاب المكافح، الذي يعمل بصمت ويبني أحلامه بعرق جبينه، لم يكن يشتغل في الزراعة لمجرد الرزق، بل كان يرى في الأرض شريكاً في الحياة، يحرثها بمحبة، ويعتني بها كأنها امتداد لروحه، لم يتوقف عند الزراعة وحدها، بل عمل في مهن يومية متعددة كلما أُتيح له ذلك، لإعالة أسرته وتوفير مستلزمات زواجه القادم، وكان معروفاً بين أبناء منطقته بخلقه الرفيع، وجديته في العمل، وتعامله المحترم مع الجميع، وكان يرى في تأسيس الأسرة مشروعه الأكبر، وعمل بجد لبلوغه، مؤمناً أن العائلة هي نواة الحياة المستقرة.

بعد اندلاع المواجهات العنيفة في بلدات الشعيطات، نزح عبد الرزاق مع أسرته إلى بلدة البحرة، بحثاً عن الأمان، لم ينجُ من بطش تنظيم داعش، الذي كان يلاحق أبناء عشيرته أينما حلّوا، وفي 13 أغسطس 2014، تم اعتقال عبد الرزاق في ظروف غامضة، لم يكن هناك تهمة، ولا محاكمة، فقط اعتقال قاسٍ أفضى إلى غياب كامل، لاحقاً، وبعد انحسار المعارك وعودة السكان إلى غرانيج، تم اكتشاف مقبرة جماعية تضم جثثاً لعدد من الشبان الذين تم تصفيتهم خلال تلك الفترة، وكان عبد الرزاق من بينهم، وهكذا انتهت رحلته فجأة، قبل أن يتحقق حلمه البسيط ببناء أسرة، وقبل أن يعرف السبب الذي دفعهم لقتله.

منذ لحظة اختفائه، لم تتوقف العائلة عن البحث عن عبد الرزاق، رغم صعوبة الظروف وغياب أي دعم رسمي، لم يكونوا وحدهم في ذلك، فالغموض شمل عشرات العائلات، وكلهم تقاسموا نفس المعاناة: الانتظار واللا يقين، وعندما بدأت المقابر الجماعية تُكتشف، كانت العائلة تأمل بأن تعرف مصيره أخيراً، رغم قسوة الاحتمال، وحين تم التعرف على جثته، انطفأ بصيص الأمل، وتحول الانتظار إلى حزن مؤكّد، لم تُقدم العائلة بلاغاً رسمياً، لكنهم خاضوا رحلة البحث بأيديهم، مدفوعين فقط برغبتهم في ألا يُدفن ابنهم في النسيان.

غياب عبد الرزاق ضرب العائلة في عمقها، لم يكن فقط معيلاً مادياً، بل كان أحد أعمدة الاستقرار النفسي والروحي فيها، كان وجوده يمنح شعوراً بالأمان، وقدرته على العمل المتنوع شكّلت دعماً كبيراً للعائلة، وبفقده، دخلت الأسرة في دوامة من الألم، لا سيما والدته ووالده، اللذَين لم يستطيعا تجاوز الصدمة حتى اليوم، اختفى الفرح من البيت، وأصبحت الجدران تردّد صدى الغياب، انعزلت العائلة، وتدهورت حالتها النفسية، حيث ظهرت أعراض القلق والاكتئاب بشكل واضح، والوضع الاقتصادي أيضاً تراجع بشكل مؤلم، إذ أن عبد الرزاق كان العمود الفقري للدخل، وبعده أصبحت العائلة تعاني من فقر واضح، لم تفلح الأيام في مداواته.

اليوم، تحمل العائلة على عاتقها رسالة واضحة: لا بد من معرفة الحقيقة، ولا بد من محاسبة القتلة، لا تسعى العائلة للانتقام، بل تريد عدالة تُعيد التوازن إلى العالم الذي انهار فجأة، وتُكرّم ذكرى ابنهم كما يجب، ويطالبون أيضاً بجبر الضرر، ليس فقط مادياً، بل نفسياً واجتماعياً، لأن ما مروا به أكبر من أن يُختصر في تعويض مالي، وهم يؤمنون بقوة الإعلام في تسليط الضوء على مثل هذه القضايا، ويرون أن قصتهم يجب أن تُروى، لأنها تمثل عشرات بل مئات القصص المشابهة، لا يريدون أن تُختزل المأساة في أرقام، بل أن تُحكى بتفاصيلها، وأن تُسمع في كل مكان.

القصة 24: حمدان عليان الحسن

كان حمدان عليان الحسن رجلاً في الرابعة والأربعين من عمره من قرية أبو حمام، يحمل من المهابة والاحترام ما جعل له مكانة راسخة في مجتمعه، متزوج من أربع نساء، وأب لثلاثة عشر ولداً وبنتاً – سبعة شباب وست فتيات – كان أكبرهم في الخامسة والعشرين من عمره، وأصغرهم لم يُكمل عامه الأول بعد، عاش معظم حياته مغترباً في دولة الكويت، حيث عمل هناك بجد ليبني لأسرته مستقبلًا كريمًا، وفي الثامن من آب 2014، سُلبت حياته برصاصة غادرة.

لم يكن حمدان مجرد مغترب يعمل في الخارج ويرسل المال إلى أهله، بل كان حاضراً في تفاصيل حياة كل فرد من أسرته، يعرف احتياجاتهم، يسعى لإرضائهم، وكان في نظر المجتمع "رجل رأي"، مرجعاً في الخلافات، صوته مسموع، وقراره يحترمه الجميع، من الكويت إلى أبو حمام، حمل في عقله خطة طويلة المدى لمستقبل أبنائه، وفي قلبه طمأنينة من يثق بأن التعب سيُثمر يوماً ما.

في الأيام التي سبقت الاجتياح الكامل لتنظيم داعش لبلدة أبو حمام، كانت الأجواء مشحونة بالتوتر والخوف، اشتدت المعارك بين أبناء البلدة والتنظيم، وأصبحت شوارعها ممرات للموت، وفي الثامن من آب 2014، خرج حمدان من منزله لقضاء حاجة لم تكن تحتمل التأجيل، وبينما كان يسير في حارته، أصابته رصاصة مباشرة، سقط على إثرها شهيداً في المكان، وفي اليوم التالي، أجبرت المعارك المتصاعدة سكان البلدة على النزوح، ولم تتمكن العائلة من وداعه كما يليق برجل مثله، حملهم القدر بعيداً عنه، وتركوا خلفهم البيت والألم، وذكراه التي لم تُغادر قلوبهم لحظة.

لم تكن هناك رحلة بحث، فحمدان لم يُعتقل، ولم يُفقد، بل قُتل أمام أعين من عرفوه، كان أول الضحايا، وشاهداً على بداية المأساة، لم يُدفن بمراسم، ولم يُودَّع بكلمات، كان دفنه سريعاً، قاسياً، دون حضور كامل للعائلة، ثم فُرض النزوح كأمر واقع، فصار الحزن قاطعاً بلا نهاية، لا وداع، ولا قبر يُزار.

كان حمدان هو السقف الذي ظلّ يظلل ثلاث عشرة روحاً، وبغيابه تدهورت حالتهم النفسية، وغلب عليهم الحزن الذي لم يكن له مخرج، الزوجات الأربع وجدن أنفسهن في مواجهة تربية عدد كبير من الأطفال في ظروف قاسية، ووسط معاناة لا تُطاق، احتفظن بأغراضه، بملابسه، بصوره، وكأنها جزء منه ما زال حياً، يعيد إليهم صوتاً غاب، وحياة لم تكتمل.

بالنسبة لعائلة حمدان، فإن فقدانه لم يكن مجرد حادث عابر، بل كان جريمة يجب أن تُحاسب، ليس فقط لأنها أودت بحياة رجل بريء، بل لأنها شتّتت عائلة كاملة، وألقت بهم في وجه العوز والفقد والخذلان، يطالبون اليوم بتحقيق العدالة، بكشف هوية القتلة، وبأن يُحاسبوا، هم لا يسعون للانتقام بقدر ما يريدون الحقيقة، ويريدون أن تُقال على العلن، أن يُعترف بأن ما جرى جريمة ارتُكبت عن سبق إصرار بحق رجل لا ذنب له سوى أنه أراد العودة إلى عائلته، رسالتهم واضحة لا تتركوا هذه القصص في الظل، لا تسمحوا بأن يُنسى من قُتل ظلماً، فكل قصة من هذه القصص تحمل في طياتها أمةً من الأحزان، وكل ضحية منسية، تعني أن الجريمة مستمرة.

القصة 25: علاوي هلال المطلق

علاوي هلال المطلق، رجل في السابعة والأربعين من عمره، من أبناء بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، متزوج وأب لثمانية أبناء، أربعة ذكور وأربع بنات، كان موظفاً في إحدى دوائر الدولة، ويُعرف في مجتمعه بإخلاصه لعمله واهتمامه بأرضه التي يعتني بها بجوار منزله.

كان علاوي رجلاً متوازناً، يعيش حياته بإخلاص بين العمل والأسرة، لم يكن يرى في عمله وظيفة فقط، بل واجباً يؤديه بمحبة، كان يعتني بأرضه كما يعتني بعائلته، يزرع ويروي ويجمع، بعين الرضا وشعور بالمسؤولية، ومع كل مشاغله، لم تغب الابتسامة عن وجهه، وكان معروفاً بين الناس بدماثة أخلاقه وكرم قلبه، كان حلمه الأكبر أن يرى ابنه البكر متزوجاً، يكوّن عائلته الخاصة ويبدأ حياته المستقلة، وكان يُعدّ لهذا الحدث بكل ما يملك، مؤمناً بأن الأسرة هي لبنة الأمان في الحياة، وأن من واجبه أن يؤسس لأبنائه بداية كريمة وآمنة.

في 11 أغسطس 2014، وبعد تصاعد أعمال العنف في المنطقة، نزح علاوي مع عائلته إلى بلدة هجين، باحثاً عن ملاذ آمن، لم تدم الطمأنينة طويلاً، إذ تم اعتقاله هناك من قِبل عناصر تنظيم داعش، في ظروف غامضة، واختفى منذ تلك اللحظة، دون معلومات أو تواصل، وتركت العائلة في قلق دائم على مصيره، وبعد عودة السكان إلى مناطقهم، كانت الصدمة بانتظارهم: تم العثور على جثته في مقبرة جماعية في بادية أبو حمام، هذا الاكتشاف لم يكن مجرد خبر، بل لحظة انهيار لكل أمل، وشرخ عميق في قلب العائلة والمجتمع، الذي عرف علاوي كرجل طيب، لم يحمل يوماً سلاحاً، ولم يكن طرفاً في أي صراع.

منذ لحظة اختفائه، لم تدخر العائلة جهداً في البحث عنه، لم يقدّموا بلاغاً رسمياً، لكنهم زاروا مقابر جماعية، سألوا، انتظروا، وراقبوا الأخبار، ومع كل يوم يمر، كانوا يتمسكون بأمل ضعيف، إلى أن عادوا إلى منطقتهم ليواجهوا الحقيقة القاسية: جثة علاوي كانت بين الضحايا في بادية أبو حمام، ورغم أن الخبر كان بمثابة فاجعة، إلا أنه وضع حداً لحالة الانتظار القاتل، استطاعوا وداعه، ولو متأخراً، بطريقة تليق به، محاطين بأحبّتهم، وبجيران وأصدقاء لم يتخلوا عنهم.

كان علاوي العمود الفقري لعائلته، المعيل، الموجّه، والمصدر الأساسي للأمان، وغيابه قلب حياتهم رأساً على عقب، تراجع الوضع الاقتصادي بشكل حاد، وواجهت العائلة تحديات كبيرة في تأمين أساسيات الحياة، كما أن الأثر النفسي كان فادحاً، خصوصاً على زوجته وبناته اللواتي فقدن ليس فقط معيلهن، بل السند والداعم العاطفي، وأصبح المنزل الذي كان يعجّ بالحياة، يعاني من الصمت والكآبة، واحتفظت العائلة بأغراضه، يتنقلون بينها بلمسة حنين، وكأنها لا تزال تحمل دفء وجوده، هذه الذكريات، المؤلمة والجميلة في آن، باتت كل ما تبقى لهم من رجلٍ شكّل حياتهم اليومية بكل تفاصيلها.

تحمل عائلة علاوي في قلوبها وجعاً لا يُنسى، لكنها لا تنوي الصمت، مطلبهم الأساسي هو معرفة من قتل والدهم ولماذا، والمطالبة بمحاسبة المسؤولين عن هذه الجريمة، والعدالة في نظرهم تبدأ بكشف الحقيقة، ولا تكتمل إلا بمحاكمة الفاعلين وفق القانون، تعاني العائلة من ظروف اقتصادية ونفسية صعبة، وتناشد الجهات المحلية والدولية تقديم الدعم اللازم، سواء مادياً أو نفسياً، ويرون في جبر الضرر خطوة أولى في مسار العدالة، ويؤمنون بأن الدعم المادي والمعنوي لن يعيد علاوي، لكنه قد يساعدهم على استعادة جزء من التوازن الذي فقدوه، كما يطالبون المنظمات الحقوقية والإعلام العالمي بتسليط الضوء على قصتهم، لأنهم يرون في ذلك وسيلة للضغط من أجل فتح ملفات المساءلة والمحاسبة.

القصة 26: محمد جاسم الحمدي

محمد جاسم الحمدي، رجل في السابعة والأربعين من عمره، من أبناء بلدة الكشكية الواقعة على ضفاف الفرات في ريف دير الزور الشرقي، متزوج من امرأتين وأب لأحد عشر ولداً وبنتاً، تتراوح أعمارهم بين عام واحد وأربعة وعشرين عاماً، يعمل مغترباً في إحدى دول الخليج، متنقّلاً بين الغربة والوطن، دون أن يقطع صلته بجذوره أو بأهله، بل ظلّ حاضراً في حياة أسرته وأقربائه، سنداً وملاذاً في زمنٍ كان فيه الاعتماد على النفس ضرورة لا خيار.

لم يكن محمد رجلاً عادياً في مجتمعه. كان المغترب الذي لم تغيّره المسافات، صاحب القلب السخي واليد المفتوحة، يعود إلى وطنه محمّلاً بالخير، ويزور أقاربه وجيرانه، ويغمر بيته بالكرم والدفء، لم يُطرق بابه محتاجٌ إلّا ووجده كريم العطاء، ولم يُطلب منه مشورة إلّا وقدّمها بحكمة وروّية، وكان مرجعًا للكثيرين، لا لسلطةٍ يحملها، بل لهيبةٍ اكتسبها من سلوكه المتزن وسمعته النظيفة، وحلمه لم يكن خاصاً، بل عائليّ الطابع، كبيراً بقدر مسؤوليته، كان يعمل لسنوات ليبني بيتاً يجمع أبناءه تحت سقف واحد، بيتاً يليق بحياة كريمة ومستقرة، لم يكن يفكر لنفسه، بل لأبنائه، وكان يرى فيهم امتداده الحقيقي، ومستقبل عائلته الذي يستحق أن يُبنى بالكدّ والصبر.

في الخامس عشر من أغسطس عام 2014، وأثناء نزوحه مع أسرته إلى بلدة البحرة هرباً من جحيم المعارك، خرج محمد إلى سوق بلدة هجين لشراء بعض المستلزمات، ولم يعلم أن تلك الخطوة ستكون آخر ما يفعله في حياته، فقد تم اعتقاله من قبل عناصر تنظيم داعش، ولم يعد بعدها إلى منزله أبداً، لم تعرف العائلة شيئاً عن مصيره، حتى لحظة عودة سكان بلدة غرانيج إلى منطقتهم بعد انحسار التنظيم، حيث تم العثور على جثته ضمن مقبرة جماعية، واحدة من عشرات المقابر التي كشفت حجم المجازر المرتكبة، لم يكن خبر وفاته عادياً، بل جاء كطعنة ثانية، حيث لم يُقتل فقط، بل أُهينت إنسانيته، وأُسدل الستار على حياته في ظروف تُجسّد الوحشية بأبشع صورها.

منذ لحظة اعتقاله، حاولت العائلة البحث عن أي خيط يقود إلى محمد، ولكن دون جدوى، كان التنظيم يلفّ الحقيقة بالتهديد والغموض، وكان الخوف يسكت الألسنة، مرت الأيام ثقيلة، حتى بدأت أخبار المقابر الجماعية تظهر مع عودة الأهالي، ذهبوا إلى هناك، وبين الجثث، وجدوا محمد، كان المشهد أقسى من أن يُحتمل، لكنه أوقف على الأقل رحلة الانتظار التي استنزفت أعصابهم وأحلامهم، ولم يكن فيهم من تفاجأ، فقد كانوا يعرفون النهاية، لكنهم تمنّوا لو لم تكن بهذه البشاعة.

غياب محمد لم يكن خسارة رجل، بل انهيار ركيزة، كان هو المعيل، والضابط لإيقاع البيت، والمرشد في زمنٍ اختلطت فيه الطرق، وبغيابه، فقدت العائلة بوصلتها، وحلّ الصمت بدلاً من صوته، واليأس مكان ثقته، وسقط البيت في دوّامة من الارتباك والقلق، أصاب أفراد العائلة، وخاصة زوجتاه وبناته، حزن عميق تحوّل إلى معاناة نفسية دائمة، لم تعد الحياة كما كانت، فقد أصبح اليوم ثقيلاً، والليل طويلاً، والسؤال عن الغد مؤلماً، لم تعد لديهم قدرة على التحمّل كما كانوا في وجوده، لأن من كان يسندهم لم يعد.

اليوم، لا تطلب عائلة محمد شيئاً سوى العدالة، لا يريدون انتقاماً، بل كشف الحقيقة، ومحاسبة الفاعلين، لا يقبلون أن يكون قتل محمد مجرد رقم في تقرير، أو مقبرة بلا اسم، يريدون معرفة من فعل، ولماذا، ويطالبون الجهات المعنية، محلياً ودولياً، بمدّ يد العون، ليس منّة، بل واجباً تجاه ضحايا دفعوا ثمن الوحشية بلا ذنب.

القصة 27: حسان إبراهيم الخليف

كان حسان إبراهيم الخليف، ابن بلدة الكشكية، رجلاً في الخامسة والثلاثين من عمره، متزوج وأب لثلاثة أطفال، أكبرهم لم يتجاوز الثلاث سنوات، وأصغرهم بالكاد أكمل شهره الأول، كان يعمل بائعاً للحلويات والمعجنات، رجلاً بسيطاً لكن شامخاً بمبادئه، محباً لعائلته، وملتزماً بعمله، لا يحمل في قلبه سوى حلمٍ صغير: أن يوفر حياة كريمة لأبنائه، وفي 15 آب 2014، وبينما كان يستعد ليوم جديد في متجره الصغير، اعتقلته عناصر تنظيم داعش دون أي سبب واضح، لتُطوى صفحة من صفحات البراءة في زمن قاس لا يرحم.

لم يكن حسان مجرد بائع، بل كان وجهاً باسماً في شارع مكتظ بالخوف، عرفه الناس بأمانته وخلقه العالي، وارتبط اسمه بالمحل الذي تفوح منه رائحة الخبز الطازج والحلوى التي تُشبه قلبه، كان يبدأ يومه قبل شروق الشمس، يعجن ويخبز ويجهز رفوفه، لا لينال ربحاً فقط، بل ليحافظ على كرامة أسرته ويرسم مستقبلاً مشرقاً لصغاره، كان حلمه بسيطاً وواضحاً: أن يربي أبناءه على الشرف والعمل، أن يعلمهم كيف تكون الحياة الكريمة رغم قسوتها.

حين نزحت العائلة إلى بلدة البحرة، كان حسان لا يزال صامداً في الكشكية، يحاول أن يؤمّن بعض الضروريات في ظل ظروف يشتد فيها الخطر، لم يكن يتوقع أن يصبح هدفاً، لكنه كان من أبناء المنطقة التي طالتها قبضة تنظيم داعش، وذاك وحده كان كافياً لتُسلب منه حياته، فـفي 15 آب 2014، تم اعتقاله على يد دورية تابعة للتنظيم، لم يُوجه له اتهام، ولم يُمنح لحظة ليدافع عن نفسه، فقد كان اعتقاله بداية النهاية، وبعد أيام، وُجدت جثته في إحدى المقابر التي تركها التنظيم، شاهدة على وحشية فاقت التصور، لم يُقتل فقط، بل دُفن في صمت، في رُكام أرض ابتلعت كثيراً من الأبرياء.

منذ لحظة اختفائه، كانت العائلة تعيش كل يوم وكأنه أول أيام المأساة، بحثوا عنه في كل مكان، طرقوا أبواباً كثيرة، سألو كل من رأوه، الأمل لم ينطفئ بسهولة، لكنه أُجهض حين عاد أهالي غرانيج وكشفوا عن المقابر التي خلفها التنظيم، هناك، وسط ركام جماعي من الألم، وُجد جسده، رحل الأمل، لكن الأسئلة لم ترحل: لماذا؟ بأي ذنب؟ ومن سينصفه؟

كانت صدمة العائلة عميقة ومدمرة، حسان لم يكن فقط معيلهم، بل كان نبض البيت وعماده، وغيابه حطم كل شيء، زوجته الشابة لم تحتمل ثقل الفقد، أما أطفاله، فقد كبروا دون أن يعرفوا صوته أو يلمسوا يده، الذكرى الوحيدة له في البيت كانت صورة قديمة، وقطعة من ثوبه، وأحاديث خافتة تحاول أن تحفظ له وجوده في الذاكرة، والفقر طغى على حياتهم، لم يكن هناك من يسند، ولا من يعين، المجتمع صمت، والدعم غاب، والعائلة عاشت عزلة قاسية، لا صوت يواسيها، ولا باب يُفتح في وجهها، لم يملكوا شيئاً سوى ألم لا يُقال، وغصة لا تذهب.

عائلة حسان لا تطلب المستحيل، ما يريدونه هو أبسط حقوقهم: العدالة، أن يُحاسب من قتل ابنهم، أن تُقال الحقيقة، أن يُعترف بأن حسان لم يكن مجرد رقم في سجل الضحايا، بل كان أباً، إنساناً، وحُلماً قُتل ظلماً، ويطالبون بتسليط الضوء على قضيته، وعلى قضايا كل من فقدوا أحبّتهم في صمت، يريدون من العالم أن يعرف أن هناك من يُقتل لمجرد انتمائه لمكان، أو لقبيلة، أو لأنه أراد أن يبيع الخبز بدلاً من أن يحمل السلاح.

القصة 28: حسين محمد الحمود

كان حسين محمد الحمود، ابن بلدة الكشكية، شاباً في التاسعة والعشرين من عمره، متزوج وأب لثلاثة أطفال-ولدان وبنت وحيدة- عمله كصياد في نهر الفرات لم يكن مجرد مصدر رزق، بل نمط حياة يعبّر عن ارتباطه بالأرض والماء والكرامة، في 10 آب 2014، وبينما كان في بيته، المكان الذي اعتاد أن يمنح فيه عائلته الأمان، داهمته عناصر تنظيم داعش واعتقلته دون تهمة، ومنذ ذلك الحين، لم يُعرف له أثر.

كان حسين يعرفه الجميع في البلدة ببساطته وكرمه، يخرج عند الفجر، يلقي شباكه في النهر، ويعود بثمار يومه إلى أسرته، ثم يوزّع ما زاد عن حاجتهم على من لا يملك، في عينيه كان هناك إصرار، وفي خطواته صمت الصابرين، حلمه كان بيتاً صغيراً يلمّ شمل أسرته، يحميهم من برد الأيام، ويمنح أولاده فرصة للنمو في ظل الأمان، لم يكن يحلم بالكثير، فقط حياة مستقرة وكريمة لأطفاله، وأن يراهم يكبرون وهو يروي لهم قصص الصيد، ويعلّمهم كيف يصطادون الرزق بالحلال والصبر.

في صباح 10 آب2014 ، باغتته مجموعة مسلحة من داعش داخل بيته، لم يكن له يد في أي صراع، ولم يكن يتبع لأي جهة، لكنه كان من أبناء منطقة الشعيطات، وهذا وحده كان كافياً لاعتقاله، لم تسمح له العناصر بأن يودّع أبناءه، ولا أن يلتقط أنفاسه، خرج ولم يعد، ومنذ ذلك اليوم، لم تعرف العائلة عنه شيئاً، غاب صوته، وغابت ابتسامته التي كانت تملأ البيت، وبدأت رحلة الألم الطويلة.

بحثت العائلة في كل مكان، تنقلت بين القرى، طرقت أبواب الناجين، وتواصلت حتى مع عناصر من داعش على أمل أن تسمع شيئاً، أي شيء، لكن كل المحاولات قوبلت بالصمت أو التضليل، لم يقدّم لهم أحد معلومة مؤكدة، ولم يجدوا له أثراً في المقابر الجماعية التي زاروها رغم المخاطر والتهديدات، العائلة خاضت رحلة بحث لم تكن فقط عن ابنها، بل عن جزء من كرامتها، لكن غياب الدعم القانوني والنفسي زاد العزلة، لم تساندهم أي جهة، ولم يسمع أحد صراخهم الداخلي، وحدهم في مواجهة الألم، يحملون ذاكرته، ويبحثون عنه بين الغبار والقبور.

بغيابه، انهار كل ما كان ثابتاً، حسين لم يكن مجرد معيل، بل كان السند النفسي والعاطفي لأسرته، عائلته فقدت دفء الحياة، وغرق البيت في صمت طويل لا تكسره سوى تنهيدات زوجته، التي تحوّلت حياتها إلى انتظار مؤلم ودوامة من الأسى، أطفاله، صغار لا يفهمون معنى الغياب، باتوا يسألون عنه كل يوم، ووالدتهم تخفي دموعها خلف ابتسامة منهارة، حافظت العائلة على أشيائه، شباك الصيد، سترته، وصورته في الجوال، كأنها أدوات لاستحضاره من الغياب، والفقر كان الضيف الجديد بعده، فالعائلة التي كانت تعيش على جهد حسين، اضطرت لبيع بعض ممتلكاتها لتأمين لقمة العيش، ومع الوقت، تدهورت أوضاعهم، ولم تجد الزوجة مَن يسندها في معركة الحياة.

ما تريده عائلة حسين بسيط وعظيم في آنٍ معاً: الحقيقة، أن يعرفوا أين هو، من اعتقله، ولماذا اختفى، يريدون أن يسمعوا من محكمة عادلة: "نحن نعرف ما حدث... ونحن نحاسب من فعل"، لم يفقدوا الأمل رغم كل شيء، ولديهم إيمان بأن العدالة ممكنة، وقصتهم، كما يقولون، ليست قصة فرد، بل قصة مئات من أمثال حسين، اختفوا في الصمت، وتُركت عائلاتهم تحارب وحدها في وجه الغياب.

القصة 29: أحمد حمود النايف

أحمد حمود النايف، رجل في الخامسة والثلاثين من عمره، من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، متزوج وأب لخمسة أطفال، ثلاث بنات وولدان، أكبرهم في السادسة من عمره، وأصغرهم لم يبلغ الستة أشهر حين وقعت المأساة، كان يعمل في محطة زراعية داخل البلدة، موظفاً بسيطاً شريفاً، لم يكن يملك من الدنيا سوى عمله وأسرته، وأحلام صغيرة يحيكها في هدوء بعيداً عن ضجيج الحرب.

كان أحمد نموذجاً للرجل الهادئ المستقيم، الملتزم بعمله وأسرته، والمبتعد عن كل ما من شأنه أن يجره إلى الفوضى أو العنف، كان يذهب يومياً إلى عمله في المحطة الزراعية، يعود مع غروب الشمس ليجلس بين أطفاله، يضحك مع ابنته الكبرى، ويحمل رضيعه بين يديه، ويرسم في خياله مستقبلاً يليق بهم، حلمه لم يكن ضخماً، بل واضحاً ومحدّداً: أن يبني بيتاً صغيراً يحتضن أطفاله، يمنحهم الأمان، ويمنع عنهم برد النزوح وعري الفقر، وكان يعمل من أجل هذا البيت، حجراً فوق حجر، ويؤمن أن فيه سيكون الخلاص من المجهول.

في الرابع عشر من آب عام 2014، وبعد أن نزح مع أسرته إلى بلدة البحرة هرباً من بطش تنظيم داعش، أُوقف أحمد أثناء تنقّله، واقتيد إلى جهة مجهولة، لم يعرف أحد إلى أين ذهب، ولا على يد من، ولا بأي ذريعة أُخذ، اختفى في لحظة كما اختفى المئات، وظلت أسرته، زوجته وأطفاله الصغار، تنتظر خبراً لا يأتي، ومع عودة بعض الأهالي إلى بلدة أبو حمام بعد انحسار التنظيم، بدأت تتكشف بشاعة الواقع: مقابر جماعية على أطراف البلدة، تضمّ أجساداً مجهولة، تحكي فصولاً من الرعب بصمتٍ ثقيل، وفي واحدة من هذه المقابر، وُجد أحمد، مقتولاً بدم بارد، دون محاكمة، دون وداع، ودون أن يعرف حتى لماذا أصبح جثة في أرضٍ غريبة.

منذ لحظة اختفائه، بدأت رحلة البحث الطويلة، محمّلة بالترقّب والخوف والأسئلة التي بلا أجوبة، في البداية، بحثت العائلة عنه خفية، ثم علناً، ثم في صمتٍ مُرّ، لم يكن لديهم من يسألونه، ولا جهة يلجؤون إليها، فقد كان الخوف سيّد المكان، والناس لا تتحدث إلا همساً، ومع عودتهم إلى بلدة الكشكية، استأنفوا البحث، لكن هذه المرة في المقابر، يبحثون بين القبور عن وجهٍ مألوف، أو قطعة قماش تدلّ على من فقدوا، وعندما وُجد أحمد، توقّف البحث، لكن الألم لم يتوقّف.

كان أحمد المعيل الوحيد لأسرته، ورحيله المفاجئ تركها في مواجهة حياة أقسى من أن تُحتمل، لم يكن مجرد زوج وأب، بل كان الحائط الذي تتكئ عليه العائلة، وفقدانه أحدث شرخاً عميقًا في نفس زوجته، التي لم تكن تملك خياراً سوى التماسك أمام أطفالها، بينما الحزن ينخر قلبها، تدهورت حالتها الصحية، وبدت آثار الكآبة والقلق واضحة عليها، فيما بدأ الأطفال بالتراجع نفسياً وسلوكياً نتيجة الغياب والارتباك وانعدام الأمان، واقتصادياً، وجدت العائلة نفسها في مهبّ الحاجة، فاضطرت لبيع دراجته النارية – وهي وسيلة تنقله الوحيدة ومصدر رزق إضافي – لكن حتى ذلك لم يكفِ، ومع مرور الوقت، تدهور حالهم حتى باتوا في حالة يُرثى لها، عاجزين عن تلبية أبسط احتياجاتهم، يواجهون الفقر بقهر وصمت، بلا معيل، وبلا مورد، وبلا دعم.

تؤمن عائلة أحمد أن العدالة لا تبدأ بالتعويض، بل بالاعتراف، بالمحاسبة، بكشف الحقيقة كاملة، ومواجهة الجناة بما اقترفوه، هم لا يطلبون المستحيل، بل أبسط حقوق البشر: أن تُقال الحقيقة، وأن يُحاكم من قتل أباهم، وأن يُسمّى الظلم باسمه، ويطالبون بدعم مادي عاجل، فهم لا يملكون قوت يومهم، ولا قدرة على العلاج أو التعليم، كما يطالبون بدعم نفسي، علّ ما تبقّى من أبنائه ينجو من هذا الإرث الثقيل من الرعب والانكسار، وهم يدركون أن سرد الحكاية، هو الخطوة الأولى نحو العدالة، وأن إيصال الصوت إلى المنظمات الحقوقية والإعلام هو السلاح الوحيد المتاح لهم في معركة باردة، لا رصاص فيها، لكن فيها جراح لا تُشفى.

القصة 30: علي محمد النايف

كان علي محمد النايف رجلاً في الخامسة والخمسين من عمره، يحمل على وجهه آثار حياة طويلة من الكفاح، وتجاعيد رسمتها الشمس، وشيبٌ مبكر أعلنه التعب، متزوج وأب لثمانية أبناء – خمسة ذكور وثلاث بنات – كان يسكن في بلدة الكشكية، ويعيش بين يديه مزيجٌ من الطين والإسمنت والزرع، وفي صباح 12 آب 2014، وأثناء التحضير للنزوح من البلدة التي بدأت تشتعل فيها رائحة الخطر، اقتحم عناصر تنظيم داعش منزله، واعتقلوه دون تهمة، ليغيب منذ تلك اللحظة، دون أي أثر، ودون أن يُعرف مصيره حتى اليوم.

لم يكن علي رجلاً عادياً في مجتمعه، كان مثالاً للوقار والصبر، ورمزاً للرجل الذي لا يتعب من البناء؛ لا بناء الجدران فقط، بل بناء القيم، وبناء مستقبل أطفاله، حياته كانت سلسلة من العطاءات اليومية يكدح في البناء ليؤمّن دخلاً، ويزرع في الأرض ليستكمل ما ينقص، كان حلمه بسيطاً: أن يرى أبناءه يكبرون في بيت دافئ، يواصلون تعليمهم، ويبنون مستقبلاً أفضل، بعيداً عن الحاجة والذل.

في 12 آب 2014، كانت البلدة تغلي تحت تهديد الاجتياح، وكان الناس يجهزون أنفسهم للمغادرة، وعلي لم يكن استثناءً، بل كان يستعد مع عائلته للرحيل، محاولاً تأمين ما يمكن إنقاذه، لكن الوقت لم يُسعفه، دخلت عناصر داعش منزله، واقتادته من وسط عائلته دون تفسير، لم تكن هناك مقاومة، ولا فرصة لوداع، مشى معهم إلى مصير مجهول، ولم يُعرف عنه شيء منذ ذلك الحين، غاب الأب، وغابت معه السكينة، لم تكن لحظة عادية، بل كانت بداية انهيار لعائلة بأكملها، واجهت بعدها حياة قاسية، بلا معيل، وبلا إجابة.

بدأت العائلة رحلة البحث عنه دون خارطة، مسنودة فقط بالأمل، كانت زوجته أول من تحرّك، تسأل، تتواصل مع من نجا من معتقلات داعش، تفتش في كل رواية عن أثرٍ يمكن أن يدل على مصيره، لكن كل ما وصلهم كان شهادات عن لحظة الاعتقال، دون ما بعدها، زاروا المقابر الجماعية كلما سمعوا بخبر جديد، لكن الأمل كان يُدفن مع كل مقبرة لم يجدوا فيها ما يدل عليهم، تعرّضوا للتضليل مرات، وتلقوا وعوداً كاذبة، لكنهم لم يتوقفوا.

كان غيابه بمثابة زلزال هدم أساس البيت، ولم تبقَ زاوية لم يمسّها الحزن، الزوجة التي طالما اعتمدت عليه في كل تفاصيل الحياة، دخلت في دوامة من الهلع، واكتئاب لا ينتهي، بناته وأبناؤه فقدوا ليس فقط والدهم، بل المرشد، السند، ومصدر الأمان، تحوّل المنزل إلى مكان صامت، تغلب عليه نظرات الانتظار، وتثقل أجواءه ذكريات الماضي، كانوا يرونه في كل شيء: ثيابه المعلّقة، أدوات عمله، نظراته في صورٍ لم تعُد تنبض بالحياة.

رسالة العائلة اليوم ليست انتقاماً، بل معرفة، يريدون أن يعرفوا أين هو، وماذا جرى له، ومن المسؤول عن خطفه واختفائه، يريدون أن يُذكر اسمه، أن يُعترف به كضحية، لا كرقم في أرشيف منسي، ويطالبون بدعمٍ حقيقي، ليس فقط مادياً، بل نفسياً واجتماعياً، ليس لأنهم يستحقون الشفقة، بل لأنهم يستحقون جبر الضرر، وإعادة الكرامة لعائلة كُسرت دون ذنب، ويناشدون الإعلام والمنظمات الحقوقية ألا تترك هذه القصة تموت في الظل، فلكل ضحية حكاية، ولكل حكاية واجب أن تُروى، فالعدالة لا تبدأ في المحاكم فقط، بل تبدأ حين يُقال اسم المفقود، ويُعاد له وجوده الرمزي والإنساني.

القصة 31: خلف محسن النايف

كان خلف محسن النايف رجلاً في الخامسة والأربعين من عمره، مزارعاً بسيطاً عاش حياته في بلدة الكشكية، حيث تعلّم أن الأرض لا تعطي إلا لمن يخلص لها، متزوج، وأب لستة أبناء – أربعة ذكور وبنتين – كان أكبرهم في العاشرة من عمره، وأصغرهم لم يُكمل عامه الأول بعد، وفي الثاني عشر من آب 2014، اقتحم عناصر تنظيم داعش منزله واعتقلوه دون سابق إنذار، ومنذ تلك اللحظة، لم تعرف العائلة مصيره.

خلف لم يكن مجرد مزارع يزرع الأرض، بل كان يزرع القيم في مجتمعه، كان كرماً يمشي على قدمين، يمنح مما تنتجه أرضه للفقراء والمحتاجين دون أن ينتظر جزاءً أو شكراً، حياته كانت بسيطة، لكنها مشحونة بالمعنى، مملوءة بالإصرار على أن تظل عائلته مرفوعة الرأس، حتى في أشدّ أيام الضيق، لم يكن حلمه كبيراً في أعين الناس، لكنه كان عظيماً في قلبه: أن يُنشئ أبناءه على الاستقامة والعمل والكرامة، وأن يمنحهم حياة مستقرة من عرق جبينه.

كان البيت دافئاً، يعجّ بالحياة، حين اقتحمته فجأة دورية تابعة لتنظيم داعش، لم يكن خلف متخفياً أو هارباً، بل كان في بيته، وسط أسرته، يستعد ليوم جديد من العمل في الأرض، ودون أي توضيح، اعتُقل أمام عائلته، واصطحبوه إلى جهة مجهولة، لم يُمنح وقتاً لتوديع أطفاله، ولا فرصة ليعلم لماذا يُؤخذ أصلاً، ومنذ ذلك اليوم – 12 آب 2014 – صار المنزل الذي كان يعجّ بالصوت والحياة، مكاناً يغلفه الصمت والحزن، وتحوّل غيابه من لحظة إلى زمن، ومن حدث إلى جرحٍ مفتوح لا شفاء له.

ورغم الخوف، تحركت العائلة مدفوعة بصلابة الزوجة، التي رفضت أن تصمت أو تستسلم، تواصلت مع كل من عرفت، وذهبت إلى كل مكان يُحتمل أن يُحتجز فيه، لكنها لم تجد سوى الحيرة، حتى الشهود الذين رأوا لحظة اعتقاله لم يملكوا ما يكفي من التفاصيل، وزيارات المقابر الجماعية كانت رحلة يومية مليئة بالأمل الممزوج بالرعب، وزاد من مرارتهم تعرضهم للكذب والخداع من بعض المتعاونين مع التنظيم، مما زاد من الغموض ولم يقدّم أي يقين.

كان خلف حجر الأساس في حياتهم، ليس فقط المعيل، بل الروح التي كانت تضبط إيقاع الأسرة، والقوة التي كانت تمنح الجميع ثقة بالمستقبل، وبرحيله، تفكك البناء النفسي للأسرة، الزوجة وقعت فريسة الحزن، والأبناء وجدوا أنفسهم في مواجهة حياة قاسية دون سند. كلماتهم تضاءلت، وضحكاتهم اختفت، وأصبح الصمت لغة يومهم، وسرعان ما ظهرت عليهم آثار الفقد جسدياً ونفسياً، ومع كل ذلك، حافظوا على ما تبقى من ذكراه – ملابسه، أدواته الزراعية، أشياؤه الصغيرة – كأنها تحمل ما تبقى من صوته ونبضه، اقتصادياً، كان لغيابه ثمن باهظ، اضطر الأبناء للعمل في سن مبكرة، ليس طموحاً، بل اضطراراً.

لا تزال العائلة تعيش في انتظار، لا موت مؤكد، ولا حياة يمكن الوثوق بها، مطلبهم بسيط وواضح: كشف الحقيقة، هم لا يطلبون إلا أن يعرفوا، فقط أن يعرفوا، فالحقيقة وحدها – مهما كانت – قد تُخرجهم من دائرة الشك، وتمنحهم القدرة على الحزن الصحيح، الحزن الذي يأتي بعد اليقين، ويطالبون المنظمات الحقوقية والإنسانية، لا فقط بتوثيق قصتهم، بل بدعم حقيقي لعائلات الضحايا، فهؤلاء الأبناء الذين فقدوا آباءهم، لا يستحقون أن يُحرموا من التعليم والعمل والكرامة أيضاً، فالعدالة لا تكون فقط في المحكمة، بل في المدارس والبيوت التي يجب أن تُبنى من جديد.

القصة 32: صالح بركات العلي

كان صالح بركات العلي رجلاً في الخمسين من عمره، أعزب، من ذوي الاحتياجات الخاصة، لا يقوى على حمل السلاح ولا يشغل عملاً محدداً، عاش حياته في بلدة الكشكية، مكتفياً بوجوده البسيط، يقضي أيامه جالساً مع الأطفال يشاركهم لعبهم وضحكهم، لم يكن مصدر خطر على أحد، بل كان مصدر بهجة، وفي 17 آب 2014، اعتقله تنظيم داعش دون سبب، ومنذ ذلك الحين، تحوّل اسمه إلى جرح مفتوح في ذاكرة البلدة.

لم يكن صالح ساعياً خلف المال أو المجد، لم يطمح لمنصب، ولم يحمل همًّا خارج يومه، لكنه كان يحمل ما لا يستطيع كثيرون حمله خفة الروح، وصدق النية، ومحبة الناس، كان يجلس في زوايا الحارات، يضحك مع الأطفال، يمازحهم، يخلق عالماً من الفرح المجاني وسط حياة تزداد قسوة كل يوم، أهل الحي أحبوه لأنه كان مرآة لطفولتهم، وجوده كان كافياً ليشعر الناس أن الحياة ما زالت تحتفظ بجمالها في تفاصيل صغيرة، لم يحمل سلاحاً، ولا دخل في خصومة، ولم يكن طرفاً في أي نزاع، بل كان أقرب إلى "الهدنة المتحركة" وسط صراعات الجميع.

بعد نزوحه مع أهله إلى بلدة البحرة، اعتقد الجميع أن صالح سيكون في مأمن، فلا هو مقاتل، ولا هو فاعل في أي شأن سياسي أو اجتماعي، لكن يد الظلم كانت أوسع من أن تميز، وأكثر قسوة من أن ترحم، وفي لحظة لا منطق فيها، تم اعتقاله من قبل عناصر داعش، تجاهلوا إعاقته، تجاهلوا براءته، وجرّوه نحو مصير مجهول، اختفى صالح منذ ذلك اليوم -17 آب 2014- وصار اسمه يتردد على ألسنة أهل الحي وهم يتساءلون: "لماذا؟"، كان الغياب كابوساً بلا تفسير، لم يكن هنالك ما يبرر اعتقاله، ولا ما يطمئن عن مصيره، وعندما عاد أهله إلى منطقتهم بعد شهور، كان الجواب أكثر قسوة من الأسئلة: جثته كانت ملقاة على أطراف بلدة غرانيج، شاهدة على جريمة لا تبرير لها، وصمتٍ لا تفسير له.

منذ لحظة اختفائه، بدأت العائلة رحلة البحث بكل ما امتلكت من أمل، لم يكن لديهم دليل أو خيط يقودهم، لكنهم لم يستسلموا، سألوا، بحثوا، انتظروا، وطرقوا أبواباً مغلقة كثيرة، وكل يوم يمر كان يحمل احتمالات مريرة، لكن لم يكن أمامهم خيار سوى الانتظار، ومع العودة إلى المنطقة، كانت الصدمة الأكبر: الجثة التي وجدوها على أطراف غرانيج، المتحللة والمرمية، أنهت رحلة البحث، لكنها فتحت باباً جديداً من الألم، دفنوه بكرامة، رغم أنه لم يُعامل بها، وأرادوا أن يكون ذلك الوداع بداية لتكريم ذكراه، لا نهاية لقيمته في حياتهم.

لم يكن صالح معيلاً مادياً، لكنه كان معيلاً روحياً، كان وجوده يمنح العائلة اتزاناً عاطفياً لا يُقدَّر بثمن، وغيابه لم يترك فراغاً مالياً، بل ترك هوة في القلوب، صمتاً قاتلاً حل مكان الضحك، وثقلاً نفسياً لا تُزيله الأيام، فق كان حضوره في البيت خفيفاً كنسمة، وغيابه أثقل من كل الحجارة.

العائلة اليوم لا تطلب المستحيل، تطلب فقط الاعتراف بأن ما حدث لصالح كان ظلماً صارخاً، وجريمة ضد إنسان أعزل لا حول له ولا قوة، وتطلب أن تُقال الحقيقة، حتى لو تأخرت، لأنها وحدها ما يمكن أن يخفف وطأة الغياب، ويطالبون أن يُعترف بهم كضحايا، أن لا تُنسى قصتهم، أن لا يُختصر صالح في سطر، بل أن يُروى كوجه من وجوه المأساة التي طالت أكثر الناس براءة، أما رسالتهم للإعلام، فهي ألا يدير وجهه، أن يُبقي الضوء مُسلطاً، أن يُعيد للضحايا أسماءهم، وصورهم، وحكاياتهم، فكل قصة تُروى، تقرّبنا من العدالة، وتقلل من مساحة الظلم.

القصة 33: شفاق العلي العبد الله

كان شفاق العلي العبد الله رجلاً خمسينياً من بلدة أبو حمام في دير الزور، متزوجاً وأباً لعشرة أبناء – ستة ذكور وأربع إناث – يعيش حياةً بسيطة لكنها مليئة بالعطاء والمسؤولية، عمله في تجارة الأغنام والأبقار جعله معروفاً في السوق المحلي، لا بتجربته التجارية فحسب، بل بصدقه وأخلاقه وسمعته الحسنة، وفي 17 آب 2014، تم اعتقاله على يد تنظيم داعش، وبعد أيام، وُجد مقتولاً، في جريمة أغلقت باباً من أبواب الخير في بلدته، وفتحت على أسرته باباً من الغياب الطويل والألم العميق.

كان شفاق نموذجاً للتاجر الشريف الذي يربح باحترام، ويعامل الناس بأخلاق لا يفسدها المال ولا تقلبات السوق، لم يكن يُعرف فقط في "الماگف"، حيث تُباع وتُشترى المواشي، بل كان أيضاً حاضراً في بيوت الناس بكلمته الطيبة وسيرته العطرة، وفي قلبه، لم تكن التجارة هدفاً بل وسيلة لتأمين حياة كريمة لعائلته، وحلمه الدائم كان أن يرى أبناءه يعيشون باستقرار، يُنشئون أسراً، ويكملون مشوار حياته بقيمه التي غرسها فيهم.

بعد نزوحه إلى البحرة مع أفراد أسرته، استقروا في مدرسة تحوّلت إلى مأوى بعد أن هربوا من الخطر، لكن الطمأنينة التي حاول أن يوفرها لعائلته لم تدم طويلاً، ففي 17 آب 2014، جاءت دورية تابعة لتنظيم داعش إلى المدرسة، واعتقلته دون توضيح أي سبب، في لحظة صمت فيها كل شيء، ولم يبقَ سوى الخوف والذهول، اختفى شفاق بعدها، وانقطعت أخباره، لم تكن هناك رسالة، ولا حتى إشاعة تطمئن العائلة، مرت الأيام على وقع الانتظار، حتى جاءت الحقيقة بأقسى صورها: اسمه كان من بين أسماء من تم العثور عليهم في المقابر الجماعية في بلدة أبو حمام، النهاية لم تكن مجرد غياب جسد، بل غياب عمود بيت، ونبع حنان، وسند لعشرة أرواح كانت تستند عليه.

في البداية، كان الخوف يقيّد حركتهم، لم يجرؤ أحد على السؤال أو المطالبة، لكن بعد أن خفتت قبضة داعش، بدأوا بالتحرك، وقدموا بلاغاً حتى إلى من كان يسمى "الوالي" في ذلك الوقت، لم يتلقوا سوى الوعود الكاذبة، والقلوب المغلقة، لكن ما لم تقله الكلمات، قاله الثوب الممزق، في المقابر الجماعية، تعرفت الزوجة على جثته من لباسه، قطعة القماش التي خاطتها بنفسها، وكانت تلك اللحظة نهاية رحلة من الانتظار، وبداية جرح لن يندمل.

غياب شفاق كان بمثابة انهيار للأساس الذي بنيت عليه العائلة، لم يكن فقط المُعيل، بل كان البوصلة التي ترشد، والصوت الذي يهدّئ، والحضور الذي يزرع الطمأنينة، وبعده، سقطت العائلة في دوامة من الحزن، والقلق، وعدم الاستقرار، وحالة الأسرة الاقتصادية انحدرت بشكل مؤلم، لم يتمكنوا من بيع ممتلكاته، ليس لأنهم أغنياء، بل لأن تلك الممتلكات باتت رمزاً له، وبيعها كان بالنسبة لهم كأنهم يبيعون ما تبقى منه، ومع كل يوم، كانت الحياة تزداد قسوة، فالفقر لم يكن فقط قلة في المال، بل قسوة في المعنى، حين تقف الأم عاجزة أمام أطفالها ولا تملك سوى الذكريات.

اليوم، لا تبحث عائلة شفاق عن كلمات عزاء، بل عن موقف، عن عدالة تنصفهم، وتعيد إليهم جزءاً من كرامتهم المهدورة، هم لا يطلبون شيئاً صعباً، فقط أن يُقال ما جرى بصوتٍ واضح، أن تُفتح الملفات، وأن يُحاسب القتلة، ويطالبون بجبر الضرر، لا فقط بالمساعدات المادية التي يحتاجونها بشدة، بل أيضاً باعتراف واضح بأن ما جرى لهم كان ظلماً، وللمنظمات الحقوقية، يوجهون دعوة صريحة: مدوا أيديكم. ولوسائل الإعلام، يرفعون صوتهم: لا تتركونا في الظل، فكل قصة تُروى هي معركة ضد النسيان، وضد تكرار المأساة.

القصة 34: حسين العماش الجبل

كان حسين العماش الجبل شاباً في الثانية والعشرين من عمره، متزوجاً وأباً لولد وبنت، عاش في بلدة أبو حمام بمحافظة دير الزور، لكنه قضى معظم وقته يعمل في إحدى دول الخليج كنجار، حيث كان يسعى جاهداً لتأمين مستقبل أفضل لعائلته، عاد إلى وطنه ليقضي عطلة العيد مع والدته وأسرته، حاملاً الهدايا والأمل ودفء اللقاء، لكن القدر كان أقسى من كل التوقعات، ففي 17 آب 2014، اعتُقل حسين على أحد الحواجز أثناء رحلة النزوح، واختفى بعدها إلى الأبد، تاركاً خلفه حُلماً انكسر، وعائلةً تتجرع الألم كل يوم.

حسين لم يكن مجرد شاب يعمل في الغربة، كان ركيزة عائلته، الابن الوحيد لأمه، والسند الأول لزوجته وطفليه، تحمل مشقة السفر والغربة ليصنع مستقبلاً كريماً لهم، وحرص رغم كل الظروف على ألا تغيب عنه ملامح الحب والانتماء، كان يعود إلى أهله في كل مناسبة، ويقضي أيامه بينهم وكأنها حياة كاملة يعوّض بها غياب الشهور، ورغم طموحاته الكبيرة في العمل، لم تكن الغربة هدفه النهائي، بل وسيلة لبناء بيت دافئ في بلده، يجمع فيه أسرته تحت سقف واحد، يمنحهم فيه الأمان والاستقرار، لكن ما لم يدركه، أن العيد الذي عاد من أجله، سيكون آخر عيد يشهده معهم.

عندما بدأت نُذر الخطر تلوح في الأفق، نزح حسين مع عائلته بحثاً عن مأوى مؤقت، ومع تفاقم الأوضاع، انتقل مع أخواله إلى منزل مؤقت يضم نحو 200 شخص، كان هدفهم أن يجدوا بعض الاستقرار ولو ليومين، ولكن أثناء محاولتهم التنقل إلى مكان آخر، اعترضتهم دورية تابعة لتنظيم داعش، عند الحاجز، لم يكن هناك اتهام أو استجواب فقط أمر بالاعتقال، وفي 17 آب 2014، تم اقتياد حسين إلى مكان مجهول، لم يُعرف مصيره، ولم يتلقَ أهله أي خبر عنه بعد تلك اللحظة.

في البداية، كان الصمت يسيطر على الموقف، لم يكن لدى العائلة أي معلومة عن مصيره، ولم يعرفوا أين يبحثون، أو كيف يبدأون، كانت محاولاتهم مبعثرة، يائسة أحياناً، مدفوعة بالأمل، لكنها تصطدم دائماً بجدار الغموض، ومع عودتهم إلى منطقتهم لاحقاً، بدأت الحقيقة تنجلي، المقابر الجماعية كانت المحطة التالية، حيث اختلط الأمل بالخوف، وهناك، تبيّن لهم ما لم يريدوا تصديقه، لم تكن هناك كلمات تصف اللحظة التي تأكدوا فيها من مقتله، ولا تلك النظرة الأخيرة على ملابسه وآثار وجوده، كانت نهاية رحلة بحثٍ لم تكن تريد أن تنتهي بهذه الطريقة.

كان حسين نبضاً لثلاثة قلوب: والدته، زوجته، وأطفاله، وبغيابه، اختل توازن هذه الأرواح، وتبددت ملامح الطمأنينة التي كان يزرعها فيهم، والدته، التي فقدت وحيدها، لم تعد ترى للحياة طعماً، وغرقت في حزنٍ متجدد لا تنطفئ نيرانه، تحتفظ بملابسه، تحضنها، وتسترجع صوته وابتسامته في تفاصيل صغيرة لا تُنسى، أما الطفلان، فانتقلا إلى حضن الجدة التي لم تكن تملك إلا الحب، ولا تملك ما يكفي لمواجهة أعباء الحياة، وأصبحوا جميعاً في مواجهة واقع قاس، بلا دخل ثابت، ولا سند مادي، ولا دعم معنوي.

لم تكن عائلة حسين لتطلب الكثير، كل ما يريدونه هو أن يُقال ما جرى بصوتٍ عالٍ، أن يُعرف القاتل، ويُحاسب، وأن يُعترف بأن حسين لم يكن ضحية صمت، بل ضحية جريمة واضحة، كما يطالبون بجبر الضرر، وخصوصاً في شقه المادي، فغياب حسين خلّف فراغاً اقتصادياً لا يزال يؤرقهم.

القصة 35: يوسف جميل الجعيلة

كان يوسف جميل الجعيلة شاباً في العشرين من عمره، متزوجاً وأباً لطفلين لم يتجاوزا الثانية من العمر، عاش في بلدة أبو حمام بمحافظة دير الزور، وعمل خياطاً بحِرَفية وصبر، جامعاً بين المهارة والطموح، كان شاباً يفيض بالحيوية، مقبلاً على الحياة بأحلام كبيرة رغم صغر سنه، يحمل التزاماً دينياً وأخلاقياً رفيعاً، وفي 17 آب 2014، اعتُقل يوسف من قبل تنظيم داعش دون تهمة أو سبب، واختفى أثره في غياهب الظلم، ليُسدل الستار على حلمٍ لم يُكمل مساره.

كان يوسف شاباً متديناً وهادئاً، يعيش حياة بسيطة مليئة بالقيم، يسعى لكسب رزقه من عمله كخياط في البلدة، لم يكن انشغاله بالعمل يمنعه من مسيرة حفظ القرآن الكريم، والتي كانت بالنسبة له ملاذاً روحياً ومصدر إلهام لتربية أولاده لاحقاً على الخير والاستقامة، وكان يخطط لتنشئتهم على القيم التي نشأ هو عليها، ليكونوا أبناء صالحين لمجتمعهم.

بعد نزوح العائلة إلى منطقة البحرة بحثاً عن الأمان من بطش داعش، اجتمعوا جميعاً في منزل واحد على أمل أن تكون هذه الأزمة مؤقتة، إلا أن المخاوف تحققت سريعاً، في البداية، جاءت دورية من عناصر التنظيم تطلب من الشباب طباعة هويات، وهو طلب غريب ومثير للشك، رفض يوسف وإخوته الذهاب، لكن في اليوم التالي، عادت الدورية بإصرار، واقتادتهم معهم، ومنذ تلك اللحظة، لم يُعرف لهم مصير، كان ذلك في 17 آب 2014، لحظة غامضة ومباغتة بدّدت كل أحلام يوسف، لم يشفع له براءته، ولا حداثة عمره، فتم اعتقاله دون سبب، واختفى دون أثر.

منذ لحظة اختفائه، انطلقت العائلة في رحلة مؤلمة للبحث عنه، لم تترك سؤالاً إلا وطرحته، ولا جهة إلا وطرقتها، دون أن تحصل على أي إجابة، لم يكن لديهم سوى الأمل، الذي تآكل يوماً بعد يوم، ليبقى مجرد شعور مؤلم بالانتظار، وفي النهاية، قادتهم خطواتهم إلى المقابر الجماعية، حيث تأكدت الحقيقة التي كانوا يخشونها، رؤية جسده كانت لحظة قاسية، لكنها كانت أيضاً نهاية لرحلة من الشك، وبداية لألمٍ من نوع آخر، ألم الحقيقة المجرّدة أنه قُتل.

غياب يوسف لم يكن مجرد فقدٍ جسدي، بل كان فقداناً للأمان، والاستقرار، والأمل، كان عموداً صغيراً لكنه صلب في عائلته، يعتمدون عليه مادياً ونفسياً، وبغيابه، وجدت العائلة نفسها في حالة من الانهيار، ومعها زوجته وأطفاله الصغار، الذين لم يكونوا يدركون ما الذي جرى، سوى أن والدهم لم يعد، والده ووالدته كانا يعيشون ألماً مزدوجاً، ألم فقدان ابن، وألم العجز عن حمايته، والفقر بات واقعاً قاسياً بعد غيابه، إذ لم يكن هناك معيل بديل، اضطر الجميع للتأقلم مع نقص الموارد والاعتماد على بعض الدعم المجتمعي، لكن ذلك لم يكن كافياً لسد الفجوة التي تركها غيابه.

اليوم، تحمل العائلة وجعها في قلبها، وتضع العدالة في مقدمة مطالبها، هي لا تسعى للانتقام، بقدر ما تطلب كشف الحقيقة، وتسمية الجناة، ومحاسبتهم، كي لا تذهب أرواح يوسف وإخوته سُدى، وترى العائلة أن تحقيق العدالة هو السبيل الوحيد لإغلاق هذا الجرح المفتوح، كما توجه العائلة نداءً واضحاً للمنظمات الإنسانية والإعلام: لا تتركونا وحدنا، قصصنا ليست مجرد سطور حزينة، بل شواهد على جريمة لن تُنسى ما لم تتحقق العدالة، فنشر القصص، الضغط الإعلامي، وتحريك الملفات النائمة قد تكون الفرصة الأخيرة لتحرير الضحايا من نسيانٍ قاتل.

القصة 36: أنور الجعيلة

أنور جميل الجعيلة، شاب في الثلاثين من عمره من بلدة أبو حمام بمحافظة دير الزور، متزوج وأب لثمانية أطفال – أربع بنات وأربعة أولاد، أكبرهم في الحادية عشرة وأصغرهم لم يزل رضيعاً، كان يعمل تاجراً في الأدوات الكهربائية، ويُعرف بنشاطه ونجاحه في السوق المحلي، وفي 17 آب 2014، اختطفته يد الظلم حين اعتقلته دورية تابعة لتنظيم داعش، لينقطع أثره بعدها حتى اليوم، ويغيب من كان "وردة البيت" في عيون والده وأحبّته.

كان أنور مثالاً للابن البار، الشاب المجتهد الذي لم يكن يعمل فقط من أجل أسرته الصغيرة، بل كان سنداً لوالده وركيزة أساسية للعائلة الممتدة، وبذكائه في التجارة ومثابرته، تمكن من بناء حياة مستقرة لعائلته، وكان حاضراً دائماً في كل تفاصيل حياتهم، صغيرها وكبيرها، كان يحلم بأن يرى أبناءه يكبرون على القيم والمبادئ التي نشأ عليها، وأن يكون لهم مستقبل أفضل مما عاشه هو.

بعد أن نزحت العائلة إلى منطقة البحرة بفعل التهديدات المستمرة من تنظيم داعش، حاولوا التأقلم مع وضعهم الجديد وسط أجواء من الخوف وعدم اليقين، وبينما كانوا يعيشون أيامهم بحذر، حضرت دورية تابعة للتنظيم وطلبت من الشباب مرافقتهم "لطباعة هوياتهم"، بدا الطلب غريبًا، لكن التهديدات التي صاحبت الطلب جعلت الرفض مستحيلاً، وفي 17 آب 2014، اقتادت الدورية أنور وعدداً من شباب العائلة، ومنذ تلك اللحظة، اختفى أثره تماماً، لم يكن هناك تهمة، ولا أي تفسير، فقط اختفاء في وضح النهار، كان أنور من بين الذين دفعوا ثمن وجودهم في الزمان والمكان الخطأ، وسط غيابٍ تام للعدالة أو الرحمة.

منذ اليوم الأول لاختفائه، لم تستسلم العائلة، قادهم والد أنور في رحلة بحث لم تتوقف، رغم كل التهديدات والصعوبات، تواصلوا مع ناجين، حاولوا جمع الشهادات، لكن كل خيط كان ينقطع قبل أن يصل إلى الحقيقة، وزياراتهم للمقابر الجماعية كانت مؤلمة إلى حد لا يوصف، خاصة عندما تعرفوا على جثة أحد إخوته، فيما ظل مصير أنور مجهولاً.

غياب أنور شكّل زلزالاً عاطفياً واجتماعياً لعائلته، فقد كان ليس فقط المعيل، بل نبع الطمأنينة والأمان، وبغيابه، تهاوت أعمدة الحياة المستقرة التي بناها بجهده، وأصبح البيت ساحة صمت وحزن، كل زاوية فيه تحمل شيئاً من حضوره الغائب، احتفظت العائلة ببعض من مقتنياته—دفتر ملاحظات، أدوات من متجره، ملابسه—كأنها تحاول تخفيف وطأة الغياب بملامسة ما تبقى منه، والأب الذي كان يعتمد عليه بكل شيء، لم يجد بعده من يسد فراغه، أما الزوجة، فكانت تواجه تحدي تربية ثمانية أطفال وسط ضغوط اقتصادية ونفسية لا تُحتمل.

اليوم، تعيش العائلة على أمل أن تُكسر حلقة الغموض، مطلبهم بسيط لكنه جوهري: معرفة مصير أنور، ليس فقط لأجل الحزن الذي يعيشونه، بل أيضاً من أجل إنهاء انتظارهم الطويل الذي أرهقهم، كما تطالب العائلة كذلك بدعم مادي حقيقي، ليس كمنّة، بل كجزء من تعويض الضرر، خاصة أن أنور كان المعيل الوحيد، ويرون أن منظمات المجتمع المدني يجب أن تساهم في تمكين أبناء الضحايا، وخلق فرص اقتصادية لهم تضمن مستقبلاً أكثر استقراراً.

القصة 37: "عبد الرحمن المخلف

عبد الرحمن حمود المخلف، شاب يبلغ من العمر 25 عاماً من بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان متزوجاً وأباً لأربعة أطفال – جميعهم ذكور – أكبرهم يبلغ من العمر ست سنوات، وأصغرهم لم يتجاوز عامه الأول، كان يعمل في أحد مخابز بلدة أبو حمام المجاورة، يستيقظ كل يوم في الفجر ليبدأ عمله، يُعد الخبز بيديه المتعبتين، ويساهم في تأمين القوت لعشرات العائلات من أبناء منطقته، وفي 20 آب 2014، وُجد عبد الرحمن مقتولاً في بلدة الطيانة، ضحية لجريمة لا تزال دون مساءلة.

لم يكن عبد الرحمن مجرد خباز، بل كان رجلاً يسكب جزءاً من قلبه في كل رغيف يصنعه، عاش حياته ببساطة، يتنقل بين المخبز وبيته الصغير، حيث تنتظره زوجته وأطفاله الأربعة، ويعود إليهم في نهاية كل يوم محمّلاً برائحة الخبز والتعب، وبكثير من الحنان الذي يُغدقه عليهم، وكان يُعرف بين زبائنه بابتسامته الهادئة وكلماته الطيبة، أحبه الناس لبساطته وصدقه، وكانت رائحة الخبز التي تصدر من مخبزه في الصباح الباكر أشبه بنداء للحياة في قلب البلدة، كان يحلم ببناء بيت صغير يحتضن أسرته، مكان آمن يجمعهم، يضحكون فيه ويأكلون معاً خبزاً من صنع يديه.

بعد نزوحه مع عائلته إلى بلدة البحرة بحثاً عن الأمان، ظنّ عبد الرحمن أن الخطر قد أصبح خلفه، لكنه لم يكن يعلم أن الموت كان يقترب من جديد، هذه المرة دون سابق إنذار، ففي 20آب 2014، اقتحمت دورية تابعة لتنظيم داعش البلدة، واعتقلته دون تهمة أو تفسير، كما فعلت مع كثير من الشباب في المنطقة، اقتيد عبد الرحمن إلى مصير مجهول، تاركاً زوجته وأطفاله في حالة من الذهول والارتباك، لم يكن هناك من يوضح لهم ما حدث أو إلى أين ذهب، وبعد أيام من القلق وانتظار أي خبر، وصلهم ما لم يكونوا مستعدين لسماعه: جثة عبد الرحمن وُجدت في بلدة الطيانة، هكذا انتهت حياته، فجأة وبقسوة، دون محاكمة، ودون حتى أن يعرف أحد سبب اعتقاله أو مقتله.

بعد اختفائه، لم يكن لدى العائلة وقت للتردد، لكن لم يكن أمامهم طريقٌ واضح أيضاً، سألوا وبحثوا بين الناس، راجعوا بعض معارفهم، لكنّ الخوف كان سائداً، والسكوت لغة الغالبية، لم تكن هناك جهة موثوقة يمكن اللجوء إليها، وكل الأبواب كانت مغلقة، والصدمة الكبرى جاءت حين تم العثور على جثته، مرمية في بلدة الطيانة، لتتحوّل أيام الانتظار إلى مأساة مؤكدة، لم يكن في وفاته عزاء، بل بداية جديدة لحزن لا يشبه أي حزن.

غياب عبد الرحمن كان زلزالاً ضرب أركان الأسرة، تركهم بلا سند، وبلا معيل، زوجته دخلت في دوامة من الحزن والاكتئاب، تُصارع الألم والخوف، وتمرّ بأزمات صحية ونفسية أفقدتها القدرة على الوقوف وحدها في وجه الحياة، أما أطفاله، فقد تُركوا في عمرٍ صغيرٍ جداً ليواجهوا حياة لا تُشبه حياة من حولهم: بلا أب، بلا استقرار، وبلا إجابة على سؤال "لماذا؟"، أما الوضع الاقتصادي، فقد تدهور بشدة، لأن عبد الرحمن كان المعيل الوحيد، لم يكن هناك بديل، ولا مصدر دخل يعوّض غيابه، ما جعل الأسرة تعاني من العوز، وتواجه الحياة بقلقٍ دائم حول احتياجاتها الأساسية.

اليوم، بعد عشر سنوات من فقدانه، لا تطلب عائلة عبد الرحمن المستحيل، مطلبهم بسيط، لكنه عميق: أن يُعرف من قتل عبد الرحمن، ولماذا؟ أن يُحاسب الجناة، وأن تنال الأسرة حقها في العدالة، بعد أن ذاقت مرارة الظلم والفقد، كما تطالب الأسرة بجبر الضرر المادي، لأن فقدان المعيل تركها في وضع مأساوي لم تستطع تجاوزه، والدعم المطلوب ليس ترفًا، بل ضرورة تُعينهم على الاستمرار، ويؤمنون أن تسليط الضوء على قصتهم قد يكون بداية لتحقيق العدالة، أو على الأقل لمنع تكرار مثل هذه المآسي.

القصة 38: ياسر محمد الخليف

ياسر محمد الخليف، شاب من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره حين اعتقاله بتاريخ 10 آب 2014، كان عازباً، يعمل سائق جرار زراعي، ويعيش حياة هادئة وبسيطة بين الحقول والتراب، حيث كان يجد في صوته الهادئ ومزاجه المتزن طريقاً لحياة مستقرة تحكمها القناعة والعمل.

كان ياسر نموذجاً للشاب الريفي البسيط، الذي أحب الأرض وارتبط بها من خلال عمله على الجرار الزراعي، لم يكن عمله مصدر رزق فحسب، بل كان جزءاً من هويته، فكان يمضي ساعاته في الحقول مستمعاً لهدوء الطبيعة، كأن في صمته حكمة تشبه حكمة الأرض نفسها، وكان محط محبة واحترام كل من عرفه، لم تكن له خصومات، ولم يكن طرفاً في أي صراع، بل ظل دائماً شاباً يحلم بالحياة الهادئة، والزواج، وتكوين أسرة صغيرة يعيش معها بسلام.

نزحت عائلة ياسر من بلدة الكشكية إلى بلدة هجين هرباً من العنف والدمار، معتقدين أنهم وجدوا ملاذاً آمناً، لكن ذلك الملاذ كان مؤقتاً وسرعان ما تحوّل إلى فخ، في العاشر من آب 2014، شنت دورية تابعة لتنظيم داعش حملة مداهمات واسعة استهدفت أبناء عشيرة الشعيطات، دون تمييز بين مقاتل أو مدني، بين مسن أو شاب، وياسر كان من بينهم، تم اعتقاله دون تهمة، ودون أن يكون له أي نشاط سياسي أو عسكري، اقتيد إلى جهة مجهولة، ليبدأ فصل طويل من الغياب، من الصمت، ومن الألم لعائلته التي لم تكن تملك سوى الانتظار.

منذ لحظة اعتقاله، انطلقت العائلة في رحلة بحث شاقة، مليئة بالقلق والمجهول، لم يدّخروا جهداً في السؤال عنه، حاولوا الوصول إلى كل من قد يعرف شيئًا، لكنهم اصطدموا بجدران من الصمت والخوف، كل خيط كانوا يتبعونه كان ينتهي بلا نتيجة، أو بمزيد من الأسى، وعند عودتهم إلى بلدة غرانيج بعد انتهاء سيطرة التنظيم، عثروا على مقابر جماعية على أطراف البلدة، وهناك، في واحدة من تلك المقابر، وجدوا جسده، الصدمة كانت جارحة، لكنها أيضاً أنهت فصلاً مرهقاً من الانتظار، وبدأت فصلاً جديداً من الحزن العميق، عرفت العائلة أخيراً الحقيقة، لكنهم لم يجدوا من يواسيهم أو يعينهم على تجاوز الكارثة.

كان غياب ياسر كصفعة لم تستفق منها العائلة حتى اليوم، فقده لم يكن مجرد فقدان شاب في مقتبل العمر، بل كان انهياراً لركن أساسي في البيت، لم يكن فقط يعين والديه مادياً من عمله، بل كان سنداً معنوياً، وبرحيله، ظهرت المشكلات النفسية سريعاً، خاصة لدى والدته التي باتت تحادث صوره وأغراضه، كأنها لا تصدّق أنه رحل، كانت تحتفظ بملابسه كما هي، وأحياناً تجلس قرب جراره المركون دون حراك، وكأنها تنتظر عودته.

لا تطالب عائلة ياسر سوى بالحقيقة والمحاسبة، جريمتهم أنه من أبناء الشعيطات، لا أكثر، مطلبهم الأساسي هو كشف هوية القتلة ومحاسبتهم، فهم لا يريدون أن يُنسى ياسر كما نُسي كثيرون، ولا أن تمر جريمة قتله بلا مساءلة، فالعدالة في نظرهم لا تبدأ فقط بالحكم، بل تبدأ بالاعتراف، بأن ما حدث لياسر كان جريمة بحق الحياة، كما تطالب العائلة بجبر الضرر – مادياً ومعنوياً – فخسارتهم لياسر لم تكن فقط شعوراً بالفقد، بل كانت صدمة أثرت على استقرارهم الاقتصادي والنفسي، ويرون أن تقديم دعم مباشر لهم هو جزء من ردّ الاعتبار، لا منّة، بل حق لعائلات الضحايا.

القصة 39: أسعد خليف النايف

أسعد خليف النايف، شاب في السابعة عشر من عمره من أبناء بلدة الكشكية، في ريف دير الزور الشرقي، لم يكن قد دخل بعدُ في عمق الحياة، بل كان لا يزال على أعتابها، يمسك بخيوط أحلامه الأولى، ويعمل نجاراً للخشب في ورشة بسيطة تعود لأحد أقاربه، كان أعزباً، يعيش حياةً هادئة بين أسرته وعمله، دون أن يتورّط في أي صراع أو ينتمي إلى أي جهة.

لم يكن أسعد شاباً بسيطاً فحسب، بل كان يحمل في شخصيته ازدواجية جميلة تجمع بين الحزم والليونة، بين صرامة النجار ودقته، وبين قلب طفل يُدهشك بعفويته حين يغيب عنه التوتر، كان معروفاً بين معارفه بشخصيته القوية، لا يخشى التعبير عن رأيه، سريع الانفعال أحياناً، لكنّه لا يعرف الحقد، ولا يلبث أن يعود إلى هدوئه وطيبته، كان يحمل مزاجاً خاصاً، يشبه نسيج الخشب الذي يصنع منه أبواب البيوت: متماسك من الخارج، دافئ من الداخل.

في العاشر من آب 2014، وبينما كانت بلدة الكشكية تعيش تحت وطأة الرعب بعد تمدّد تنظيم داعش، قرّر أسعد البقاء في منزله إلى جانب أقاربه، رافضاً مغادرته رغم كل التهديدات، اختار أن يتمسّك بما تبقى من الحياة العادية، أو ربما لم يكن يتوقّع أن الخطر سيطرق بابه بتلك السرعة، لم تمضِ ساعات حتى وصلت دوريات التنظيم، وبدأت باقتحام البيوت، واعتقال من بقي من الرجال، دون تهمة، دون تحقيق، ودون حتى فرصة للكلام، اعتُقل أسعد، كما اعتُقل كثيرون، واختفى بعدها دون أثر، ومنذ تلك اللحظة، بدأت عائلته مسيرة طويلة من الانتظار الموجع، ومواجهة الاحتمالات القاسية التي لا يُمكن أن تخطر في ذهن شاب ما زال يحلم بالحب، والعمل، والمستقبل.

منذ اللحظة الأولى لاختفائه، دخلت العائلة في دوامة البحث، الأب رفض الاستسلام، وراح يسأل الناجين، ويتتبع الأخبار، ويجمع كل رواية يمكن أن تشير إلى مكان وجود أسعد، لكن الأصوات كانت متضاربة، مليئة بالإشاعات، فارغة من الحقيقة، ومع مرور الوقت، بدأت بعض المؤشرات تشير إلى مصير أسود، وقادتهم رحلة الألم إلى المقابر الجماعية، إلى الحفر التي خُبّئت فيها جثث أبنائهم، وهناك، في تلك الأرض التي ابتلعت السر، كانت نهاية الرحلة: أسعد كان بينهم، ممدّداً بين آخرين، دون اسم، ودون وجه، مجرّد رقم آخر في سجلّ الجريمة.

فقدان أسعد لم يكن مجرّد غياب فرد، بل كان زلزالاً صغيراً مزّق نسيج العائلة. هو الشاب الذي تعتمد عليه الأسرة في تأمين جزء من نفقاتها، وفي إدارة شؤونها اليومية، وفي بثّ الأمان داخل جدرانها، غاب الصوت، وغاب الحضور، وبقيت الأم تغرق في صمت طويل لا ينتهي، وتحوّل المنزل الذي كان يعجّ بالحياة إلى مكان يُغلفه الحزن، وتبدّلت ملامح الأيام التي كانت تُبنى حول ضحكاته وأحاديثه، كانت أغراضه، ثيابه، أدواته، كلّها حاضرة كأدلة على حياة قُطعت فجأة، لتبقى شاهدة على غيابه، ومصدراً دائماً لدمعة تنزل كلما مرّت اليد عليها.

تُدرك عائلة أسعد أن ما حدث له لم يكن قضاءً عادياً، بل جريمة، وتُدرك أن الصمت لم يعد خياراً، وأن على كل من فقد عزيزاً أن يرفع صوته، لا من أجل البكاء، بل من أجل المساءلة، ويطالبون بكشف الحقيقة، بمحاكمة الجناة، ليس من أجل الانتقام، بل من أجل ألا يُمحى اسم أسعد، ولا يُكرر المصير ذاته على أجساد شباب آخرين، ورغم مرور السنوات، لا تزال العائلة ترى بارقة أمل، لعل سرد قصتهم الآن، بهذا الشكل، هو الخطوة الأولى على هذا الطريق الطويل نحو الحقيقة.

القصة 40: صدام حسين الخضر

صدام حسين الخضر، المعروف بمحبة بين أهله بلقب "صديم"، شاب من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 16 عاماً فقط حين اعتقلته دورية تابعة لتنظيم داعش بتاريخ 15 كانون الثاني 2015، بعد عودة أهالي بلدة غرانيج إلى منازلهم، لم يكن متزوجاً بعد، وكان يعمل عاملاً يومياً في محل لبيع الحديد، ويسعى بكل ما أوتي من قوة لتأمين لقمة عيش شريفة لعائلته.

رغم صغر سنه، كان صدام مثالاً للشاب المكافح الطموح، يعمل يومياً في مهنة شاقة تتطلب جهداً جسدياً كبيراً، دون أن يفقد ابتسامته أو إرادته، وبعد عودة أهالي غرانيج، قرر صدام أن يبدأ مشروعه الصغير: محل لتصليح الدراجات النارية، كان ذلك الحلم الصغير بوابته الأولى نحو الاستقلال والاستقرار، هناك، بين الأدوات والدراجات، بدأت ملامح مستقبله تتشكل، وكان يراها بعينين لامعتين بالأمل.

في يوم 15 كانون الثاني 2015، وبينما كان صدام يعمل في محله، داهمته دورية تابعة لداعش، تم اقتياده من دون تهمة أو سابق إنذار، فقط لأنه من أبناء عشيرة الشعيطات، لم يُعرف عن صدام أي نشاط سياسي أو عسكري، ولم يحمل سلاحاً في حياته، بل كانت يداه مشغولتين دوماً بمفك وبرغي ودراجة تحتاج إصلاحاً، غاب صدام منذ تلك اللحظة، وبدأت عائلته تعيش فصول الحيرة والقلق، تتأرجح بين الشائعات والصمت، تحاول أن تفهم ما جرى، فلا تجد سوى الغموض والخوف.

بدأت العائلة رحلة شاقة للبحث عن صدام، طرقوا أبواب مقرات داعش، تواصلوا مع ناجين من السجون، سألوا عن كل خيط أمل، أحد الناجين قال إن صدام أعطاه ساعته قبل نقله إلى مكان مجهول، في لفتة تدل على وعي صدام بأنه قد لا يعود، كان لديهم شهود على لحظة الاعتقال، لكن كل الأدلة والشهادات بقيت عاجزة عن منحهم إجابة، لم يجدوا من يدعمهم أو يرشدهم، بل واجهوا التهديد والخوف والتضليل، ورغم كل المحاولات، لم يظهر أثر لصدام، ولم يُعثر على جثمانه، وبقي مصيره معلقاً بين الحياة والموت، بين الأمل واليأس.

غياب صدام كان ضربة موجعة لعائلته، التي كانت تعتمد عليه وأخاه في تأمين الاحتياجات اليومية، لا سيما أن الوالد كان عاجزاً عن العمل، فغيابه قلب الموازين، وترك فراغاً عميقاً في قلوبهم وموائدهم، أمه، التي كانت تناديه "صديم" وتفتخر بإصراره، انهارت نفسياً وتفاقمت آلامها الجسدية والنفسية، وبدأت تعاني من الدسك وأوجاع مستمرة في ظهرها وقدميها، وكأن جسدها لم يحتمل ثقل الغياب، أما من الناحية الاقتصادية، فقد انزلقت العائلة إلى خط الفقر، بعد أن فقدت أحد أهم أعمدتها، لم يكن لديهم مصدر دخل بديل، واضطروا للتأقلم مع واقع أكثر قسوة مما توقعوا.

ما تطالب به عائلة صدام اليوم هو الحقيقة، يريدون أن يعرفوا، فقط أن يعرفوا، ماذا حدث لابنهم، هل ما زال حيًا؟ وإن كان قد استُشهد، فأين جثمانه؟ من أخذه ولماذا؟، ويرون أن العدالة تبدأ من الاعتراف، لا من النسيان، وأن محاسبة من ارتكبوا الجريمة ضرورة، ليست فقط لصدام، بل لكل العائلات التي فقدت أبناءها في تلك المجازر، وإلى الإعلام يقولون: احكوا عن صدام، لا تجعلوه رقماً، بل قصةً تظل حية في ضمير الإنسانية، وصوتاً يطالب بالعدالة في وجه من حاول أن يطمر الحقيقة تحت ركام الخوف.

القصة 41: أحمد محمد الهلال

أحمد محمد الهلال، شاب من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 23 عاماً حين اعتقل في 23 أيلول 2014، متزوج وأب لطفلين صغيرين، أحدهما بعمر السنتين والآخر لم يتجاوز أربعة أشهر حين اختفائه، كان يعمل سائق آلية لنقل مواد البناء، إلى جانب عمله في الزراعة، وكان رمزاً للبساطة والاجتهاد في مجتمعه.

لم يكن أحمد سائقاً فحسب، بل كان قلباً نابضاً بالإنسانية والتواضع، عرفه الناس بشخصيته الهادئة وتعامله الراقي مع الجميع، خلال فترة النزوح، أصبح أحمد وجهاً مألوفاً في شوارع الكشكية والقرى المجاورة، يقود آليته وهو يوزع الماء على البيوت دون طلب أو مقابل، وكأنه يرى في ذلك واجباً أخلاقياً وإنسانياً تجاه مجتمعه، وفي قلبه كان يحمل حلماً واحداً: أن يمنح أطفاله حياة أفضل، كان يؤمن أن جهده في العمل وتضحياته اليومية هي الطريق لتحقيق استقرار عائلي طالما سعى إليه.

في صباح الثالث والعشرين من أيلول 2014، خرج أحمد كعادته يقود سيارته، ينقل الماء للنازحين والمحتاجين، غير مدرك أن ذلك اليوم سيغدو محطة الفقد، حيث ظهرت دورية تابعة لتنظيم داعش بشكل مفاجئ في البلدة، وقامت باعتقاله هو وأخيه، دون توجيه أي تهم، ودون تفسير، كان ذلك المشهد صادماً لعائلته ولكل من عرفه؛ شاب مسالم، لا انتماء له، لم يحمل سلاحاً في حياته، يُقتاد فجأة إلى جهة مجهولة، تاركاً وراءه زوجةً تُرضع، وطفلاً بالكاد ينطق اسمه.

لم يكن الصمت خياراً، بدأت العائلة، منذ اللحظة الأولى، رحلة بحث طويلة، طارقة أبواب الناجين والسجون والمقابر، تبحث عن خيط يربطها بأحمد، كانت هناك شهادات ضعيفة، روايات عن اعتقاله، ولكن لا أثر حقيقي يدل على مكانه، زاروا المقابر الجماعية، وقفوا على شفيرها يبحثون في وجوه الموتى عن ملامحه، واجهوا التضليل، الكذب، والابتزاز؛ وعودٌ كاذبة، وأشخاص يبيعون الأمل مقابل المال، وفي كل مرة كانوا يقتربون من الحقيقة، كانت تُبعد عنهم أكثر، وكأن أحداً يريد دفن القصة معهم، قبل أن تُروى.

غياب أحمد كان كالسقوط من حافة جبل، ترك أثراً نفسياً وجسدياً عميقاً على العائلة، والدته، المريضة أصلاً، تدهورت حالتها الصحية أكثر بفعل الحزن، وبدأت تظهر عليها أعراض دسك وآلام مزمنة، أما زوجته، فوجدت نفسها وحيدة في مواجهة الفقر والتربية والقلق، تصارع الحياة نيابة عن رجلها الغائب، واقتصادياً، سقطت العائلة في هاوية الحاجة؛ أحمد كان المعيل الأساسي، وغيابه فجّر أزمة معيشية حادة، جعلت حتى شراء الضروريات تحدياً يومياً، أما الذكريات، فقد بقيت حاضرة في أرجاء المنزل، ومعها قررت العائلة ألا تحتفظ بمقتنياته، بل وزعتها على الفقراء، في فعل رمزي يعبّر عن الحزن العميق والاستسلام المؤلم لواقع الفقد.

رغم الجراح، لم تفقد العائلة إيمانها بأن العدالة ممكنة، مطلبها اليوم ليس فقط معرفة مصير أحمد، بل محاسبة من تسببوا في خطفه، من سلبوا منه حقه بالحياة، ومن حرموا أطفاله من نطق كلمة "بابا"، كما تطالب العائلة بجبر الضرر، مادياً ومعنوياً، بعد أن أصبح غيابه عبئاً نفسياً واقتصادياً هائلاً، أما الإعلام، فترى العائلة فيه بوابة للحقيقة، وتطالب بأن تُروى القصة، لا ليبكوا عليها فقط، بل ليمنعوا تكرارها.

القصة 42: هلال مضحي الحروبي

هلال مضحي الحروبي، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، شاب في الرابعة والعشرين من عمره عند مقتله يوم 12 آب 2014 خلال مجزرة الشعيطات، كان متزوجاً وأباً لطفلين، أكبرهما في الثانية من عمره، وأصغره لم يبلغ شهره الثاني بعد، عمل مدرساً في مدرسة الحي، كما اشتغل في الزراعة وتربية الأغنام، لم ينتمِ إلى أي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يشارك في أي نشاط مسلح، بل عاش حياته منغمساً في مسؤولياته العائلية، يحمل على كتفيه همّ الرزق والتربية، ويحلم بمستقبل آمن لأسرته الصغيرة.

كان هلال أحد أبناء البيئة الريفية الذين تربّوا على بساطة العيش وقيمة العمل، نهاره كان مقسوماً بين التعليم والعمل في الأرض، وبين تربية أغنامه وأطفاله على حد سواء، لم يكن مدرّساً فحسب، بل مربٍّ ومثال يُحتذى به، يقدّر قيمة التعليم كطريق للاستقرار والتقدّم، كان شاباً هادئاً، طيب السيرة، لا يتدخل في الصراعات ولا يُعرف عنه سوى التزامه الأخلاقي ومحبته لأهله، ورغم حياته البسيطة، حمل في داخله طموحات عريضة، لكنه لم يتخلّ عنها لصالح نزاعات لا تخصّه، ظلّ على الهامش من الصراعات، محافظاً على دوره كمعلّم ومزارع وأب، معتقداً أن في الحياد نجاة، وأن البقاء خارج ساحة الصراع كفيل بالحفاظ على الحياة، لكن الواقع كان أكثر وحشية من أن يُمنح لأمثاله فرصة الاختيار.

في الثاني عشر من آب 2014، وفي خضم التصعيد الدموي في غرانيج، قرر هلال أن يخرج مع صديقه لنقل بعض الأغنام إلى مكان آمن، محاولاً إنقاذ ما تبقّى من رزق عائلته، كان التحرك هادئاً، دون أي سلاح، ودون نية للمواجهة، فقط بحث عن البقاء، لكن دورية تابعة لتنظيم داعش اعترضت طريقهما على أطراف البلدة، لم يكن هناك مجال للهروب أو حتى للتفاوض، أُطلق عليهما الرصاص بدم بارد، وقُتلا على الفور، لتتحول اللحظة إلى جريمة مكتملة الأركان، قتلٌ خارج القانون، دون تهمة، دون محاكمة، فقط لأنهما لم يختفيا في الوقت الذي قرّر فيه القاتلون أن الوجود نفسه صار تهمة.

لم تكن العائلة بحاجة إلى البحث الطويل، فهلال قُتل أمام أعينهم، رأت العائلة الجريمة، وعرفت مكان الجثة، لكنّها لم تستطع دفنه فوراً، إذ كانت المنطقة تعيش حالة من الرعب الشديد، لم يتمكّن أحد من دفنه حتى منتصف الليل، حيث تسلّل بعض الرجال في العتمة، محفوفين بالخطر، ليواروه الثرى في صمتٍ موجع، دون صلاة، دون جنازة، دون وداع يليق بحياة انتهت ظلماً.

رحيل هلال كان كارثةً بكل المعاني، فالشاب الذي لم يكن يبلغ من العمر سوى أربعة وعشرين عاماً، ترك وراءه زوجة شابة، وطفلين صغيرين أحدهما لا يزال رضيعاً، لا يعرف من والده سوى صور صامتة وذكريات باهتة في حضن أمٍّ لم تجف دموعها، والدته أصيبت باكتئابٍ عميق، لم تكن تتحدث كثيراً بعد مقتله، بل دخلت في صمت طويل، كأن الكلمات لم تعد كافية للبوح بما يُثقل قلبها، وزوجته الشابة تحوّلت إلى أرملة تحمل عبءَ الحياة وحدها، تحاول أن تجمع ما تبقّى من البيت، بينما البيت ذاته صار شاهداً على الفراغ.

ورغم مرور أكثر من عقد على الجريمة، لا تزال العائلة تطالب بالعدالة، لا من باب الانتقام، بل من باب الحق، تريد أن يُكشف من اتخذ القرار بقتل ابنهم، إنهم لا يريدون شيئاً أكثر من أن يُحاسَب القَتَلة، وأن يُقال للعالم إن هلال مضحي الحروبي لم يكن رقماً، بل إنساناً، أباً، معلماً، حُرِم أطفاله من حضنه، وحُرِمت أمه من صوته، وزوجته من عمرٍ كان يمكن أن يُبنى، كما يناشدون المنظمات الإنسانية والحقوقية بتحمّل مسؤولياتها، وتقديم الدعم، المادي والنفسي، لهذه العائلات التي بقيت لسنوات تحمل الجرح وحدها، وهم يؤمنون أن الإعلام يمكن أن يكون أداتهم في هذا الطريق، في إيصال صوتهم، وفي تحويل قضيتهم من صمتٍ إلى قضية رأي عام

القصة 43: أيمن محسن النايف

أيمن محسن النايف، شاب من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، لم يتجاوز العشرين من عمره حين تم اعتقاله في العاشر من آب عام 2014، متزوج وأب لطفل لم يبلغ عامه الأول، كان متعلقاً به بشكل شديد، يراه امتداداً لحياته، ويملأ قلبه حباً كلما عاد من عمله، ولم يكن ينتمي لأي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يحمل سلاحاً يوماً، بل عاش حياته بين المعول والإزميل، بين الحائط الذي يبنيه والبيت الذي كان يحلم أن يؤويه.

كان أيمن شاباً شهماً، صادقاً في عمله، وطيباً في تعامله، لم يكن يملك من الدنيا سوى مهارته في البناء، التي لم يحتفظ بها لنفسه فقط، بل شاركها مع أهالي الحارة، يصلح بيوتهم، يدعم جدرانها، ويبني لهم دون مقابل، فقط بدافع النخوة، وعندما ينهي عمله، كان يعود مسرعاً إلى بيته، إلى زوجته وطفله الصغير، الذي كان ينتظره كل يوم وكأنه اللقاء الأول، لم يكن يرى في الحياة رفاهية أو ترفاً، بل بيتاً صغيراً يحتضن أسرته، ومسكناً يحميهم من حرّ الصيف وبرد الشتاء، ومثل باقي شباب البلدة، كان يحلم بتكوين أسرة مستقلة، وكان قد بدأ هذا الحلم فعلياً، لكنه لم يكن يعلم أن قدره سيُقطع وهو في أول الطريق.

في صيف 2014، ومع ازدياد الضغوط والتضييق على أبناء عشيرة الشعيطات، خطط أيمن للنزوح من الكشكية إلى بلدة البحرة، التي باتت تُعتبر – وفق رواية داعش – "منطقة آمنة" نسبياً، كون أهلها لم يقاتلوا التنظيم كما فعلت الشعيطات، لكن أيمن لم يتمكن من المغادرة، ففي العاشر من آب، وصلت دورية من تنظيم داعش إلى الكشكية، واعتقلته من منزله دون أي تهمة، فقط لأنه كان هناك، اختفى أيمن بعد تلك اللحظة، لم تعد العائلة تسمع عنه شيئاً، ظلت تترقب، تتحرى، تسأل، لكن الإجابة كانت صمتاً قاتلاً، وعندما عاد الأهالي بعد أشهر طويلة من النزوح، وبدأوا باكتشاف المقابر الجماعية، وُجد أيمن هناك، بين عشرات الجثث، بلا ملامح، بلا ضجيج، فقط رقمٌ جديد في سجلّ المجزرة.

منذ اللحظة الأولى لاختفائه، بدأت العائلة رحلة البحث المضنية، لم يتركوا باباً إلا طرقوه، سألوا من بقي، ومن هرب، ومن عاد، لكن دون جدوى، كل ما قيل كان شائعات، وكل الروايات تنتهي بلا نتيجة، ومع عودتهم من النزوح، بدأت فصول الحقيقة تتكشف، ففي إحدى المقابر الجماعية على أطراف بلدة غرانيج، تعرفوا على جثته، وأقاموا له مراسم دفن وعزاء، بعد أن أنهى الغياب فصوله الطويلة.

غياب أيمن لم يكن مجرّد فقد لشاب، بل انهيارٌ لركيزة، كان هو المعيل، والابن، والزوج، والأب، والسند. برحيله، تغيّرت ملامح البيت، وتحولت الحياة من ضوء إلى عتمة، الأم، التي كانت ترى فيه امتداد زوجها وأمل أيامها، أصابها الحزن بوجعٍ عميق، وتدهورت حالتها النفسية، والزوجة الشابة، التي بالكاد بدأت تحيا معه، وجدت نفسها فجأةً أرملة تحمل على ذراعيها طفلاً لا يعرف معنى اليُتم، لكنه وُلد فيه، والمنزل الذي كان مزدحماً بالأحاديث والضحكات، بات صامتاً، وكأن كل شيء فيه توقف.

العائلة تعيش اليوم في ظل غياب العدالة، تُطاردها الأسئلة التي لا إجابة لها، وتخنقها فكرة أن قاتل ابنهم قد يكون حراً طليقاً، بالنسبة لهم، العدالة ليست فكرة قانونية باردة، بل فعلٌ إنساني يُعيد بعض الكرامة، ويمنح الروح حقها في أن تُذكر، لا أن تُدفن في صمت، ويطالبون بكشف الحقيقة كاملة، وبمحاسبة الجناة محاسبة عادلة، في محكمة دولية تعترف بمأساتهم وتُسمّي القَتَلة بأسمائهم، كما يناشدون الإعلام، ليحمل صوتهم إلى من يملك القرار، لأنهم يعرفون أن القصص التي لا تُروى تُنسى، وأن القتلة لا يُحاسبون إلا عندما يُسلّط الضوء.

القصة 44: ذيب عبود الرفيش

ذيب عبود الرفيش، من أبناء بلدة غرانيج الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات في ريف دير الزور الشرقي، كان في الثانية والأربعين من عمره حين قُتل في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج من امرأتين، وأب لستة عشر ابناً وبنتاً، أكبرهم في التاسعة عشرة من عمره، وأصغرهم لم تتجاوز عامها الثاني، كان يعمل في الزراعة وتربية الأغنام، يعتمد على جهده اليومي لتأمين لقمة العيش لأسرته الكبيرة، لم تكن له أي صلة بالسياسة أو النزاع الدائر، ولم يحمل سلاحاً في حياته، بل عرفه أهل بلدته كرجل مسالم، طيب المعشر، كريم اليد واللسان.

عاش ذيب حياته بين الحقول، يسقي الأرض ويطعم الأغنام، ويعود إلى أطفاله محملاً بتعب اليوم ورضاه، لم يعرف من العالم سوى حدود بلدته، ولم يسعَ في حياته سوى للاستقرار وتوفير الطعام والدفء لأبنائه الستة عشر، وكان بيته دائماً مفتوحاً للضيوف، ووجهه بشوشاً لأهل الحي، رجل من طينة البسطاء، لا يشغل باله بما لا يعنيه، ولا يتورط في خصومات أو خلافات.

في ليلة الثامن من آب عام 2014، ومع اشتداد الحملة الدموية التي شنها تنظيم داعش على بلدات الشعيطات، تسللت مجموعة مسلحة من التنظيم إلى بلدة غرانيج بعد منتصف الليل، دخلت تلك المجموعة بيت ذيب، حيث كان نائماً مع أسرته، واستيقظت العائلة على وقع الرعب، ودون سابق إنذار، أُخرج ذيب من بين أطفاله، وذُبح بالسكاكين أمام أعينهم، على أرض بيته، في مشهد لا تمحوه الأيام، لم يكن ذلك قتلاً فحسب، بل رسالة رعب مقصودة، أمر المسلحون العائلة بمغادرة المنزل فوراً، وإلا نالوا المصير نفسه، فخرجت الأسرة في جنح الظلام، تمشي على الأقدام إلى بلدة البحرة المجاورة، تجر خلفها الذهول والدموع والجراح، وبعد أيام، تسلل أحد أبناء عمومة ذيب إلى المنزل تحت جنح الليل، وقام بدفنه سراً في أرضه الزراعية، حيث أمضى حياته يعمل ويزرع، لم يكن لذيب قبرٌ حينها، بل حفرة تُحاول أن تمنح كرامة أخيرة لجسد قُتل دون ذنب.

لم تحتج العائلة إلى البحث عن ذيب، فقد شاهدوا مقتله بأنفسهم، جريمة علنية، مكتملة الأركان، ارتُكبت أمام أطفال وزوجات، وسُجّلت لاحقاً ضمن إصدار دعائي للتنظيم كـ"تصفية للمرتدين"، وحين عادوا من النزوح، نقلوا جثمانه من أرضه الزراعية إلى مقبرة العائلة، كان الجرح أكبر من أن يُداوى بالكلمات، وكان كل فرد منهم يرمم نفسه بما يستطيع، يخبئ الألم في صدره، ويقاوم الصمت بأمل ضئيل لا يكاد يُرى.

كان ذيب هو المعيل الوحيد لأسرته، وكان غيابه كابوساً ضرب أركان العائلة، لم يكن هناك دخل بعده، ولا سند، ولا وجه يُطمئن، اضطرت العائلة لبيع قسم من الأرض وبعض الممتلكات لتأمين لقمة العيش، أطفاله الذين شاهدوا جريمة نحر والدهم بأعينهم لم ينجوا نفسياً من ذلك المشهد، أصيب بعضهم بنوبات هلع مستمرة، وبعضهم فقد النطق لفترة طويلة، ومنزل العائلة الذي كان يعجّ بالحياة والضجيج، أصبح خافتاً، تتحرك فيه الأرواح بحذر، وتتنفس الذكريات بحزن، ما زالوا يحتفظون بثياب ذيب وصوره، يتعاملون معها كما يتعامل الناجون مع أطلال مدينة لم تعد.

تطالب العائلة اليوم، بعد سنوات من الصمت، بحقها المشروع في العدالة، تطالب بمحاكمة الجناة الذين ارتكبوا هذه المجزرة، لا لمجرد القصاص، بل لكشف الحقيقة وفضح آليات القتل الممنهج الذي مارسه تنظيم داعش بحق المدنيين الأبرياء، وتطالب بدعم مادي يعين العائلات المكلومة، ويخفف من فقرهم الممتد منذ ذلك اليوم الأسود، كما تطالب ببرامج دعم نفسي للأطفال والنساء الذين عاشوا هذه المأساة بأدق تفاصيلها، وترى العائلة أن رواية قصتهم واجب وطني وإنساني، لأن ما جرى لا يجب أن يُمحى من الذاكرة، ولا أن يُختزل في تقرير أو رقم.

القصة 45: حسن محمد العسكر

حسن محمد العسكر، شاب من أبناء بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 29 عاماً حين اعتُقل خلال أحداث مجزرة الشعيطات في صيف عام 2014، متزوج وأب لأربعة أطفال، أكبرهم في الرابعة من عمره وأصغرهم لم يكن قد تجاوز شهره الأول حين اختفائه، وكان المعيل الوحيد لعائلته المكونة من زوجته وبناته ووالديه المسنين.

قضى حسن سنوات من عمره مغترباً في المملكة العربية السعودية يعمل في مجال البناء، لم يكن العمل مجرد وسيلة للرزق، بل كان التزاماً تجاه أسرته، إذ كان يقضي نهاره بين الحجارة والإسمنت، ويعود مساءً إلى غرفة يشاركه فيها شباب من بلدته، ليطمئن عبر الهاتف على عائلته، ويُغذّي حلمه في بناء منزل يؤويه مع زوجته وبناته، كان معروفاً بين من حوله بطيبة قلبه وكرم أخلاقه، محباً للمساعدة، صادقاً في وعوده، يحمل في قلبه همّ تربية بناته تربية حسنة ومنحهن حياة كريمة، لم يكن يسعى إلى الثراء، بل كان كل طموحه حياة مستقرة وآمنة لعائلته الصغيرة، وكان يعتبر عودته المؤقتة إلى غرانيج في تلك الأيام فرصة لرؤية أحبته واستعادة أنفاسه في حضن أهله.

عندما عاد حسن من السعودية في 8 آب 2014 لزيارة أسرته، كانت الأوضاع في بلدته تنذر بالخطر، مع دخول عناصر تنظيم داعش إلى غرانيج، اضطر حسن للنزوح مع عائلته إلى مدينة هجين، وفي خضم محاولاته للاطمئنان على بيت أسرته والمواشي التي تركها، قصد قرية البحرة للقاء أحد أبناء بلدته النازحين هناك، لكن تلك الزيارة البسيطة تحوّلت إلى لحظة فاصلة؛ داهمت إحدى دوريات تنظيم داعش المكان، واعتقلت حسن وهو معصوب العينين، دون توجيه تهمة أو تفسير، وبعد مدة من الانتظار المؤلم، عُثر على جثته في إحدى المقابر الجماعية، وقد قُطع رأسه، في مشهد ترك العائلة في صدمة لا تُنسى.

منذ لحظة اختفائه، بدأ والد حسن رحلة البحث عنه، متنقلاً بين المناطق والمراكز الأمنية التي كانت تحت سيطرة التنظيم، دون أن يحصل على أي معلومات، اكتُشف مصير حسن لاحقاً عندما بدأت العائلات تبحث في المقابر الجماعية، ورغم فداحة ما وجدوه، فإن معرفة الحقيقة، رغم قسوتها، كانت أفضل من التعلق بأملٍ مؤلم، حظيت العائلة خلال رحلة البحث بدعم نفسي واجتماعي من أقارب وأهالي المنطقة، ولم تُترك وحدها، وإن كانت المساعدة محدودة ومؤقتة.

غياب حسن لم يكن مجرد فقدان لشخص، بل انهيار لعائلة بأكملها، كان المعيل الوحيد، ومنذ غيابه تدهور وضع الأسرة المعيشي بشكل كبير، لتصبح عاجزة عن تلبية احتياجاتها الأساسية، ساد البيت الحزن والصمت والتوتر، وتحولت الذكريات إلى عبء يومي، والدته أُصيبت بأمراض نفسية وجسدية بسبب صدمة الفقد، فيما دخلت زوجته في نوبات من الاكتئاب الحاد، تعاني من هستيريا الحزن والعجز، لا سيما وهي مسؤولة عن أربعة أطفال دون دعم أو سند. ومع غياب أي مورد اقتصادي، أصبحت الأسرة تعتمد بالكامل على المساعدات الإنسانية.

تطالب عائلة حسن بمحاسبة الجناة على هذه الجريمة البشعة، فالعدالة في نظرهم لا تقتصر على العقاب، بل تبدأ بالاعتراف بالضحايا، وتوثيق مصيرهم، وجبر الضرر الذي لحق بعائلاتهم، كما تطالب العائلة بتعويض مادي يساعدهم على استعادة بعض الاستقرار الاقتصادي، خاصة بعد فقدان المعيل، كما تطالب بتعويض معنوي عبر الاعتراف الرسمي بحسن كضحية وضم اسمه إلى سجل الضحايا، كما تطالب العائلة وسائل الإعلام بتسليط الضوء على مجزرة الشعيطات، وعدم السماح بنسيانها، فالعدالة في نظرهم تتحقق عندما تُروى القصة، وتُعرف الحقيقة التي غُيِّبت طويلاً، وبرغم ألم السنوات، لم يفقدوا الأمل، ويؤمنون أن العدالة آتية، ولو بعد حين.

القصة 46: رافع حسين العويد

رافع حسين العويد، من مواليد مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 34 عاماً عند اعتقاله خلال أحداث مجزرة الشعيطات في صيف عام 2014، متزوج وأب لستة أطفال، أكبرهم في العاشرة من عمره، وأصغرهم لم يتجاوز العامين، كان يعمل إماماً لمسجد عائشة في مدينة غرانيج ويُعيل أسرته المكونة من زوجته وأطفاله ووالدته المسنة، لم يكن منتمياً لأي جهة مسلحة أو سياسية، وكان يعرف بتقواه وسلامه الداخلي.

كان رافع وجهاً مألوفاً في أزقة غرانيج، بصوته الهادئ في الأذان، وبسمته التي لم تكن تغادر ملامحه، أمضى سنوات في خدمة المسجد، يرفع الأذان، ويقيم الصلاة، ويُدرّس الأطفال حلقات تحفيظ القرآن وأحكام التجويد، وكان راتبه البسيط من معهد التحفيظ مصدر دخله الوحيد، لكنه كان يكتفي به، معتبراً عمله رسالة، لا وظيفة، وفي مجتمعه، كان يُنظر إليه باحترام كبير، رجل خلوق، وقور، يعيش ببساطة، ويحلم فقط بتربية أولاده على ما تربى عليه: الإيمان، والصدق، والكرامة.

مع دخول تنظيم داعش إلى غرانيج، اضطر رافع إلى إخراج عائلته نحو قرية البحرة بحثاً عن الأمان، لكنه لم يبتعد طويلاً، بقي يوماً واحداً مع عائلته، ثم عاد إلى غرانيج مدفوعاً بإحساسه بالواجب تجاه المسجد والمواشي التي تركها في بيته، وفي 8 آب 2014 في المسجد، وبينما كان يتلو القرآن، دخلت عناصر التنظيم واعتقلوه مباشرة، عاصبوا عينيه واقتادوه إلى جهة مجهولة، لم يُعرف عنه شيء لفترة طويلة، حتى عُثر عليه مقتولاً بطلق ناري في إحدى المقابر الجماعية، وجثمانه تم التعرف عليه من خلال ساعته الشخصية ومفاتيح مسجد عائشة، التي ما زالت تفتح أقفاله حتى بعد رحيله.

بدأت العائلة رحلة البحث منذ اللحظة الأولى، متوقعة أن يُفرَج عن رافع لما له من مكانة دينية، زارت زوجته مقرات داعش بحثاً عن جواب، متوسّلة إنسانيتهم أن لا يقتلوا إماماً يُدرّس القرآن، لكن دون جدوى، لاحقاً، تواصلت العائلة مع ناجين من المعتقلات، ولم تحصل على أي تأكيد، التحوّل الكبير كان عندما أتى أحد الأقارب من زيارة لمقبرة جماعية في بادية أبو حمام، يشتبه بإحدى الجثث، ذهب إخوة رافع إلى المكان، وهناك، وجدوا جثمانه، المفاتيح وساعته أكدت هويته، دفنوه في مقبرة العائلة، لكن قلب الأم لم يُغلق كما أُغلق القبر، بل ظلّ مفتوحاً على وجعٍ لا نهاية له.

ترك غياب رافع أثراً عميقاً في أسرته، كونه المعيل الوحيد، فقد واجهت العائلة أزمة اقتصادية خانقة، اضطُرت معها لبيع أراضيها لتأمين احتياجاتها الأساسية، لم تكن هناك جهة داعمة ثابتة، فاعتمدت الأسرة على مساعدات متقطعة من أقارب أو منظمات إغاثية، والأثر النفسي كان أشد وقعاً، أصيبت ابنته بنوبات هلع متكررة، فيما عانت زوجته من اكتئاب حاد دون أي رعاية طبية، أما والدته، فحمل الحزن على ولدها الوحيد أعباءً نفسية وجسدية ما زالت تتفاقم حتى اليوم، والساعة التي كانت في جيبه لا تزال تحتفظ بها العائلة، كأنها الشاهد الصامت على جريمة لا تنسى.

تطالب عائلة رافع، أولاً، بمحاسبة الجناة الذين نفّذوا هذه الجريمة بدمٍ بارد، ثم تطالب بجبر الضرر مادياً ومعنوياً: تعويض اقتصادي يساعد في إعادة الحد الأدنى من الاستقرار، واعتراف رسمي بالضحية وضمّه إلى سجلات ضحايا المجزرة، العائلة تقول لا نطلب المستحيل، فقط نريد أن يُعترف بدماء أبنائنا، وأن يُسمع صوتنا بعد سنوات من الصمت، لا تنسوا مجزرة الشعيطات، فالصمت يقتل الضحية مرتين، والعدالة تبدأ من رواية القصة، وحين تُروى، فإنها تصبح ذكرى حيّة، لا يُمكن تجاهلها.

القصة 47: صالح علي المحيمد

صالح علي المحيمد، من مواليد مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 16 عاماً حين تم اعتقاله خلال أحداث مجزرة الشعيطات في عام 2014، كان أعزباً، الابن الأصغر لوالدته، ويعمل سائقاً على سيارة لنقل المياه في غرانيج، إلى جانب اهتمامه بأرضه وزراعتها، كان حلم والدته أن تزوجه، وحلمه أن يبني منزله ويؤسس عائلته الخاصة.

لم يكن صالح مجرد فتى صغير يعمل بجد، بل كان عماداً لأسرته، وصوتاً هادئاً في حياة والدته المسنة، كان يبدأ يومه بنقل المياه للمنازل، وينهيه بالاهتمام بأرضه وبوالدته، زرع القمح والخضار بيديه، وساهم في إعالة العائلة رغم صغر سنه، وعرفه الجميع بأخلاقه الحميدة، وصبره، وهدوئه حتى في الغضب، كان محبوباً من الناس، ومثالاً للابن الصالح المتواضع، وطموحه لم يكن كبيراً، لكنه كان واضحاً: يريد قطعة أرض، ومنزلاً صغيراً، وزوجة وأطفالاً يملؤون عليه حياته.

في يوم 12 آب 2014، وبينما كانت مدينة غرانيج تشتعل بحملة اعتقالات نفذتها عناصر تنظيم داعش، حاول صالح الفرار مع أحد أقربائه باتجاه مدينة هجين، إلا أن الطريق كان قد أُغلق بالحواجز، تم توقيفه على حاجز للتنظيم في منطقة ظهرة غرانيج قرب الآبار النفطية، قيل للعائلة إن التحقيق معه لن يستغرق أكثر من ساعات، لكنه لم يعد بعدها أبداً، وبعد أيام، ظهر مقطع فيديو يوثق جريمة إعدامه مع عدد من الشبان الآخرين، وأُصيب بطلق في الرأس والصدر، وتم رمي جثته في مقبرة جماعية.

انطلقت العائلة في البحث عن صالح منذ اليوم الأول، توجه أشقاؤه إلى مقرات التنظيم والحواجز، لكنهم لم يتلقوا أي إجابة، وبعد أسبوع، انتشر فيديو يوثق إعدامه مع آخرين، حاولت العائلة الوصول إلى جثته، لكنها مُنعت من الاقتراب من موقع المقبرة الجماعية الواقعة قرب الآبار النفطية.

فقدان صالح لم يكن مجرد غياب لابن صغير، بل كان انهياراً لركيزة أساسية في الأسرة، كان المعيل الوحيد لوالدته، والمساند لها في حياتها اليومية، بعد اختفائه، علّقت والدته صورته في غرفة الجلوس، وما تزال تحتفظ بثيابه وترفض السماح لأحد بلمسها، أصيبت والدته بضغط دم مرتفع ونوبات قلق متكررة، بينما دخل أحد إخوته في حالة اكتئاب وعزلة ونوبات هلع، والوضع الاقتصادي للعائلة تدهور بسرعة، فاضطرت إلى بيع جزء من الأرض الزراعية والاستغناء عن احتياجات كثيرة، ومنذ ذلك الحين، تعتمد الأسرة على مساعدات موسمية غير مستقرة ولا تملك مصدر دخل ثابت.

أول ما تطلبه العائلة هو محاسبة الجناة، لأن العدالة لا تكتمل دون الاعتراف بالجريمة، ولا تهدأ النفوس ما لم يُكشف عن هوية من ارتكبوا هذه الفظائع، يريدون أن يُقال بوضوح إن صالح لم يكن ضحية نسيها الناس، بل إنساناً طيباً قُتل ظلماً، كما ترى أن الاعتراف الرسمي به كضحية لمجزرة الشعيطات وتوثيق اسمه في السجلات هو حق، لا مجاملة، بل جزء من العدالة المعنوية التي تُعيد الاعتبار لصالح ولعائلته، وتدعو العائلة وسائل الإعلام إلى تسليط الضوء على مجزرة الشعيطات وقصص ضحاياها، لأن الإعلام، كما يقولون، ليس فقط وسيلة لنقل الخبر، بل أداة لفتح ملفات غُيّبت طويلاً، هم لا يريدون أن يُنسى صالح، لا يريدونه رقماً في مقطع فيديو عابر، بل يريدون أن يبقى اسمه حياً، شاهداً على الظلم، ودليلاً على صمود الذين رفضوا أن يصمتوا.

القصة 48: صالح محمد الوكاع الحمد

صالح محمد الوكاع الحمد، رجل في السابعة والأربعين من عمره، من أبناء مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، متزوج وأب لابنٍ وحيد كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً حين قُتل والده، كان صالح يعمل تاجراً للمواشي، يكدّ في عمله صباحاً ومساءً لتأمين قوت أسرته الصغيرة، التي كانت تتكوّن من زوجته، وابنه، وأخيه المريض نفسياً والذي كان يعيش معه ويحتاج إلى رعاية مستمرة، لم يكن صالح ينتمي إلى أي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يُعرف عنه أي نشاط مسلح، بل عاش حياته في الحقل والسوق، بعيداً عن الصخب والضجيج.

عاش صالح حياة ريفية بسيطة، يخرج كل صباح إلى "موقف أبو حمام" لبيع وشراء المواشي، يعود مساءً إلى منزله، يتفقد شؤون بيته، ويعتني بأخيه المصاب بمرض عقلي، لم يكن يملك إلا ما جمعته يداه من عرق جبينه، ولا يطمح لأكثر من حياة كريمة تؤمّن لزوجته وابنه مستقبلاً أفضل، وكان الرجل معروفاً بين أهالي غرانيج بحسن خلقه وهدوئه، يُقدّر العشرة، ويُعامل الناس بودّ واحترام، لم يكن له أعداء، ولم يُعرف عنه سوى الطيبة والجدّ في العمل، كانت أحلامه بسيطة، تتلخّص في تزويج ابنه وتربيته على القيم التي نشأ هو عليها.

في التاسع من آب 2014، اضطر صالح إلى العودة إلى منزله في غرانيج بعد نزوحه المؤقت، ذلك أن أخاه المريض رفض مغادرة البيت، ورفض أي مكان بديل، لم يكن صالح ليترك أخاه وحيداً في لحظة خطر، فعاد إلى جانبه، مدفوعاً بواجب أخويّ وإنساني لا يعرف المساومة، وفي تلك الليلة، تسلّلت مجموعة من عناصر تنظيم داعش إلى المنزل، واقتحمته، وارتكبت واحدة من أبشع الجرائم: قامت بذبح صالح وأخيه حامد بالسكاكين داخل البيت، بلا تهمة، بلا محاكمة، بلا حتى تفسير، ولاحقاً، نشر التنظيم إصداراً دعائياً يظهر فيه مشهد ذبح الأخوين، مدّعيًا أنهما "مرتدّان".

في البداية، اعتقدت العائلة أن صالح قد تم اعتقاله على أحد حواجز داعش، وانطلقت في رحلة بحث شاقة إلى مقرات التنظيم، تواصلت مع من نجا من المعتقلات، وسألت كل من يملك معلومة، لكنها لم تتلقَّ أي خبر، حتى جاء مقطع الفيديو الذي بثّه التنظيم، وفيه ظهرت الحقيقة كاملة، دامغة، ووحشية، وبعد انتهاء موجة النزوح، عادت العائلة إلى غرانيج، فوجدت جثتي صالح وحامد داخل المنزل، في نفس الموضع الذي قُتلا فيه، وتم نقل الجثتين ودفنهما في مقبرة العائلة، في قبر واحد، كما عاشا معاً، وماتا معاً.

برحيل صالح، انهار البيت الذي كان عماده، الزوجة فقدت السند، والابن الوحيد فقد الأب والموجّه في لحظة واحدة، والأسرة لم تجد بُدًّا من بيع أثاث المنزل لتأمين احتياجاتهم اليومية، بعد أن فُقد المعيل، وتقطّعت بهم السبل، لم يكن الألم مقتصراً على الجانب المادي، بل ترسّب في النفس، دخلت الزوجة في نوبات اكتئاب حاد، وبدأ الابن يعاني من اضطرابات جسدية ونفسية متكرّرة، إلى أن أُصيب لاحقاً بمرض عضال وتوفي على أثره، لتُفتح في صدر العائلة جراح أخرى لم تندمل.

ترى العائلة أن الجريمة لم تكن لحظة فردية، بل جزءاً من مجزرة واسعة وممنهجة ارتُكبت بحق المدنيين العزّل في الشعيطات، وهي لا تطالب بالقصاص العاطفي فقط، بل تطالب بعدالة قانونية مكتملة الأركان، تطالب أولاً باعتراف رسمي بمجزرة الشعيطات باعتبارها جريمة ضد الإنسانية، وفتح تحقيق جاد يُسائل كل من أصدر الأوامر، وكل من نفّذ الجريمة، وتطالب ثانياً بجبر الضرر: عبر دعم مالي ثابت يساعد العائلة على استعادة جزء من حياتها، وبرامج دعم نفسي لزوجة الضحية، التي لم تتعافَ بعد من الصدمة، ولفئات أخرى في المجتمع ممن عاشوا فظائع مماثلة.

القصة 49: غازي خليف الكليب

غازي خليف الكليب، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 45 عاماً عند اعتقاله في صيف 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لثمانية أطفال، أكبرهم في الثامنة عشرة وأصغرهم لم يبلغ عامه الأول، عمل مديراً لمدرسة لسنوات طويلة، وكان معروفاً باستقامته وسيرته الطيبة، يعيل أسرته التي تضم زوجته وأطفاله، دون انتماء لأي جهة سياسية أو عسكرية.

كان غازي يعيش حياة بسيطة ومنظمة، يقضي نهاره في إدارة المدرسة، ويعود إلى منزله ليعمل في الأرض ويرعى الأغنام والأبقار القليلة التي يملكها بمساعدة زوجته، لم يكن يملك سوى راتبه المدرسي ومورد بسيط من الزراعة، عُرف بين أهالي غرانيج كأبٍ وقدوة، معلماً وصاحب كلمة طيبة، كان حلمه أن يربي أبناءه تربية صالحة، وأن يعيش حياة كريمة بعيدة عن الصراعات التي عصفت بالبلاد.

حين نزحت العائلة إلى قرية البحرة، سمع غازي أن شقيقه الأصغر "ساير" اعتُقل على يد عناصر من تنظيم داعش أثناء ذهابه لإحضار قالب ثلج، حاولت العائلة منعه من الذهاب، لكنه أصر على اللحاق بأخيه وإنقاذه، ذهب إلى الموقع وتم اعتقاله مع شقيقه في 12 آب 2014، بقي الاثنان في أحد مقرات التنظيم حتى بدأت تصل أنباء عن وجود مقابر جماعية في بادية أبو حمام، ذهب إخوة غازي وخاله للبحث، ليعثروا على جثتي غازي وساير، بعد أن تمت تصفيتهما بدم بارد.

منذ لحظة الاعتقال، بدأ إخوة غازي بالبحث في مراكز الاحتجاز التابعة للتنظيم، لكنهم لم يحصلوا على إجابة، تواصلوا مع ناجين، دون فائدة، لاحقاً، زاروا عدّة مواقع لمقابر جماعية في ظهرة غرانيج، حقل العمر، وبادية أبو حمام، وهناك كانت الفاجعة، حيث عثروا على جثة غازي إلى جانب أخيه ساير في منطقة "السرب"، أحد الإخوة ذكر أنه رأى مشاهد مروعة داخل المقبرة، منها امرأة وطفلها الرضيع وقد تمت تصفيتهما سوياً.

غياب غازي ووفاته تركا أثراً بالغاً في العائلة، فقدت الأسرة المعيل الوحيد، واضطرت إلى بيع المواشي والممتلكات لتأمين لقمة العيش، الأطفال عانوا من آثار نفسية شديدة، خصوصاً ابنته الكبرى التي دخلت في حالة اكتئاب، فيما عانى إخوته من الأرق والتوتر المستمر، لم يحصلوا على أي دعم نفسي من جهات رسمية أو منظمات، لكنهم احتفظوا بمقتنياته كنوع من التوثيق، على أمل أن يتم الاعتراف رسمياً به كأحد ضحايا المجزرة.

بالنسبة لعائلة غازي، لم يكن فقده مجرد فاجعة شخصية، بل قضية إنسانية لا يجب أن تُنسى، تطالب العائلة بكشف الحقيقة، ومحاسبة الجناة الذين ارتكبوا هذه الجريمة بحق مدنيين عُزّل، كما تطالب بتعويض مادي ومعنوي، والاعتراف الرسمي بالضحية، وتقديم الدعم النفسي لعائلته التي لا تزال تعاني حتى اليوم، ويرون أن رواية القصة هو أول طريق لتحقيق العدالة، ورغم مرور سنوات طويلة، لم يفقدوا الأمل بأن يأتي يوم يُنصف فيه غازي، ويُعاد له ولأمثاله شيء من كرامتهم، لأنهم لم يكونوا أرقاماً، بل بشراً قُتلوا ظلماً بصمتٍ لا يجب أن يستمر.

القصة 50: عبد القادر العثمان

عبد القادر العثمان، من أبناء مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر ثلاثين عاماً حين تم تصفيته على يد تنظيم داعش في صيف عام 2014، خلال أحداث مجزرة الشعيطات، كان متزوجاً وأباً لثلاثة أطفال، أكبرهم في الرابعة من عمره، بينما لم ترَ طفلته الصغرى والدها إلا من خلال الصور، إذ وُلدت بعد وفاته، عمل عبد القادر في كشك صغير لبيع العصائر والحلويات في منطقة الظهرة، وكان المعيل الوحيد لعائلته، التي ضمت زوجته وأطفاله الثلاثة، دون أي انتماء سياسي أو نشاط عسكري.

كان عبد القادر يستيقظ مع بزوغ الفجر ليبدأ يومه في كشكه الصغير وسط حرارة النفط وعبء الحياة، لا ليجني المال فحسب، بل ليحافظ على كرامة أسرته، لم يكن له دخل آخر، لكنه كان يغطي حاجة أطفاله بحب وقناعة، عُرف بين الناس بوجهه البشوش وأخلاقه الطيبة، لا يغضب ولا يرد الإساءة بمثلها، وكان يعامل الجميع بمحبة واحترام، كان حلمه بسيطاً لكنه كبير في معناه: أن يبني بيتاً صغيراً، ويرى أطفاله يكبرون في أمان، وأن يعيش بسلام مع عائلته في بلده.

في اليوم الثاني من نزوحه إلى بلدة البحرة، قرر عبد القادر العودة إلى غرانيج برفقة ابن عمه حميد حسن الضاحي، راكبين دراجته النارية، لم يتمكنا من تجاوز الحاجز بين البلدتين، حيث لاحقتهما عناصر تنظيم داعش، وحاولا الهروب، لكن رصاص القناصين كان أسرع، وفي أحد الحقول الزراعية على أطراف غرانيج، سقط عبد القادر وابن عمه قتيلين برصاصة في الرأس، كما أفاد شاهد عيان، وبعد عشرة أيام من اختفائهما، جاء أحد أبناء المدينة – ممن كانوا ضمن التنظيم – وأخبر العائلة أن الجثتين ما زالتا في الأرض الزراعية، تسلل الأخ وابن العم ليلاً تحت جنح الخوف، وانتشلا الجثتين بصمت، ودفنوها سراً في بلدة البحرة بتاريخ 10 آب 2014.

منذ لحظة اختفائه، بدأت العائلة رحلة بحث يملؤها الخوف، سألوا في المقرات الأمنية، حاولوا معرفة أي شيء، دون جدوى، ثم جاء ذلك الشاب المنتمي للتنظيم ليخبرهم بما حصل، عندها لم يكن أمامهم سوى التسلل ليلاً إلى أطراف البلدة، حيث كان الرعب يسكن الهواء، لينتشلوا جثتي عبد القادر وحميد ويدفنوها في صمت.

ترك غياب عبد القادر جرحاً لا يُشفى في عائلته، لم يكن فقط معيلاً، بل كان سنداً، حائطاً من دفء في وجه قسوة الحياة، انقلبت حياة أسرته رأسًا على عقب، واضطرت زوجته إلى بيع أثاث البيت لتؤمن الحد الأدنى من المعيشة، وسط غياب أي دعم ثابت، ودخلت الزوجة في نوبة اكتئاب عميقة، ووالدته عانت من أمراض جسدية ونفسية مزمنة بسبب الحزن، لم تتلقَ الأسرة أي دعم نفسي أو رعاية طبية، وما زالت زوجته تحتفظ بملابسه وصوره، ترتبها كل يوم كأنها تنتظر عودته، والبيت الذي كان يحلم ببنائه، بقي حلماً يتيماً، وسط أوضاع معيشية صعبة زادها انقطاع المساعدات الإنسانية سوءاً.

لا تسعى عائلة عبد القادر للانتقام، بل للإنصاف، العدالة بالنسبة لهم تبدأ بمحاسبة القتلة الذين اغتالوا ابنهم وسط حقلٍ لا صوت فيه سوى الرصاص، ويطالبون بالاعتراف الرسمي بعبد القادر كضحية مدنية، وتوثيق اسمه بين الشهداء، وتقديم تعويض مادي يعيد بعض الاستقرار المعيشي، ودعم نفسي حقيقي لزوجته وأطفاله الذين لم يتمكنوا بعد من فهم معنى الفقد، لكنهم يعيشونه كل يوم، ويريدون أن تُروى قصتهم في الإعلام، كي لا يُنسى عبد القادر، ولا يُنسى معه مئات الضحايا الآخرين، فرغم الخذلان، لا يزال في قلوبهم يقين بأن الوقت سينصفهم، وأن الصمت الطويل لا بد أن ينهار أمام صوت الحقيقة.

القصة 51: أحمد عصام الدوري

أحمد عصام الدوري، شاب من أبناء مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان في الثالثة والعشرين من عمره حين قضى نحبه في عام 2014، خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لطفل لم يُكمل عامه الأول، وكان المعيل الوحيد لزوجته وطفله، بالإضافة إلى إخوته الثلاثة الذين نشأوا في كنفه، أحمد لم ينتمِ لأي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يعرف عنه أي نشاط مسلح أو تحريضي، كان شاباً ريفياً بسيطاً، لا يحمل سوى مجرفته، ولا يعرف من الأرض إلا حرثها، ومن الحياة إلا خبزها الحلال.

كان أحمد يعيش حياة زراعية متواضعة، يعمل في أرضه التي ورثها عن والده، ويعتني بعدد قليل من رؤوس الأغنام بمساعدة زوجته وإخوته، وبجهده الشخصي، زرع القمح والخضراوات، وكان يقضي يومه بين الحقل والبيت، لا يعرف الكلل، ولا يشكو التعب، لم يكن فقط مزارعاً، بل كان أباً وأخاً في آنٍ معاً، تحمل مسؤولية تربية إخوته الصغار، وربّاهم بحنوّ يفوق عمره، وكان حلمه أن يشتري قطعة أرض ويبني فوقها بيتاً يجمع فيه أسرته الصغيرة وإخوته تحت سقف واحد، بعيداً عن الفقر والقلق.

في يوم 9 آب 2014، تسلّل أحمد ليلاً من قرية البحرة إلى مدينته غرانيج في محاولة لاستعادة بقرته وأغنامه التي تركها هناك بعد تصاعد وتيرة الاشتباكات، وفي "ظهرة غرانيج"، اعتقلته دورية تابعة لتنظيم داعش، مع أحد أقربائه، حاول الهروب لاحقاً، لكن الحواجز أغلقت جميع المنافذ، وفي موقع قرب الآبار النفطية، أُخذ أحمد معصوب العينين، بحجة التحقيق لبضع ساعات، لكنه لم يعد، وبعد أيام، انتشر مقطع مصوّر يظهر فيه أحمد ضمن مجموعة من المعتقلين، تمّت تصفيتهم ميدانياً بإطلاق النار على الرأس والصدر، في مشهد يعكس أقصى درجات الوحشية.

منذ لحظة اعتقاله، بدأت العائلة رحلة بحث طويلة ومريرة، تنقل إخوته بين الحواجز والمقرات يسألون، يستفسرون، يرجون، ولكن لا إجابة، وبعد أسبوع، ظهر فيديو على يد أحد شهود العيان، يُظهر أحمد بين مجموعة من الشبان الذين تم إعدامهم ميدانياً، وحين عاد الأهالي إلى غرانيج، توجهت العائلة إلى إحدى المقابر الجماعية في منطقة "الظهرة"، وهناك، تعرف شقيقه عليه عبر إصابة قديمة في جسده، وبمحفظته الشخصية، وتم دفنه في مقبرة العائلة.

غياب أحمد كان كسراً حاداً في عظم العائلة، لا زال أثره حيّاً حتى اليوم، كان الأب والأخ والمعيل والسند، وبرحيله لم تفقد الأسرة فرداً، بل فقدت بنيانها كله، أخته الكبرى ما زالت تحتفظ بثيابه، تنظفها كل يوم، وتمنع أحداً من لمسها، كأنها تتشبث بما تبقى من حضوره، وزوجته انهارت نفسياً، وأُصيبت بنوبات قلق واكتئاب، أما أحد إخوته، فدخل في عزلة تامة، وانزلق إلى حالة من الانهيار النفسي، وتدهور وضعهم الاقتصادي بشكل حاد، فاضطرت العائلة إلى بيع جزء من أرضهم الزراعية، والتخلي عن الكثير من أساسيات المعيشة، واليوم، تعيش الأسرة على المساعدات الموسمية، دون أي مصدر دخل ثابت، تُقاوم الحياة بإرثٍ من الصبر وغياب الأمان.

تؤمن العائلة أن العدالة لا تُقاس بعدد الكلمات، بل بخطوات ملموسة تبدأ بمحاسبة الجناة، فدماء أحمد لم تكن خطأ عارضاً، بل جريمة مكتملة الأركان، تستوجب المحاكمة والمساءلة وهي تطالب بالاعتراف الرسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد الإنسانية، والتعويض المادي والمعنوي للعائلة، بما يُعيد لها بعضاً من الكرامة المهدورة، ويُعينها على مواصلة الحياة.

القصة 52: بشير يوسف الدوري

بشير يوسف الدوري، شاب من أبناء بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً حين تم اعتقاله في صيف عام 2014، شاب أعزب، هو الابن الأكبر لوالدته، التي كانت تستعد لتزويجه في تلك الفترة، فقد والده وهو صغير، فتولى مسؤولية إعالة أسرته الكبيرة، المؤلفة من والدته، ست شقيقات، وشقيقين، اثنتان من شقيقاته من ذوي الاحتياجات الخاصة، وكان له الدور الأبوي الحنون بعد غياب الأب.

كان بشير مثالاً للشاب الريفي المتواضع، الملتزم بقيم العمل والصبر، يعمل في أرضه ويعتني بأبقاره بمساعدة والدته، لا يعرف سوى السعي لتأمين لقمة العيش الكريمة لعائلته، تربى على المسؤولية منذ أن فقد والده، فكان لا يرى نفسه مجرد أخ، بل عماد الأسرة بأكملها، وخصوصاً لشقيقتيه ذوي الاحتياجات الخاصة، اللتين كان يعتني بهما بحنان نادر، كان محبوباً في مجتمعه الصغير، معروفاً بدماثة أخلاقه، واستعداده الدائم لمساعدة الآخرين.

في يوم 14 آب 2014، وبينما كانت عائلة بشير نازحة في مدينة هجين، كان بشير يساعد أحد أبناء بلدة غرانيج النازحين على تعبئة خزان مياه الشرب، وفي تلك اللحظة، داهمت دورية تابعة لتنظيم داعش المكان، وقامت باعتقاله، وبحسب شهادة أحد شهود العيان، تعرض بشير للتعذيب فور اعتقاله، حيث طالبه عناصر التنظيم بالإدلاء بمعلومات حول أحد أبناء البلدة، لكنه أنكر معرفته به، نُقل بشير بعدها إلى أحد مقرات التنظيم، ومنذ تلك اللحظة انقطعت أخباره تماماً، ظهرت لاحقاً معلومات عن إعدامات جماعية نُفذت في بادية غرانيج وأبو حمام، لكن العائلة لم تتمكن من التأكد من مصيره.

منذ اليوم الأول لاختفائه، لم تتوقف والدته عن البحث عنه، تنقلت بين الحواجز والمقرات التي كانت تخضع لسيطرة تنظيم داعش، تسأل وتستفسر، دون أن تتلقى أي إجابة، إخوته أيضاً زاروا المقابر الجماعية في منطقة "ظهرة غرانيج" و"بادية أبو حمام"، لكن دون جدوى، العائلة تواصلت مع عدد من الناجين من المعتقلات، وتلقت شائعات وأخباراً متضاربة زادت الغموض وأثقلت كاهلهم نفسياً، كما أرسلت بياناته إلى منظمات حقوقية محلية ودولية تُعنى بتوثيق جرائم داعش، لكن لم يصلها أي رد أو تحديث رسمي، واليوم، لا يزال مصير بشير مجهولاً، والعائلة تعيش على أملٍ يتآكل يوماً بعد آخر، لكنهم لا زالوا يطرقون كل الأبواب الممكنة في سبيل الوصول إلى حقيقة ما جرى.

غياب بشير ترك أثراً فادحاً على جميع أفراد أسرته، مادياً ونفسياً، فقد كان المعيل الوحيد، وبعد اختفائه اضطرت الأسرة إلى بيع الأبقار التي كانوا يعتاشون منها، كما باعوا جزءاً من أرضهم الزراعية لتأمين ضروريات الحياة، وتدهور الوضع النفسي للعائلة، خصوصاً والدته التي انهارت بعد اختفاء ابنها الأكبر، وأصيبت بأمراض نفسية وجسدية، لم تتلقَ عليها أي علاج أو دعم متخصص، وشقيقتاه من ذوي الاحتياجات الخاصة عانتا تراجعاً صحياً ملحوظاً، في ظل غياب من كان يعتني بهما كأب لا كأخ.

العائلة لا تطالب بالمستحيل، بل تطلب أولًا محاسبة الجناة، كل من ارتكب، أو أمر، أو تواطأ في هذه الجريمة، كما تطالب بجبر الضرر المادي والمعنوي، عبر تعويض يساعدهم في استعادة جزء من استقرارهم المعيشي، واعتراف رسمي ببشير كأحد ضحايا مجزرة الشعيطات، وتوثيقه في سجلات الضحايا.

القصة 53: نجم خريوش الموسى

نجم خريوش الموسى، من أبناء مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، وكان يبلغ من العمر 47 عاماً حين تم اعتقاله خلال أحداث مجزرة الشعيطات في صيف عام 2014، رجل متزوج من ثلاث نساء، وأبٌ لثمانية عشر طفلاً، أكبرهم كان في السابعة عشرة من عمره، وأصغرهم لا يزال رضيعاً وقت اختفائه، كان نجم يعمل مغترباً في المملكة العربية السعودية، يكدّ في غربته لتأمين حياة كريمة لأسرته الكبيرة التي كانت تعتمد عليه اعتمادًا كلياً.

حياة نجم كانت تدور بين العمل والغربة والالتزام بأسرته، يقضي نهاره في عمله بالسعودية ويعود مساءً إلى سكن بسيط يشاركه فيه شباب من منطقته، كان هادئ الطبع، قليل الكلام، مكرساً نفسه لتأمين مستقبل أبنائه، وكان يحلم ببناء منزل يضم أسرته المتفرقة ويمنحهم الاستقرار بعد سنوات من الغربة والشتات، وبحسب شهادة زوجته، لم تكن لنجم أي صلة بجهات فاعلة في النزاع السوري، ولم يسبق له الانخراط في أي أنشطة سياسية أو عسكرية، بل بقي دائماً في إطار الحياة المدنية والمعيشية البسيطة.

في صباح يوم 9 آب 2014، وأثناء نزوح عائلة نجم إلى مدينة هجين بعد تصاعد الأحداث في مناطق الشعيطات، داهمت مجموعة من عناصر تنظيم داعش منزلهم، وبحسب شهادة زوجته، اقتحم المسلحون المنزل فجأة، واقتادوا نجم بالقوة أمام أطفاله وزوجاته دون أي تهمة أو تفسير، نُقل إلى أحد مقرات التنظيم، ومنذ تلك اللحظة انقطعت أخباره تماماً، لاحقاً، بدأت تنتشر أنباء عن إعدامات ميدانية واسعة في بادية دير الزور، طالت كثيراً من أبناء الشعيطات، لكن العائلة لم تعثر على اسمه بين الجثث المكتشفة، ولم يظهر في أي تسجيل أو قائمة للمفقودين أو الضحايا، وفي محاولة يائسة، أرسلت العائلة أقارب إلى العراق للبحث عنه في السجون والمواقع التي كانت تحت سيطرة التنظيم، دون الوصول إلى أي معلومة مؤكدة، وهكذا، ظلّ نجم مفقوداً، لا جثمان له، ولا شاهد على مصيره سوى وجع عائلته وصورته المعلقة على الجدران.

منذ اللحظة الأولى، بدأت العائلة رحلة بحثٍ مضنية، محمّلة بالأمل والخوف، حاولت زوجته الوصول إلى مقر التنظيم، لكن تم منعها من الدخول، تواصلت العائلة مع عدد من الناجين من معتقلات داعش، وزارت العديد من المقابر الجماعية في بادية غرانيج، وأبو حمام، ومحيط حقل العمر، لكن دون نتيجة، كما أرسلت العائلة بيانات نجم إلى منظمات حقوقية محلية ودولية، لكن لم يصلها أي رد أو توضيح، مما زاد شعورها بالعزلة والتجاهل، حتى اللحظة، لا يزال نجم خريوش الموسى مفقوداً دون دليل على وفاته أو بقاءه حياً، واسمُه مُعلّق على لائحة انتظار طويلة في ذاكرة العدالة الغائبة.

غياب نجم لم يكن فقداً عادياً، بل زلزالاً اقتصادياً ونفسياً ضرب عائلته من العمق، كان هو المعيل الوحيد لعائلة من ثلاث زوجات وثمانية عشر طفلاً، وتوقّف دخله كان يعني انهيار كل شيء، اضطرت الأسرة إلى بيع ما تبقى من مواشٍ وممتلكات منزلية لتأمين الحاجات الأساسية، والابن الأكبر، الذي كان لا يزال قاصراً، وجد نفسه مجبراً على تحمّل عبء أسرة لا يقوى على إدارتها، زوجته أصيبت بأمراض نفسية مزمنة، من اكتئاب وأرق، دون أن تتلقَّ أي دعم نفسي أو اجتماعي، ما تزال العائلة حتى اليوم تعتمد على مساعدات متقطعة من بعض الأقارب والجمعيات الخيرية، دون وجود مصدر دخل ثابت، ودون أي تدخل رسمي يخفف من وطأة الفقد.

بالنسبة لعائلة نجم، العدالة تبدأ من معرفة مصيره، هل هو مدفون في مقبرة مجهولة؟ هل لا يزال معتقلاً في مكانٍ ما؟، وتطالب العائلة في محاسبة المسؤولين عن المجازر، وجبر الضرر المادي للعائلة، عبر تعويض يضمن لها حياة كريمة بعد فقدان المعيل، الدعم النفسي لزوجاته وأبنائه، خاصة أولئك الذين يعانون اضطرابات نفسية مزمنة، والاعتراف الرسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد الإنسانية، ووضع أسماء المفقودين والضحايا في سجلات توثيقية معتمدة

القصة 54: إبراهيم دعباز العواد

إبراهيم دعباز العواد، شاب من بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 23 عاماً عند اعتقاله في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، لم يكن قد تزوّج بعد، وكان من المفترض أن تتم خطوبته في ذات الشهر الذي تم فيه اعتقاله، عاش حياة ريفية بسيطة، يعمل في الزراعة وتربية الأغنام، ويشارك والده في تأمين احتياجات المنزل، معيلاً لأسرته التي تتكوّن من والديه وإخوته الصغار، ولم يكن ينتمي لأي جهة سياسية أو عسكرية.

كان إبراهيم شاباً هادئاً، لا يشغله شيء سوى أرضه وأغنامه وأسرته، عُرف بين أبناء البلدة بلطفه وتهذيبه واحترامه للجميع، لم يكن له أي ارتباط بالنزاع الدائر أو بالأطراف المسلحة، بل كان ملتزماً بحياته اليومية في الحقل وحول المنزل، متطلعاً إلى بناء مستقبل بسيط، يبدأ بخطوبة طال انتظارها.

في التاسع من آب 2014، داهمت دورية تابعة لتنظيم داعش منزل العائلة واعتقلت إبراهيم، إلى جانب أخيه عبود ووالدهما، نُقلوا إلى مركز احتجاز في بلدة أبو حمام، ثم في وقت متأخر من الليل تم اقتيادهم إلى بستان في أطراف البلدة، هناك، بدأ أحد أمراء التنظيم باستجوابهم، وأطلق سراح الأب وابنه عبود، بينما رفض الإفراج عن إبراهيم، حاول الأب أن يتوسل، لكن الرد جاء حاداً: "غادر الآن، وإلا لن تخرج أنت الآخر"، وبعد فترة، عاد أحد الناجين من المعتقل وأبلغ العائلة أن إبراهيم قُتل نحراً بالسكين ودفن في إحدى المقابر الجماعية.

لم تتوقف العائلة عن البحث منذ اليوم الأول، فزارت المقار وسألت الناجين، دون أن تحصل على إجابة شافية، لاحقاً، أخبرهم أحد المعتقلين المفرج عنهم أنه شاهد إبراهيم يُذبح ويُدفن في بادية أبو حمام، لكن حتى اليوم لم تتمكن الأسرة من العثور على جثته، زار والد إبراهيم عدّة مقابر جماعية، لكنه لم يجد شيئاً، ورافق هذه الرحلة الكثير من الشائعات والخوف والضغوط، وبقيت الحقيقة ضائعة.

خسارة إبراهيم كانت ضربة موجعة للأسرة، خاصة لوالده الذي لم يغفر لنفسه أنه ترك ابنه خلفه، تدهورت الأوضاع المعيشية بعد غيابه، فاضطرت الأسرة إلى بيع مواشيها وممتلكاتها لتأمين الحد الأدنى من المعيشة، يعاني الأب من أمراض نفسية وجسدية مزمنة، ولا تزال والدته تحتفظ بملابسه وصوره، تواسي نفسها بذكراه، لم تتلق الأسرة أي دعم مستقر، وتعتمد فقط على مساعدات متفرقة من أقارب أو مبادرات محلية.

رغم مرور السنوات، لا تزال عائلة إبراهيم تطالب بالحقيقة والمحاسبة، أن يُعترف بابنهم كضحية، وأن يُحاسب من قرر قتله دون ذنب، كما تطالب العائلة بإجراء فحوصات DNA للكشف عن جثث المقابر الجماعية، وبالحصول على تعويض مادي ومعنوي يخفف عنهم آثار الفقدان، كما يطالبون بدعم نفسي للأطفال والنساء المتأثرين بالمجزرة، ويرغبون في المشاركة بأي مسار قانوني ممكن، وتؤمن العائلة أن رواية حكايتهم ليست فقط لتخليد الذاكرة، بل هي السبيل لكشف الحقيقة، حتى لا تتكرر هذه الجرائم، وحتى لا يُدفن الأبرياء مرتين: مرة في الأرض، ومرة في النسيان.

القصة 55: عدنان حرب المسعود

عدنان حرب المسعود، شاب من أبناء بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 24 عاماً عند اعتقاله في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، كان أعزب، وفي تلك الفترة كان يُحضّر لحفل زفافه الذي كان من المفترض أن يُقام في التاسع من آب، عدنان كان عامل بناء مغترباً في لبنان، يعيل والده ووالدته وإخوته، ولم يكن له أي انتماء سياسي أو عسكري.

غادر عدنان إلى لبنان للعمل في مهنة البناء، يستيقظ مع شروق الشمس، ويعود مرهقاً عند غروبها، حالماً باليوم الذي سيعود فيه إلى وطنه ليبني فيه بيتاً ويبدأ حياته الأسرية، كان إنساناً متواضعاً، محبوباً من كل من حوله، عُرف بلين طباعه وسعة صدره، عاد إلى غرانيج من غربته من أجل التحضير لزفافه، دون أن يدرك أن هذا الحلم سيتحول إلى مأساة، وبحسب شهادة أحد أقاربه، لم يكن له أي علاقة بأي طرف من أطراف النزاع، ولم يشارك في أي نشاط يتجاوز سعيه لحياة آمنة ومستقرة.

في العاشر من آب 2014، كان عدنان يستقل دراجته النارية مع ابن عمه معتز في طريقهم إلى هجين، تم توقيفهم على أحد حواجز تنظيم داعش واقتيدوا إلى مركز احتجاز مؤقت أقامه التنظيم داخل محطة مياه الكعابي، هناك، احتُجزا دون تهمة، مرّت أيام دون أخبار، حتى بدأت تخرج معلومات عن مقابر جماعية في بادية الجرذي، وبعد بحث مرير، علمت العائلة من أحد شهود العيان أنه شاهد شابين يُقتلان برصاص مباشر في الرأس والصدر ثم يُدفنان على عجل في طرف البادية، ودلّهم الرجل على القبر، وهناك، وسط صدمة الأب، تم استخراج جثتي عدنان ومعتز، وقد تم التعرف على عدنان من خلال ميدالية مفاتيح دراجته التي كانت لا تزال في جيبه.

منذ اليوم الأول، بدأت العائلة رحلة البحث، ذهب والد عدنان إلى مركز الاحتجاز، ومن ثم إلى العراق، ظناً أنه قد نُقل إلى هناك، تواصلوا مع ناجين من المعتقلات، ولكن دون نتيجة، وبعد عودتهم من اللجوء، توجه والد عدنان إلى بادية الجرذي للبحث عن المقابر الجماعية، وهناك، التقى براعي أغنام كان شاهداً على مقتل الشابين، دلّهم على القبر المشترك الذي دُفنا فيه، فحفره الأب، وساعده أبناء العم في إخراج الجثتين، وتم دفنهما في مقبرة العائلة في غرانيج.

كان عدنان هو الابن الأكبر، وكان فقده كمن قصف قلب البيت، تحوّل منزل العائلة من بيت مليء بفرح الزفاف إلى مكان يسكنه الصمت والحزن، أُصيب والده بارتفاع في الضغط والسكري نتيجة الحزن، وعانت والدته من اكتئاب وقلق مزمن، وما زالت والدته تحتفظ بملابسه وصوره، وتنظر إليها كل يوم وكأنها تنتظر عودته من العمل، اضطرّت العائلة في غيابه إلى بيع جزء من ممتلكاتها لتأمين الحد الأدنى من المعيشة، ورغم تحسن وضعهم لاحقاً بفضل عمل إخوته، بقي الجرح النفسي مفتوحاً لا يندمل.

لم تفقد العائلة إيمانها بأن العدالة قادمة، مهما طال الزمن، وتطالب أولاً بالاعتراف الرسمي بأن ما جرى في مجزرة الشعيطات جريمة ممنهجة ضد المدنيين الأبرياء، ثم تطالب بمحاسبة الجناة، وترى العائلة أن دم ابنهم ليس رقماً في سجل، بل حياة حقيقية سُرقت دون سبب، وتوجه العائلة أيضاً رسالتها إلى المنظمات الإنسانية ووسائل الإعلام لتوثيق ما حدث وتسليط الضوء على القصص المنسية، وتؤمن أن رواية قصتها ليست فقط لتكريم ذكرى عدنان، بل لحماية الآخرين من مصير مشابه، فالتوثيق يخلّد الذاكرة، ويمنع النسيان، ويبني جداراً في وجه تكرار الجرائم.

القصة 56: أميرة عبد العبد

أميرة عبد العبد، امرأة ريفية من بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كانت تبلغ من العمر 47 عاماً عند مقتلها في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوجة وأم لثمانية أطفال، أكبرهم في السابعة عشرة وأصغرهم في السادسة، وكانت تعمل في الزراعة وتربية الأبقار، وتعيل أسرتها إلى جانب زوجها المغترب في الكويت.

عاشت أميرة حياة بسيطة مليئة بالكدّ والحنان، تنهض كل صباح للاعتناء بأرضها ومواشيها، قبل أن تنشغل بتحضير الطعام وغسل الثياب، ثم تجلس لتراجع دروس أولادها أو تصنع الخبز الطازج، لم تكن فقط أماً لبيتها، بل كانت سنداً ومعيناً لجيرانها ومعارفها، لم يعرف عنها إلا الخير، بوجهها البشوش، وكلماتها الطيبة التي لا تخلو من الدعاء أو النصيحة، حلمها لم يكن كبيراً، بل إنسانياً: أن تزوّج ابنها، وترى أولادها يكبرون على التربية الصالحة، في بيت دافئ، يشبه قلبها.

في الثامن من آب 2014، رفضت أميرة مغادرة منزلها حين دخلت عناصر تنظيم داعش بلدة غرانيج، ظنّت أن النساء والأطفال سيكونون بمنأى عن العنف، وفي صباح اليوم التالي، ذهبت مع جارتها وأخت زوجها لسقاية المواشي من نهر الفرات القريب، لم تكن تعرف أن الموت يترصّدها هناك، أطلقت عناصر التنظيم الرصاص عليهن بلا إنذار، فسقطت أميرة قتيلة على الفور، بينما أصيبت المرأتان بجروح بالغة، وجثتها بقيت على الأرض حتى تسلل بعض الرجال ليلاً وانتشلوها ودفنوها قرب البيت، ثم نُقلت إلى مقبرة العائلة بعد عودة الأهالي من اللجوء.

لم تحتج العائلة للبحث عن مصير أميرة، فقد كان موتها علنياً، في وضح النهار، أمام النهر الذي كانت تروي منه المواشي، لكنهم احتاجوا وقتاً طويلاً لتجاوز الصدمة، إن كانوا قد تجاوزوها حقاً، فقد تمّت الجريمة أمام الجيران، وأمام أطفالها، وأمام صمت العالم، ومع أن من بقي من النساء نُقل إلى هجين للعلاج، إلا أن آثار الجريمة ظلّت حيّة في نفوسهن.

كانت أميرة العمود الذي يستند عليه البيت، وبمقتلها، انهار السقف على رؤوس الأطفال الثمانية، لم تكن الخسارة عاطفية فقط، بل اقتصادية ونفسية، وتحوّل البيت إلى مكان بارد، يعبق بالحزن، تملأه أسئلة لم تجد أجوبة: "لماذا قُتلت أمّنا؟ ماذا فعلت؟"، أصيب الأطفال بنوبات هلع واكتئاب، لا سيما الأصغر بينهم، وعانت والدة أميرة من انهيار نفسي وجسدي، وحتى اليوم، ما زال الأولاد يحتفظون بلباسها، يتلمسونه وكأنهم يمسكون يدها.

لا تسعى عائلة أميرة للانتقام، بل للحقيقة والاعتراف. يريدون أن تُسجّل مجزرة الشعيطات في سجلات التاريخ كجريمة ضد المدنيين الأبرياء، ويطالبون بجبر الضرر المادي ليتمكنوا من استكمال تعليمهم، لكن أكثر ما يطلبونه هو الاعتراف، أن تُذكر أمّهم في لوائح الضحايا، ألا تموت مرتين: مرة بالرصاص، ومرة بالنسيان، وتناشد العائلة وسائل الإعلام أن لا تنسى هذه القصص، لأن الإعلام هو الذاكرة، والعدالة لا تولد من الصمت.

القصة 57: أحمد عبد الله الشحاذة

أحمد عبد الله الشحاذة، من مواليد مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 49 عاماً عند اعتقاله وتصفية جسده في آب 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لطفلين، أكبرهما كان في العاشرة من عمره، وأصغره في السادسة، لم يكن أحمد منتسباً لأي جهة عسكرية أو سياسية، بل كان مغترباً يعمل في الحدادة بدولة الكويت، يكدّ لتأمين لقمة العيش لعائلته ووالديه المسنين وأخيه المريض.

عاش أحمد حياة شاقة مليئة بالكدّ والعمل، يقضي نهاره في الورشات ويعود ليتصل بأهله ويطمئن على أسرته، كان كريماً، عطوفاً، يسند الجميع من حوله، لم يردّ يوماً محتاجاً، وكان يقتطع من راتبه في الكويت مبلغاً شهرياً يُرسله لأخيه المريض، حلمه لم يكن كبيراً: تربية أطفاله تربية صالحة، وإدخالهم مدارس جيدة، وأن يرى فيهم امتداداً لحلمه البسيط في الاستقرار والكرامة.

في صيف 2014، عاد أحمد إلى سوريا لقضاء عطلة قصيرة مع عائلته، وبعد دخول تنظيم داعش إلى مدينة غرانيج، اضطر للنزوح مع أسرته إلى بلدة البحرة، وذات ليلة، قرر العودة إلى منزله في غرانيج لتفقده، لكنه لم يعد. داهمت عناصر التنظيم بيته واعتقلته، وبحسب شهود، تمّت تصفيته فوراً في الشارع العام في غرانيج بتاريخ 18 آب 2014، أُطلق عليه النار في صدره، وتم العثور على جثته لاحقاً في إحدى المقابر الجماعية بمنطقة الظهرة، وكان على جسده آثار تعذيب وتنكيل.

منذ لحظة اختفائه، بحثت العائلة عن أحمد بكل الطرق، لكن سرعان ما جاءهم خبر مؤكَّد من شهود عيان: أحمد تمّت تصفيته على يد عناصر التنظيم، ورغم معرفة المصير، أصرّت زوجته على مواصلة البحث، علّها تكذّب النبأ، زار أهل زوجته المقابر الجماعية في الظهرة، وهناك وُجد جسده، بملابسه وعلامة في جسده.

غياب أحمد لم يكن مجرد فقدان ربّ أسرة، بل كان زلزالاً هزّ حياة الجميع، كان المعيل الوحيد لعائلته وأخيه المريض ووالديه المسنين، وبعد رحيله، دخل البيت في صمتٍ قاتم، زوجته انهارت نفسياً، وأصيبت بأمراض عصبية مزمنة بسبب الحزن، أما أخوه المريض، فقد فَقَد سنده الوحيد، وزادت الفاجعة حين توفي ابن أحمد الأكبر في 2018 بانفجار لغم من مخلفات التنظيم، ليُضاف وجع آخر إلى قلب أمٍ مفجوعة، والوضع الاقتصادي للعائلة انهار، فاضطرت الزوجة إلى بيع ممتلكات بسيطة لتأمين قوت أولادها، وتوقفت عن إرسالهم إلى المدارس، واليوم، تعيش العائلة على مساعدات متقطعة، وسط شعور دائم بالخذلان.

رسالة عائلة أحمد تبدأ بمطلب واضح: محاسبة الجناة. يريدون أن يعلم العالم أن ما جرى في غرانيج لم يكن إلا إبادة جماعية راح ضحيتها الأبرياء، ومن بينهم أحمد، الذي لم يحمل سلاحاً في وجه أحد، وتطالب العائلة باعتراف رسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد الإنسانية، وجبر ضرر مادي يساعدهم على النهوض من رماد الفقر، ودعم معنوي يعيد لأحمد اسمه في سجلّ الضحايا، ودعم نفسي يعين زوجته التي لم تتعافَ يومًا من آثار الكارثة.

القصة 58: حسين حرب المحيمد

حسين حرب المحيمد، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 33 عاماً عندما تم اعتقاله في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لسبعة أطفال، أكبرهم في التاسعة وأصغرهم لم يتجاوز الثانية من العمر، كان حسين يعمل في البناء بدولة الكويت، ويعيل أسرته الكبيرة المكونة من زوجتيه وأطفاله، لم يكن له أي انتماء سياسي أو عسكري، ولم يشارك يوماً في أي نشاط خارج عن الإطار المدني.

كان حسين رجلاً بسيطاً، مغترباً في الكويت، يقضي يومه في العمل الشاق منذ الفجر حتى المساء، ثم يعود ليطمئن على أسرته، لم يكن يحمل إلا همّ عائلته وأطفاله، وأعظم طموحاته كان بناء مسجد في منطقة الشويلا المهملة في غرانيج، ليكون صدقة جارية لأهل بلدته، وكان بيته مجلساً للصُلح، وصوته مسموعاً بين الناس، رجلاً تُضرب به الأمثال في الكرم والشهامة.

في صيف 2014، عاد حسين إلى سوريا لقضاء عطلة قصيرة، وبعد دخول تنظيم داعش إلى غرانيج، لجأ مع عائلته إلى منزلهم الكبير في الشويلا، أقنعه أحد إخوته بالبقاء هناك لكونه مغترباً ويحمل إقامة خليجية، معتقداً أنه لن يُمس، في البداية، زاره عناصر من التنظيم ولم يتعرضوا له، بل كان يُكرمهم بالطعام والماء، بل وحصل على "ورقة أمان" من أحد أمراء التنظيم، ولكن بعد أيام، وبينما عاد من مدينة هجين بعد إسعاف ابنته المريضة، داهمت دورية تابعة للتنظيم منزله واعتقلته بتاريخ 29 آب 2014، واقتادته إلى أحد مقراتهم، دون رجعة.

منذ اليوم الأول، بدأت العائلة البحث، لكن دون أثر، تواصلوا مع ناجين من سجون التنظيم، وأحدهم أخبرهم أن حسين كان من بين من تم اقتيادهم في "عيد الأضحى" لتصفيتهم، قائلاً إن أحد عناصر داعش قال للمعتقلين: "اليوم نضحي بكم بدل الخراف"، زارت العائلة المقابر الجماعية في الظهرة وبادية أبو حمام، لكن دون جدوى، لم يعثروا على جثته، وبقي في سجل الغياب، ومعلّقاً في الذاكرة، ورحلة البحث كانت شاقة، محفوفة بالخوف، الإشاعات، والتضليل. لا قنوات رسمية، ولا إجابات، ولا قبور تواسي الغياب.

كان حسين هو العمود الفقري للعائلة، وبغيابه، تهدّم كل شيء، زوجتاه وأطفاله باتوا في مواجهة حياة مظلمة، والحزن خيم على البيت، وخصوصاً على أمه التي أصيبت بالاكتئاب وأمراض القلب، أخوه الأكبر، الذي كان يظن أنه أنقذه بنصيحته، غرق في تأنيب الضمير، وانعزل يعاني من أمراض جسدية ونفسية، لم يعد للدخل وجود، فتكفّل أحد أبناء العم برعاية الأسرة، وما زالت ملابس حسين محفوظة، تُشمّ كما لو أنها تحوي أنفاسه الأخيرة.

ورغم مرور السنوات، ما زالت عائلة حسين تطالب بالحقيقة، والعدالة، والاعتراف الصريح بأن ما حدث كان جريمة ممنهجة ضد المدنيين، هم لا يطالبون بالثأر، بل بالحق، بتعويض يضمن حياة كريمة لأطفاله السبعة، باعتراف رسمي يُخلّد اسمه بين الضحايا، وبدعم نفسي يواسي من بقي يتنفس الحزن.

القصة 59: خلف جاسم المحمد

خلف جاسم المحمد، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 31 عاماً عند اعتقاله في صيف عام 2014، خلال أحداث مجزرة الشعيطات، كان متزوجاً وأباً لستة أطفال، أكبرهم في الثامنة من عمره، وأصغرهم لم يتجاوز الخمسة أشهر، وكان المعيل الوحيد لعائلته التي ضمّت زوجته وأطفاله، وكان يحمل على عاتقه مسؤولية تأمين احتياجاتهم في ظل ظروف اقتصادية قاسية.

كان خلف مغترباً في لبنان، يعمل في مجال البناء، يقضي نهاره في حمل الطوب وصبّ الإسمنت تحت الشمس، ويعود مساءً إلى غرفة يتقاسمها مع شبان من أبناء منطقته، حيث يرتاح قليلاً قبل أن يتصل بعائلته ليطمئن على زوجته وأطفاله، كان أباً حنوناً، معروفاً بين رفاقه بلقبه "الهادي"، لطباعه اللطيفة ولسعة صدره.

في 13 آب 2014، عاد خلف من غربته إلى بلدته غرانيج لقضاء بعض الوقت مع أسرته، لم يكن يعلم أن هذه الزيارة ستكون الأخيرة، وأن مدينته، التي اعتاد أن يتخيلها موطن الأمان، ستتحول إلى ساحة موت، خلال زيارته، اجتاحت عناصر تنظيم داعش بلدة غرانيج، واضطر خلف إلى النزوح مع أسرته إلى مدينة هجين، هارباً من خطر يزحف بثبات نحو المدنيين، لكن حتى النزوح لم يكن مفراً من المصير، ففي إحدى الليالي، وبينما كان نائماً في منزله بمدينة هجين، داهمت دورية تابعة للتنظيم البيت، واعتقلته أمام أنظار زوجته وأطفاله، لم يُسمح له حتى بارتداء حذائه، تم اقتياده بصمت، ومنذ تلك اللحظة، انقطعت أخباره كلياً، ليبدأ فصل جديد من الحزن، عنوانه الغياب والانتظار.

بدأت العائلة البحث عن خلف منذ اللحظة الأولى لاعتقاله، لم تترك باباً إلا طرقته، رغم الخوف الذي خيّم على الجميع من التحدث أو التحرك تحت أعين التنظيم، ابن عمه ذهب إلى مراكز الاحتجاز السرّية بحثاً عنه، لكن لم يجد سوى الجدران الصامتة، وبعد أسابيع من الغموض، نشرت عناصر التنظيم قائمة بأسماء معتقلين قُتلوا بتهمة "الردّة"، كان اسم خلف من بينهم، لكن الجثة لم تُسلّم، ولا موقع دفنه كُشف، كانت الصدمة مضاعفة: لا جثمان، ولا قبر، فقط اسم في قائمة موت لا تحمل دليلاً، تقول العائلة إنهم شعروا بالعجز الكامل، فقد تُركوا وحدهم، دون دعم، دون اعتراف، دون حتى عزاء.

كان غياب خلف كارثياً على العائلة، لم يكن فقط معيلهم الوحيد، بل كان روح البيت، وبغيابه، غاب الأمان، وانهار الاستقرار، تقول زوجته إن المنزل امتلأ بالصمت، حتى ضحكات الأطفال خفتت، وكأنهم فهموا أن شيئاً لا يُمكن إصلاحه قد حدث، الابن الأكبر دخل في نوبات هلع واكتئاب، يرفض الطعام أحياناً، ويتكلم مع صورة والده كما لو كان حاضراً، وزوجته الكبرى عانت من أمراض جسدية ناتجة عن الصدمة، أما الوضع المعيشي، فتدهور بسرعة، واضطرت الأسرة للاعتماد الكامل على المساعدات الإنسانية التي بالكاد تسدّ الرمق.

تسعى عائلة خلف لتحقيق العدالة من خلال عدة مطالب جوهرية، أولها محاسبة الجناة، ترى الأسرة أن معاقبة من ارتكب هذه الجريمة هو حق أساسي، ليس فقط لهم، بل لكل من فقد إنساناً بريئاً في مجزرة الشعيطات، وتقول زوجته إن استعادة الكرامة لا تتم إلا بالاعتراف بأن زوجها كان ضحية، لا مجرماً، وأن دمه لا يجب أن يُمحى من ذاكرة العالم، والتعويض المادي والمعنوي هو مطلب آخر، لا من باب التجارة بالوجع، بل من باب الاعتراف بالمعاناة، تعويض مادي يساهم في استقرار العائلة، وتعويض معنوي يتمثّل بتوثيق اسمه كضحية، والاعتراف الرسمي بما حدث له.

القصة 60: هويش خليف السلطان

هويش خليف السلطان، من أبناء بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 40 عاماً عندما قُتل في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لثمانية أطفال، أكبرهم في السادسة عشرة من العمر، وأصغرهم لم يتجاوز العامين، كان يعمل مقاولاً مغترباً في دولة الكويت، ويعيل أسرته المكوّنة من زوجته، أطفاله، ووالدته المسنّة التي كان ابنها الوحيد وسندها الوحيد.

قضى هويش سنوات طويلة من عمره مغترباً في الكويت، يعمل نهاراً في تشييد البيوت، ويعود مساءً إلى مقر سكنه ليستريح من عناء العمل ويتصل بعائلته للاطمئنان على أطفال طالما اشتاق لاحتضانهم، كان معروفاً بين زملائه بدماثة أخلاقه، ومحبته لفعل الخير، وحرصه على مدّ يد العون لمن حوله، لم يكن يتحدث في السياسة أو الحرب، وكان طموحه بسيطاً: تربية أولاده تربية صالحة، وتأمين علاج لابنه الذي كان يعاني من مرض مزمن في الكلى.

في صيف 2014، عاد هويش إلى بلدته غرانيج لقضاء إجازته مع عائلته، لم تدم راحته طويلاً، إذ اجتاح تنظيم داعش البلدة، واضطر للنزوح سريعاً إلى قرية الشعفة برفقة أسرته، لكنه لم يستطع تجاهل نداء أمه، التي كانت تقيم لدى أخواله بعد انفصالها عن والده، فقرّر العودة إلى غرانيج لإحضارها بنفسه، وفي التاسع من آب 2014، عاد هويش إلى منزل أخواله بحثاً عن والدته، لكنه لم يجد أحداً، إذ كانوا قد غادروا إلى بلدة البحرة، اصطحب ابنه، البالغ من العمر عشر سنوات، وركبا دراجته النارية للعودة إلى الشعفة، وفي سوق غرانيج، اعترضته دورية لتنظيم داعش، أوقفوه، طلبوا من الطفل أن يغادر المكان بسرعة، وحين تحرك الصغير مبتعداً، سمع صوت رصاصة، التفت مذعوراً، ليجد والده ملقى على الأرض، مضرجاً بدمه. كانت الرصاصة قد اخترقت صدره، وسلبته الحياة أمام عيني طفله.

بدأت العائلة البحث عن جثمان هويش فور عودتها من النزوح، وكانت رحلةً طويلة محفوفة بالخوف، والصمت، والأسى، حاولت زوجته الاتصال ببعض عناصر التنظيم الذين كانوا من أبناء غرانيج، علّهم يعرفون أين دفن، لكن كل الأبواب أُغلقت، وبعضها أغلق بالتهديد، زارت العائلة عدة مواقع يُعتقد أنها تحتوي على مقابر جماعية: ظهرة غرانيج، وبادية أبو حمام، وحتى مناطق نائية كانت تستخدم كمواقع دفن سري، وفي كل مرة، كان الأمل يسبقهم، لكن النتيجة تأتي مخيّبة، لا جثة، لا أثر، لا معلومة موثوقة، وحتى تاريخ إعداد هذه القصة، لا تزال عائلة هويش تجهل مكان قبره.

كان هويش هو العمود الفقري للعائلة، ومع فقدانه، انهار كل شيء، غاب المعيل، وتفككت الأحلام، وتحولت الحياة إلى سباق يومي لتأمين ما يسدّ الرمق، اضطرت الأسرة إلى بيع المواشي وبعض الممتلكات من أجل علاج الابن المريض وتأمين لقمة العيش، الابن الذي شاهد والده يُقتل أمامه، دخل في نوبات صمت وانعزال، أما الزوجة، فدخلت في حالة اكتئاب مزمن، ترافقها أرق وارتفاع في ضغط الدم، دون أي نوع من الرعاية الطبية، كانت كل ليلة تمضيها وهي تتحدث مع صورة زوجها، كما لو أنه سيعود من العمل متعباً كعادته. ووالدته المسنّة، التي فقدت ابنها الوحيد، وبقيت تبحث عن قبره دون أن تجده.

تؤمن عائلة هويش أن العدالة لا تتحقق بالصمت، وأن الجرائم لا يجب أن تُنسى، وتطالب أولاً بمحاسبة الجناة الذين ارتكبوا المجزرة، وترى العائلة أن هذه الخطوة ضرورية لردّ الاعتبار لكل من قُتل ظلماً، ولتوجيه رسالة بأن الدماء البريئة ليست مباحة، كما تطالب بتعويض مادي ومعنوي، ليس فقط لتأمين احتياجاتهم الأساسية، بل كنوع من الاعتراف الرسمي بما عانوه من فقد وظلم، والتعويض المعنوي من خلال الاعتراف الرسمي بالضحية، وتسجيل اسمه في لوائح الضحايا، فهو جزء من إعادة الكرامة المسلوبة.

القصة 61: بشير عبد السلام العلاو

بشير عبد السلام العلاو، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 19 عاماً حين قُتل في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، كان متزوجاً، وزوجته حامل في أشهرها الأخيرة عند وفاته، وقد أنجبت طفلة لم يرها أبداً، إذ وُلدت بعد شهر واحد من مقتله، كان يعمل كهربائياً، يعيل زوجته الحامل، وأسرته الممتدة.

كان بشير يعيش حياة بسيطة متعبة، يخرج صباحاً للعمل في تمديد الكهرباء وصيانة الأدوات المنزلية، يعود في المساء إلى منزله المتواضع محمّلاً بتعب النهار وأمل الغد، لم يكن له مورد دخل سوى عمله اليدوي، وكان معروفاً بين أبناء منطقته بالتزامه الديني ودماثة خلقه، وفق شهادة شقيقته، كان متفرغاً تماماً لحياته العائلية، ويُعرف بين أقرانه بهدوئه وأدبه، ولم يُعرف عنه أبداً أي ارتباط بأي جهة منخرطة في النزاع السوري، إذ كان بعيداً كل البعد عن السياسة والصراعات، وكل ما كان يشغل باله هو تجهيز غرفة ابنته المنتظرة.

في الرابع عشر من آب 2014، ومع تصاعد هجمات تنظيم داعش، كان بشير وعمه عبد المجيد العلاو قد نزحا إلى مدينة هجين، هرباً من الخطر المحدق ببلدتهم غرانيج، لكن الخطر لحق بهم هناك، في ساعات الصباح الأولى، عند السادسة تقريباً، اقتحم عناصر التنظيم منزل العائلة في هجين، واقتادوا بشير وعمه بالقوة، وسط صراخ النساء، وذهول الوالدين، تم نقل المعتقلين إلى مدرسة محلية حوّلها التنظيم إلى مركز اعتقال واستجواب، لم يعرف أحد أين تم اقتيادهم أو ما التهمة الموجهة إليهم، مرت أيام ثقيلة، حتى جاء شاهد عيان كان معتقلاً معهم في نفس المكان، وتمكّن من النجاة بأعجوبة، أخبر العائلة بما رآه بعينه: تم اقتياد بشير وعمه إلى ساحة الإعدام، أُطلق عليهما الرصاص أمام المعتقلين، ثم رُجما بالحجارة حتى الموت، في مشهد همجي لا يمتّ للإنسانية بصلة، والشاهد، الذي اختبأ أثناء تنفيذ عملية الإعدام، تمكّن بعد مغادرة عناصر التنظيم من دفن الجثتين في مكان قريب، ووضع علامة من قش على القبر ليستدل عليه في المستقبل، على أمل أن يصل لأهلهم يوماً ما ويخبرهم بمصيرهم.

لم تنتظر العائلة طويلاً لبدء البحث، فمنذ اليوم الأول، حاول والده زيارة مراكز الاحتجاز، لكن أُغلق الباب في وجهه، ولم يُسمح له حتى بالسؤال، ومع مرور الأيام، تواصلت العائلة مع عدد من الناجين من المعتقلات، دون نتيجة، حتى جاء الشاهد الناجي من الإعدام، وأخبرهم بالتفاصيل الكاملة، وقاد العائلة إلى موقع الدفن، إلى حيث العلامة التي وضعها: حفنة من القش اليابس، فوق تربة لم تجفّ بعد، ذهب والد بشير مع أبنائه وأقاربه، وحفروا القبر، وأخرجوا الجثتين، وتم التعرف على بشير من خلال علامة واضحة في أسنانه، حيث كانت إحدى أسنانه الأمامية مكسورة. وتعرفوا على عبد المجيد من مفتاح دراجته النارية، الذي ما زال بحوزته. تم نقل الجثتين إلى مقبرة العائلة، ودُفنا في قبر واحد.

فقدان بشير كان زلزالاً ضرب قلب الأسرة، كان المعيل الوحيد، وكان شاباً في بداية الحياة، يحلم بطفلته التي لم يرها، مع رحيله، خيّم الحزن على المنزل، وعمّ الصمت، أمه دخلت في حالة اكتئاب حادة، لا تغادر غرفتها، وتعيد كل يوم ترتيب ملابسه كما لو أنه عائد من عمله، والده أُصيب بارتفاع ضغط الدم وتدهور في صحته العامة بسبب الحزن، أما زوجته، فكانت تنتظر أن تلد طفلتهما، وقد أنجبتها بعد شهر من اعتقاله، في ولادة امتزجت فيها دموع الفرح بالحسرة، ظلت العائلة تحتفظ بملابسه وصوره وكل ما كان يخصه، كأنها تحفظ رائحته ووجوده المفقود.

ترى العائلة أن محاسبة الجناة ضرورة أخلاقية قبل أن تكون قانونية، ورسالة واضحة أن دماء الأبرياء لا تُنسى، ولا تمر دون حساب، كما تطالب العائلة بتعويض مادي ومعنوي، الدعم المالي ضروري لاستقرارها بعد فقدان المعيل، لكن الأهم هو الاعتراف الرسمي ببشير كضحية مدنية بريئة، وتسجيل اسمه في لوائح الشهداء.

القصة 62: إبراهيم خضر المحيمد

كان إبراهيم خضر المحيمد، من مواليد مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، شاباً في الخامسة والعشرين من عمره حين تم اعتقاله في صيف عام 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، كان متزوجاً وأباً لثلاثة أطفال، أكبرهم في السابعة من العمر، وأصغرهم لم يكن قد تجاوز الثلاثة أشهر، كان إبراهيم يعمل في الزراعة، ويعيل أسرته الصغيرة إضافة إلى والدته المسنّة، لم يكن له أي انتماء سياسي أو عسكري، ولم يشارك يوماً في أي عمل مسلح.

عاش إبراهيم حياة ريفية هادئة، يقضي يومه في الأرض بين زراعة الخضروات ورعاية المواشي، وكان أيضاً يقوم بتلبية احتياجات أسر إخوته المغتربين، مؤمناً بأن "البيت لا ينهار طالما أحد الأعمدة واقف"، كان معروفاً بين أبناء بلدته بشهامته وهدوئه ومحبته للخير، وأكثر ما كان يشغله في تلك الأيام حلمه ببناء منزل صغير يؤوي أسرته، ويحتضن طفولة أبنائه.

نزح إبراهيم مع عائلته إلى مدينة هجين، وكانوا يقيمون في إحدى المدارس المزدحمة بالنازحين، وفي 9 آب 2014، قرر أن يُوصل زوجته وأطفاله إلى منزل ذويها، آمناً أن ذلك سيكون أكثر استقراراً لهم، على الأقل مؤقتاً، لكنه لم يكن يعلم أن طريق العودة سيكون فخاً محكماً، فبعد عودته، داهمته دورية تابعة لتنظيم داعش، وقام عنصران مسلحان باعتقاله، ونُقل إلى أحد مراكز الاحتجاز، ومنذ تلك اللحظة لم يسمع له أثر، ومع مرور الأيام، بدأت أخبار الإعدامات الجماعية تتوالى، لكن اسمه لم يرد ضمن قوائم الضحايا، ولا بين الناجين، وظلت عائلته حتى يومنا هذا تعتبره في عداد المفقودين.

منذ الأيام الأولى، بدأت العائلة رحلة بحث مضنية عن إبراهيم، والدته طرقت أبواب مقرات التنظيم في محاولة يائسة، لكن دون جدوى، لاحقاً، عاد أحد إخوته من بلاد الاغتراب، وبدأ البحث من جديد، وصل حتى إلى العراق بعد أن سمع رواية تفيد بأن إبراهيم قد يكون هناك، لكن محاولاته لم تثمر، العائلة زارت جميع المقابر الجماعية المعروفة في بادية دير الزور، لكنها لم تجد أثراً، مع مرور الوقت، انتشرت الشائعات، وتضاربت الروايات، وزاد الغموض والقلق، وحتى الآن، لا دليل مادي على وفاته، ولا أمل مؤكد بعودته.

ترك غياب إبراهيم فراغاً هائلاً، ليس فقط لأنه كان المعيل الوحيد، بل لأنه كان السند في غياب إخوته، عانى البيت من العزلة، وتحول الأمل إلى انتظار طويل ومؤلم، والدته، التي كانت ترى فيه آخر من بقي بقربها، انهارت صحياً، وأصيبت باكتئاب ونوبات قلق لا تزال ترافقها حتى اللحظة، أما زوجته، فواجهت صدمة الفقد مع أطفالها الثلاثة، وسط واقع اقتصادي صعب أرغمها على الاعتماد على مساعدات الأقارب والجمعيات، وحتى اليوم، لا تزال مقتنياته من ملابس وإثباتات شخصية محفوظة في خزانة منزله، كأنها شاهد حي على غيابه المؤلم.

تحمل عائلة إبراهيم صوتاً مليئاً بالألم، لكنها ما تزال تؤمن أن العدالة تبدأ بكشف الحقيقة، وتطالب العائلة بمحاسبة المسؤولين عن جريمة الاختفاء، وتعتبر ذلك خطوة لا غنى عنها نحو الإنصاف، كما تطالب بجبر الضرر، ليس فقط مادياً لتوفير أبسط مقومات الحياة، بل معنوياً من خلال الاعتراف الرسمي بإبراهيم كضحية، وترى العائلة أن رواية قصتهم، رغم بساطتها، هي الخطوة الأولى نحو منع تكرار هذه الجرائم، لأنها تمنح الغائبين صوتاً، والناجين فرصة للشفاء.

القصة 63: أحمد خليل

أحمد خليل، شاب في الثلاثين من عمره، من أبناء قرية الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان أعزباً ويعيش مع والدته وإخوته، يعمل مزارعاً بسيطاً يعيل أسرته ويزرع أرضه بيده، لم يكن منتمياً لأي جهة سياسية أو عسكرية، وكان معروفاً بين جيرانه وأهله بطيبة قلبه وحبه للخير.

كان أحمد شاباً هادئاً، يحب الأرض التي يعمل بها ويجد فيها مصدر راحته وكرامته، نهاره بين الزراعة وخدمة أهله، ومساءه يقضيه مع والدته وإخوته، لم يعرف عنه أي نشاط سياسي، بل كان يسعى للابتعاد عن المشاكل والعيش بسلام، ومن أبرز مواقفه أنه ترك عمله ليوم كامل فقط ليساعد جاره المسن في جني المحصول، كان حلمه بسيطاً مثل حلم أغلب أبناء المنطقة: بيت صغير وحياة خالية من العنف والخوف.

مع اجتياح تنظيم داعش لمنطقة الشعيطات، نزح أحمد مع عائلته هرباً من العنف والموت، وبعد استقرارهم مؤقتاً، خرج أحمد في صباح اليوم الثالث من أيلول عام 2014 لشراء بعض الحاجيات لأسرته، تم توقيفه في السوق من قبل عناصر داعش بتهمة "الانتماء إلى الشعيطات"، واعتبروه "مرتداً" بحسب وصف التنظيم، وتم اعتقاله علنًا أمام الناس، ثم أُخفي قسراً، ولم تُعرف عنه أية معلومات بعد ذلك.

منذ لحظة اختفائه، لم تتوقف العائلة عن البحث، حاولوا معرفة مصيره عبر الحواجز، السجون، ولكن الخوف من داعش في تلك المرحلة كان يقيّد تحركاتهم، وبعد سقوط التنظيم، زاروا المقابر الجماعية في ريف دير الزور الشرقي، لكن دون جدوى، وردتهم شائعات كثيرة، وكان أبرزها أن أحدهم أخبرهم أنه محتجز في سجون العراق، وطلب منهم مبلغاً مالياً مقابل تحديد موقعه، لكن بعد سفرهم لم يجدوا له أثراً، ومع ذلك، لم تكن العائلة وحدها في رحلة البحث، بل شاركهم أقاربهم وجيرانهم، وكل من عرف أحمد، لكن كل الطرق كانت مغلقة، ولم يظهر ما يثبت مصيره حتى اليوم.

كان أحمد هو الابن الأكبر، والمعيل الأساسي للعائلة، وغيابه شكّل صدمة كبرى، خاصةً لوالدته التي لم تتوقف عن البكاء منذ اليوم الأول، تدهور وضع العائلة النفسي والمادي، فاضطروا لبيع سيارتهم وبعض أثاث المنزل، وتفككت حياتهم اليومية وتحول المنزل إلى مساحة من الانتظار القاتل، ورغم الضيق الاقتصادي، ما زالت العائلة تحتفظ بأغراضه الشخصية وبأرضه، على أمل أن يعود يوماً، وحالتهم المعيشية اليوم صعبة جداً، في ظل غياب المعيل وانقطاع المساعدات.

العائلة تطالب أولاً بمعرفة مصير ابنهم أحمد، وهذا هو الحد الأدنى للعدالة في نظرهم، كما تطالب بمحاسبة المسؤولين عن الجرائم التي ارتكبها تنظيم داعش بحق المدنيين، وترى أن العدالة لا تتوقف عند معاقبة القتلة، بل تشمل أيضاً الاعتراف بالضحايا وتوثيق ما جرى لهم، وتناشد العائلة المنظمات الإنسانية، الحقوقية، والإعلامية بعدم نسيان ضحايا مجزرة الشعيطات، وتطالب بأن تُسلط الأضواء على هذه الجرائم، وأن يُقام إحياء سنوي لذكرى الأبرياء الذين أُعدموا ظلماً، هم يؤمنون بأن رواية قصتهم هي الخطوة الأولى لتحقيق العدالة، وأن التوثيق هو السبيل لمنع تكرار مثل هذه الجرائم في المستقبل.

القصة 64: حسين صالح العلي

حسين صالح العلي، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر خمسين عاماً عند اختفائه القسري خلال مجزرة الشعيطات في عام 2014، متزوج من امرأتين، وأب لثمانية عشر ابناً وابنة، ستة ذكور واثنتا عشرة أنثى، أكبرهم في الخامسة والعشرين من العمر، وأصغرهم لم يتجاوز الرابعة، كان يعمل في الزراعة وتربية الأغنام، ويعيل أسرته الكبيرة التي اعتمدت عليه اعتماداً كلياً.

عُرف حسين بنمط حياة ريفي تقليدي، يستيقظ مع بزوغ الشمس ليتفقد محاصيله، ويسقي أغنامه، ثم يتوجه إلى السوق لجلب حاجيات منزله، وكان شديد الالتزام بعمله، ومحباً لأسرته، ضحوكاً في مجلسه، طيب المعشر بين جيرانه وأقاربه، كانت له مكانة محببة في مجتمعه، وكان يُضرب به المثل في البساطة والطيبة، وحلمه كان واضحاً: أن يؤمّن لأطفاله حياة كريمة، وأن يربّيهم على المحبة والأخلاق، ويبني لهم مستقبلاً أفضل من حاضره.

في الرابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2014، وبينما كان حسين في زيارة عائلية لأحد أقاربه، داهمت مجموعة مسلحة تابعة لتنظيم داعش المكان الذي كان يتواجد فيه، عند الساعة الحادية عشرة والنصف ظهراً تقريباً، اقتحم المسلحون المنزل واعتقلوه دون أي مذكرة أو توضيح، وتم اقتياده إلى مركز احتجاز مؤقت داخل مدرسة محلية، حولها التنظيم إلى مقر استجواب واحتجاز، وبعد أسبوع من اختفائه، بدأت تنتشر معلومات متضاربة عن تنفيذ إعدامات جماعية في محيط حقل العمر النفطي وبلدة أبو حمام، وبالتزامن مع عودة بعض العائلات إلى بيوتها، تلقت أسرة حسين صدمة قاسية: ظهر وجهه في مقطع مصوّر على مواقع التواصل الاجتماعي، يوثّق لحظة إعدام جماعي نفذها التنظيم، دون أي توضيح أو تهمة.

منذ اليوم الأول، بدأت العائلة رحلة طويلة وشاقة للبحث عن حسين، كان الفيديو المنتشر بداية الخيط، لكنه لم يكن كافياً لتحديد مكان دفنه، حاولت زوجتاه الوصول إلى مركز الاحتجاز، لكن التنظيم منع الدخول، ورفض إعطاء أي معلومة، وبعد انسحاب تنظيم داعش من المنطقة، زارت العائلة كل موقع يُشتبه باحتوائه على مقابر جماعية، من حقل العمر، إلى بادية أبو حمام، إلى السجون القديمة، وحتى بعض المواقع في العراق، لكن دون جدوى، لم يتم العثور على جثمانه، ولم تظهر أي معلومة رسمية تؤكد مكان دفنه، وحتى لحظة كتابة هذه القصة، لا يزال حسين صالح العلي في عداد المفقودين، لم يحصل على قبر، ولا على شهادة وفاة، ولا حتى على اعتراف رسمي.

كان حسين المعيل الأساسي لعائلة كبيرة تضم زوجتين وثمانية عشر طفلاً، ومع غيابه، انهار البناء كله، حمل ثقيل وقع على كاهل أبنائه، وبالأخص الابن الأكبر، الذي وجد نفسه فجأة في موقع الأب والمسؤول، تغير نمط حياة الأسرة بالكامل، وسادها الصمت، والانكسار، والتشتت النفسي، أما الجانب الاقتصادي، فشهد تدهوراً كبيراً، اضطرّت معه الأسرة إلى بيع جزء من أراضيها، وأغنامها، بل وحتى بعض أثاث المنزل لتأمين حاجاتهم الأساسية.

تطالب عائلة حسين صالح العلي قبل كل شيء بمعرفة مكان جثمانه، وإجراء تحقيق شفاف يحدّد مصيره، كما تطالب بمحاسبة الجناة، كما تطالب العائلة بجبر ضرر مادي يعوّض عن الخسارة الكبيرة التي لحقت بهم، وتخصيص نُصب تذكاري أو لائحة رسمية تضم أسماء ضحايا مجزرة الشعيطات، ليبقى ذكرهم حاضراً في التاريخ، لا منسياً في القبور الجماعية، وترى العائلة أن رواية قصتها هي الخطوة الأولى نحو العدالة، لأن الكلمة التي تُكتب، تحفظ الذاكرة، وتمنع تكرار الجريمة.

القصة 65: حسن مضحي السلطان

حسن مضحي السلطان، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 24 عاماً عند اعتقاله في صيف عام 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لطفل حديث الولادة يعاني من إعاقة خلقية، لم يكن عمره يتجاوز عشرة أيام عندما أُعتقل والده، كان حسن يعمل في المملكة العربية السعودية كعامل مغترب، وكان المعيل الرئيسي لأسرته.

كان حسن ملتزماً بنمط حياة بسيط ومنظم، يبدأ يومه مع أذان الفجر، يتوجه للصلاة، ثم يذهب إلى عمله، كان يعمل في وظيفتين يومياً، ليتمكن من تأمين احتياجات أسرته الصغيرة وأهله في سوريا، كان حسن متعلقاً بعائلته، وكان دائم الاتصال بوالدته ووالده وزوجته ليطمئن على أحوالهم، وكان يعرف بين من حوله بحب العمل والاجتهاد، وكان حلمه أن يبني أسرة مثالية ويؤمّن لهم حياة كريمة خالية من العوز.

عاد حسن إلى سوريا لقضاء إجازة قصيرة مع عائلته، قبل دخول تنظيم داعش إلى مدينة غرانيج بخمسة عشر يوماً، ومع اجتياح التنظيم للمنطقة، اضطر حسن للنزوح مع عائلته إلى بلدة السوسة، في أحد الأيام، وصله خبر وفاة أحد أقاربه في بلدة هجين، فذهب لتقديم واجب العزاء، وأثناء عودته تم توقيفه عند حاجز لتنظيم داعش، وعندما عرفوا أنه من بلدة غرانيج، قاموا باعتقاله مباشرة، تم اقتياده من قبل ثلاثة عناصر معصوب العينين إلى جهة مجهولة، ومنذ ذلك اليوم لم يُعرف عن مصيره شيء، كان ذلك في اليوم الأول من شهر تشرين الأول 2014، حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً.

منذ لحظة اختفائه، بدأت العائلة رحلة بحث طويلة وشاقة، تقودها والدته التي لم تتخلَّ عن الأمل في عودته، بحثوا في السجون والمراكز، تواصلوا مع منظمات حقوقية بعد سقوط التنظيم، ولكن دون جدوى، زاروا العديد من المقابر الجماعية التي عُثر عليها في ريف دير الزور الشرقي، لكنهم لم يعثروا على أي دليل يدل على مصيره، وفي إحدى المرات، جاء رجل وادعى أن حسن محتجز في سجن صيدنايا، وطلب مبلغاً مالياً مقابل تقديم المعلومات، دفعت العائلة ما طلب، لكن اتضح لاحقاً أن ذلك كان احتيالاً، مما زاد من صدمتهم وألمهم.

غياب حسن ترك أثراً نفسياً ومادياً عميقاً على أسرته، كان هو الابن الأكبر والمعيل الأساسي للعائلة، تغيرت حياة والديه بشكل جذري، فقد أُصيبا بأمراض مزمنة مثل ارتفاع ضغط الدم والسكري نتيجة الحزن الشديد، وأصبحت زوجته تعيش في عزلة وقلق دائم، وكان عليهم بيع ممتلكاتهم لتأمين الحد الأدنى من المعيشة، يحتفظ أهله بأغراضه الشخصية ويتعاملون معها بحنين وألم، كأنها الشيء الوحيد المتبقي منهم إليه، والطفل الذي تركه لم يعرف والده قط، وكبر في غياب الحنان الأبوي والاستقرار الأسري.

تطالب عائلة حسن أولاً بمعرفة مصيره، وتطمح إلى أن يتمكنوا يوماً من دفنه بطريقة لائقة إذا كان قد قُتل فعلاً، العدالة بالنسبة لهم تبدأ بكشف الحقيقة، ومحاسبة من ارتكب هذه الجرائم، كما تطالب العائلة بجبر الضرر المادي والنفسي، لا كمنحة، بل كحق طبيعي لكل من تضرر من جرائم الإبادة، كما تناشد الجهات المحلية والدولية الاعتراف الرسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد الإنسانية، ومحاسبة المسؤولين عنها، كما تطالب العائلة بإنشاء نصب تذكاري لضحايا الشعيطات، وتوثيق قصصهم، لأن في التوثيق حفظ للذاكرة، وفي النسيان تكرار للمأساة، ورغم الألم، لم تفقد العائلة الأمل، لا يزال في داخلها يقين بأن العدالة ستأخذ مجراها يوماً ما، وأن رواية قصتهم جزء من معركة طويلة من أجل كشف الحقيقة ومنع تكرار الجريمة.

القصة 66: محمد حسين العويد

محمد حسين العويد، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 22 عاماً عند مقتله في خريف عام 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، شاب أعزب، كان يعمل سائق سيارة أجرة بعد أن عاد من الغربة واشترى سيارة خاصة به، كان معيلاً مساعداً لعائلته، ومحباً لأهله، خاصة أخواته اللواتي كان شديد الارتباط بهن.

عاش محمد حياة بسيطة، مليئة بالنشاط والعمل، يبدأ صباحه باكراً ليقود سيارته ويبحث عن قوت يومه، ثم يقضي وقته مع والدته وأخواته، كان عطوفاً حنوناً، لا يتحمل رؤية أحد أفراد أسرته يتألم، وكان يبكي حين يرى أخته مريضة أو حزينة، وكان يعرف بين الجميع بطيبته وصفاء قلبه، وكان حلمه وحلم عائلته أن يُزف عريساً ويبدأ حياة زوجية مستقرة، لكن هذه الأحلام قُتلت معه، عندما خطف الموت صوته وضحكته.

في اليوم العشرين من شهر أيلول عام 2014، خرج محمد إلى السوق في بلدة هجين كعادته صباحاً، حدثت مشادة كلامية بينه وبين أحد الحاضرين، سرعان ما تطورت إلى استدعاء عناصر تنظيم داعش، تم اعتقاله فوراً، وعُصبت عيناه ونُقل إلى جهة مجهولة، وبعد يومين، اصطحبه عناصر التنظيم إلى السوق نفسه، وحين حاول الهروب منهم بإلقاء نفسه في النهر، أطلقوا عليه النار أمام أعين الناس.، أُصيب بعدة رصاصات في الرأس والصدر، ثم أُخذ جثمانه وأُلقي في الصحراء، وقال شهود عيان إن الطيور كانت تلتهم جسده، ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منه خوفاً من بطش التنظيم.

لم تكن هناك فرصة للبحث، فقد تمّت تصفية محمد خلال يومين من اعتقاله، وعرفت العائلة مصيره من شهود عيان حضروا عملية الإعدام، لم تتمكن العائلة من تقديم بلاغ رسمي أو البحث عن الجثمان، إذ تلقوا تهديدات مباشرة من عناصر التنظيم بأن السؤال عن محمد قد يؤدي إلى تصفيتهم أيضاً، وعُلق جثمانه في الصحراء، إلى أن عثر عليه عدد من الأهالي الذين ساعدوا العائلة في استعادة رفاته ودفنه بشكل لائق.

كان محمد سنداً لأسرته ومعيلاً مساعداً لها، وترك غيابه جرحاً عميقاً في قلوبهم، كانت الصدمة أشد على والده، الذي أصيب بأزمة قلبية وتوفي بعد سماعه خبر مقتل ابنه، والدته أُصيبت بأمراض نفسية وجسدية نتيجة الحزن والضغط، يحتفظ أفراد الأسرة حتى اليوم بملابسه وصوره ويتعاملون معها كما لو أن محمد لا يزال موجوداً بينهم، والوضع الاقتصادي للعائلة تدهور بشدة، فاضطروا إلى بيع سيارته وتقليص نفقاتهم الأساسية، وما يزالون يعانون من ظروف صعبة ومعيشة قاسية.

تطالب العائلة أولاً بمحاكمة الجناة ومحاسبة كل من ارتكب أو شارك في هذه الجرائم، كما تدعو إلى جبر الضرر المادي والمعنوي والنفسي، من خلال تقديم تعويض يعيد للعائلة جزءاً من استقرارها، والاعتراف الرسمي بمحمد كأحد ضحايا مجزرة الشعيطات، وتوثيقه ضمن سجلات الضحايا المعترف بهم، وتقول العائلة إن رواية قصتها ليست فقط تخليداً لذكرى محمد، بل هي خطوة في طريق كشف الحقيقة ومنع تكرار المأساة، وهم يريدون من وسائل الإعلام تسليط الضوء على قضية الشعيطات، ويطالبون بأن تُخصص ذكرى سنوية لتكريم كل من قُتل ظلماً، ويقولون بوضوح: "دماء أبنائنا لن تُنسى، وقصصهم ستُروى حتى ينكشف الظلم، وتُرد الكرامة لكل من فُقد."

القصة 67: علي حسين الحسين

علي حسين الحسين، شاب من بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 17 عاماً حين اعتقله تنظيم داعش في صيف عام 2014، كان عازباً، ويعمل في محل خضار، إضافة إلى مساعدته في أعمال الزراعة وتربية الأغنام، وكان يُعد معيلاً مساعداً لعائلته المكوّنة من والده ووالدته وإخوته.

عاش علي حياة ريفية بسيطة، مليئة بالتعب والواجب، كان يبدأ يومه بالذهاب إلى عمله في محطة مياه أو في محل الخضار، ثم يرافق والده إلى الحقل ليساعده في العناية بالأرض وتربية قطيع الأغنام القليل الذي تملكه العائلة، لم تكن لديه مصادر دخل أخرى، لكنه كان باراً بوالديه، محباً لإخوته، حتى أنه كان يعطيهم ما يملكه من مصروف يومي دون تردد، عُرف بين معارفه بأنه طيب القلب، ضحوك، محبوب من الجميع.

في العاشر من أيلول/سبتمبر 2014، عند الساعة الخامسة مساءً تقريباً، خرج علي لشراء دواء لوالده المريض، وبينما كان داخل صيدلية في البلدة، داهمت المكان مجموعة مسلحة تابعة لتنظيم داعش، وقامت باعتقاله دون مذكرة، ودون توجيه أي تهمة، نُقل إلى مركز احتجاز مؤقت داخل أحد المنازل التي استولى عليها التنظيم وحوّلها إلى معتقل محلي، مرّت أيام طويلة دون أي خبر عنه، إلى أن بدأت تظهر معلومات عن إعدامات جماعية وقعت في محيط حقل العمر وبلدات أبو حمام والكشكية، ومع عودة العائلة إلى الديار بعد النزوح، بدأت رحلة البحث التي انتهت عند إحدى المقابر الجماعية في صحراء أبو حمام، حيث تعرفوا على جثة علي من خلال قطعة من ملابسه التي بقيت عالقة بجسده.

منذ لحظة اعتقاله، بدأت العائلة رحلة البحث، حاولت الأم الوصول إلى مركز الاحتجاز، لكنها مُنعت من الدخول، ولم تتلقَّ أي توضيحات، ومع مرور الوقت، انتشرت أخبار المقابر الجماعية، وبدأت العائلة بالتنقّل بين المواقع، باحثة عن أثر، زاروا منطقة حقل العمر، وسجوناً قديمة، ومناطق مفتوحة في الصحراء، حتى عثروا أخيراً على جثمان علي ضمن مقبرة جماعية في أطراف بلدة أبو حمام.

كان علي يمثل الدعم الأكبر لأسرته، خاصة أنه أكبر الأبناء، وكان يتحمّل مسؤوليات تفوق عمره بكثير، وغيابه أحدث خللاً كبيراً في بنية الأسرة، ليس فقط من الناحية الاقتصادية، بل أيضاً من الناحية النفسية والعاطفية، والده لم يحتمل فقدان ابنه، وأُصيب بأمراض متعددة سرّعت في وفاته بعد أشهر قليلة من الحادثة، ووالدته أُصيبت بأعراض نفسية وجسدية مزمنة، وما تزال حتى اليوم تعاني من اضطرابات حادة دون أي رعاية طبية، تدهور الوضع الاقتصادي للعائلة بشكل كبير، مما اضطرهم لبيع ما يملكون من أراضٍ، وأغنام لتأمين لقمة العيش.

تطالب عائلة علي حسين الحسين اليوم بدفن لائق لجميع الضحايا الذين سقطوا في مجزرة الشعيطات، وتحديد أماكن دفنهم بشكل رسمي يحفظ كرامتهم، كما تطالب بمحاسبة الجناة، كما تطالب الأسرة بتعويض مادي يعوّض عن خسارتها، ويساعد في تحسين أوضاعها المعيشية، وبتخصيص نُصب تذكاري أو لائحة رسمية تضم أسماء ضحايا المجزرة، لئلا يُمحى أثرهم من الذاكرة، وتوجه العائلة نداءً إلى وسائل الإعلام والمنظمات الإنسانية، لتسليط الضوء على قصتها، وعلى مقتل ابنهم، وعلى حجم المعاناة التي لحقت بهم، وتطالب باعتراف رسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد المدنيين، لا يجب أن تمر بلا حساب.

القصة 68: ياسر حسين الحمود

ياسر حسين الحمود، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 22 عاماً حين اختُطف من قبل تنظيم داعش في صيف عام 2014، أعزب، وكان مغترباً في المملكة العربية السعودية منذ أن كان في الثالثة عشرة من عمره، حيث قضى هناك ثمانية أعوام في العمل والمعيشة، عاد إلى سوريا قبيل المجزرة بفترة قصيرة لزيارة عائلته، ولم يكن منتمياً لأي جهة عسكرية أو سياسية، ولم يشارك في أي نشاط مسلح.

كان ياسر شاباً بسيطاً، خلوقاً، باراً بوالديه، شديد الارتباط بوالدته وأخواته، لدرجة أنه كان يبدأ يومه باتصال هاتفي يطمئن فيه على أحوالهم، لم يكن يمر عليه يوم دون أن يسمع صوت أمه، حتى أثناء انشغاله بالعمل في السعودية، وكان محبوبًا من جميع من عرفه، وذو قلب رقيق لا يتحمّل أن يرى من حوله في ضيق.

في العاشر من آب 2014، كان ياسر يقضي آخر يوم له مع عائلته قبل أن يغادر بلدة غرانيج إلى منطقة أكثر أماناً، بعد تصاعد تهديدات تنظيم داعش، جهّز أغراضه وساعد والدته وأخواته على الخروج إلى بلدة هجين، ثم عاد إلى غرانيج لإقناع والده، الذي رفض مغادرة منزله، وبعد جهد، نجح في إقناع والده باللحاق بالعائلة، وفي طريق العودة إلى هجين، أوقفهم حاجز تابع للتنظيم، وقام أربعة عناصر مسلحين باعتقال ياسر ووالده عند الساعة الخامسة عصراً، وتم اقتيادهما إلى جهة مجهولة، ومنذ تلك اللحظة، لم تعد العائلة تعلم عنهما شيئاً، غاب الاثنان في الظلام، وتُركت العائلة في دوامة من الانتظار والوجع.

منذ لحظة اختفائه، بدأت العائلة رحلة شاقة في البحث عن ياسر ووالده، كانت والدته الأشد إصراراً، فقد كانت تبحث عن زوجها وابنها في آنٍ واحد، حاولت العائلة التواصل مع مَن أُفرج عنهم من معتقلي التنظيم، لكن الشهادات كانت متضاربة، بين مَن قال إنهم قُتلوا، ومَن زعم أنهم لا يزالون أحياء، زارت العائلة معظم المقابر الجماعية في المنطقة، وذهبت إلى سجون العراق بعد انهيار التنظيم، بحثاً عن أثر، عن ورقة، عن جثمان، لكن دون جدوى، لم تحصل العائلة على أي معلومة موثوقة، ولا وثيقة رسمية، ولا حتى إشارة بسيطة تؤكد مصيرهما، لم يكن لديهم أي دعم قانوني أو نفسي، وواجهوا التخلي الكامل من المحيط والجهات المختصة.

كان ياسر الابن الأكبر، والمعيل المساعد للأسرة، اختفاؤه المفاجئ ترك أثراً نفسياً واقتصادياً مدمراً، أصبح المنزل كئيباً، ساكناً، تفوح منه رائحة الغياب، وأصبحت أمه لا تعرف للنوم طعماً، ولا للراحة طريقاً، أُصيبت بأمراض جسدية ونفسية متراكمة، ولا تزال حتى اليوم تبكي كل ليلة، وهي تحتضن صورة ياسر، وتستعيد لحظات وداعه الأخير، كما فقدت العائلة دخلها، واضطرت لبيع ما تملك من أراضٍ وأثاث لتأمين أبسط متطلبات الحياة.

تطالب عائلة ياسر الحمود أولاً بمعرفة مصيره، وإجراء تحقيق رسمي حول مكان وجوده أو ظروف مقتله إن تأكد، وتسلُّم جثمانه ودفنه وفقاً للأعراف المحلية، وتطالب أيضاً بإصدار شهادة وفاة رسمية في حال ثبوت وفاته، لتسوية أوضاع الأسرة القانونية والحقوقية، كما تطالب الأسرة أيضاً بجبر الضرر المادي والمعنوي، عبر تعويض مادي يساعدهم على تجاوز الأثر الاقتصادي المدمر، وتعويض معنوي يتمثّل بالاعتراف الرسمي بالقضية، وتوثيق اسم ياسر ضمن قوائم الضحايا، وضمان عدم نسيان المأساة.

القصة 69: عبد العزيز حميدي العلي

عبد العزيز حميدي العلي، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 29 عاماً عندما قُتل في صيف عام 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، كان متزوجاً ولديه طفلة لم تبلغ عامها الأول، وعاش مع زوجته وابنته في دولة الكويت حيث كان يعمل هناك في إحدى المهن الحرة، وكان يخطط لقضاء عطلة قصيرة مع عائلته في سوريا لزيارة والدته المسنة.

عُرف عبد العزيز بشخصيته الهادئة والبسيطة، كان زوجاً عطوفاً وأباً حنوناً، يقدّر الحياة العائلية ويحرص على البقاء بجانب من يحبهم، عمل بجد واجتهاد منذ الصباح حتى الظهيرة، ثم يقضي بقية يومه مع زوجته وابنته، محاطاً بالسعادة التي انتظرها طويلاً، وحسب رواية زوجته، كان من أبرز صفاته الصبر واللين، فحتى في المواقف الصعبة كان يحتوي من حوله دون غضب، وكان حلمه الوحيد أن يرى ابنته تكبر أمام عينيه.

بعد عودته من الكويت برفقة أسرته لقضاء العطلة الصيفية، دخل تنظيم داعش إلى بلدة غرانيج، نصحه إخوته بالبقاء في المنزل لأنهم اعتقدوا أن كونه مغترباً سيحميه من أي ملاحقة، وفي مساء يوم 10 آب 2014، عند الساعة التاسعة تقريباً، اقتحمت مجموعة مسلحة تابعة للتنظيم منزله، وكانت زوجته في غرفة منعزلة تحاول تنويم ابنتهما الصغيرة، لكنها سمعت أصواتاً في الخارج، فتسللت إلى مكان يمكنها من رؤية ما يحدث دون أن تُكشف، شاهدت زوجها يُوقع أرضاً على ركبتيه، تُكتّف يداه إلى الخلف، ثم يُقطع رأسه أمام ناظريها دون رحمة، أُغمي عليها من هول المشهد.

لم تبحث العائلة عن عبد العزيز، إذ أن زوجته كانت شاهدة على الجريمة وأبلغت شقيقه على الفور، تسلل الأخير ليلاً وحمل جثمان أخيه على ظهره، بينما حملت الأم الطفلة الصغيرة، وتم دفنه في مقبرة جعابي.

كان عبد العزيز هو الدعامة الأساسية للعائلة، وكان يُنظر إليه كأكبر إخوتهم رغم كونه الثاني في الترتيب، لما عُرف عنه من رجاحة عقل وقدرة على تحمل المسؤولية، وترك موته فراغاً لا يمكن سده، خاصة في قلب ابنته التي كبرت دون أن تعرف والدها، كانت كثيراً ما تسأل والدتها ببراءة: "متى يعود أبي؟ هل هو مسافر؟" وكانت هذه الأسئلة تمزق قلوب من يسمعها، وزوجته لا تزال تعاني من آثار نفسية وعصبية نتيجة المشهد المروّع الذي شهدته، وتُعاني من نوبات هلع وهوس هستيري، ما زالت العائلة تحتفظ بملابسه، وعطره، وصوره، وكل ما كان يخصه، أما وضعهم الاقتصادي فقد تدهور بشكل كبير، حيث اضطرت العائلة لبيع أراضٍ وسيارات، والتقليل من نفقاتهم الأساسية لضمان الحد الأدنى من المعيشة.

تُطالب عائلة عبد العزيز أولاً بمحاسبة المسؤولين عن ارتكاب الجريمة، وتؤكد أن ما حدث لم يكن سوى قتل بدم بارد بحق رجل مدني أعزل، كما تطالب بمنع تكرار الجرائم المروعة التي وقعت في ريف دير الزور الشرقي، وتُبدي استعدادها التام للمشاركة في أي مسار قانوني أو حقوقي إذا فُتح باب المساءلة والمحاسبة، ورغم أنها لم تتواصل مع منظمات حقوقية، فإنها تؤمن بأن التعويض المادي – حتى لو كان بسيطاً – قد يساعدهم على الاستمرار، بينما التعويض المعنوي الأهم بالنسبة لهم هو الاعتراف بهذه الجريمة كجريمة ضد الإنسانية، وضمان عدم تكرارها بحق أي أسرة أخرى، وتطالب العائلة وسائل الإعلام بتسليط الضوء على قضيتهم، وتعتبر أن رواية قصتها هي جزء من تحقيق العدالة، لأنها لن تنسى، ولن تسامح.

القصة 70: محمود أحمد الهويش

محمود أحمد الهويش، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 30 عاماً عند اختفائه في صيف عام 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لخمسة أطفال (ولد وأربع بنات)، أكبرهم في السادسة من العمر وأصغرهم لم يتجاوز السنة، كان محمود وحيد والدته، ويعيش معها في منزل العائلة، ويعيل أسرته بالكامل.

كان محمود يعيش حياة ريفية بسيطة، يعمل في أرضه الخاصة ويزاول تجارة الأغنام، ويُعرف في مجتمعه المحلي بهدوئه وأخلاقه العالية وتفرغه الكامل لرعاية أسرته، كان باراً بوالدته المسنة، يساعدها في شؤون المنزل ويهتم بصحتها، ولم يكن يملك أي انتماء سياسي أو عسكري، ومن أبرز صفاته الرحمة والطيبة، ومثال على ذلك، حين مرضت والدته ولم يجد وسيلة لنقلها، حملها بنفسه على كتفه لمسافة طويلة حتى الشارع العام ليصل إلى طبيب، كان حلمه بسيطاً: أن يؤمّن حياة كريمة لعائلته ويعيش بسلام، لكنه لم ينل حتى ذلك الحلم.

في يوم 9 آب 2014، بينما كان محمود يجلس مع عائلته يشرب الشاي، أخبره أحد جيرانه أن عناصر تنظيم داعش بدأت اقتحام المناطق، فنقل عائلته بسرعة إلى قرية البحرة المجاورة بحثاً عن الأمان، وعند أحد الحواجز التابعة للتنظيم، تم توقيفه رغم محاولات والدته المستميتة لمنعهم من أخذه، دفعوا والدته أرضاً، وأمام عينيه تم اقتياده معصوب العينين، وكان ذلك آخر عهد العائلة به، ومنذ ذلك اليوم لم تتلقَ أي معلومات مؤكدة عن مصيره، ولا يزال في عداد المفقودين حتى لحظة إعداد هذه القصة.

منذ لحظة الاعتقال، بدأت والدة محمود البحث عنه بكل ما أوتيت من قوة، في حين لم يستطع والده المريض التحرك كثيراً خوفاً من الاعتقال، زارت العائلة جميع المقابر الجماعية المعروفة في ريف دير الزور، وتواصلت مع ناجين من معتقلات داعش والمفرج عنهم، لكن دون أي نتيجة، تعرضت العائلة لتضليل متكرر من قبل أفراد يدّعون معرفة مكانه، حتى أنهم ذهبوا إلى سجون في العراق وصيدنايا في سوريا، لكن خابت كل محاولاتهم، لم يكن لديهم أي دليل مادي يثبت مصيره، فقط يقين الأم بأنه لا يزال حياً في مكان ما أو أنه مات مظلوماً ولم يُدفن بكرامة.

اختفاء محمود ترك أثراً بالغاً على أسرته، فقد كان المعيل الوحيد لهم، وتدهور وضعهم الاقتصادي بشكل كبير. والدته أصيبت بمرض في القلب نتيجة الصدمة، ووالده عانى من مشاكل صحية منها ارتفاع الضغط، احتفظت العائلة بملابسه وصوره وذكرياته كجزء من محاولتها الحفاظ على بصيص أمل في عودته، ومع تراجع وضعهم المادي، اضطرت الأسرة لبيع المواشي وبعض الممتلكات المنزلية، فيما اضطر الوالد المسن للعمل لتأمين الحد الأدنى من الطعام لأحفاده.

تطالب العائلة أولاً بمعرفة مصير ابنهم، وفي حال ثبت مقتله، تطالب بعملية دفن لائقة تليق بكرامته، والعدالة بالنسبة للعائلة لا تعني فقط القصاص من القتلة، بل تتجاوز ذلك إلى محاسبة كل من ساهم وشارك في هذه الجرائم، وتطالب العائلة بتعويض مادي لمساعدتها على تجاوز محنة فقدان المعيل، رغم تأكيدها أن لا تعويض يمكن أن يساوي فقدان محمود، والعائلة ترى أن ما حدث لمحمود ليس مجرد جريمة بحق فرد، بل هو جريمة ضد الرحمة والإنسانية، وتؤمن أن السكوت عن مثل هذه الانتهاكات يزيد من احتمالية تكرارها، وترى أن رواية قصتها هي جزء لا يتجزأ من تحقيق العدالة، وأن رفع الصوت أفضل من الصمت الذي يُنسي الضحايا، وتطالب العائلة بإقامة نصب تذكاري لضحايا مجزرة الشعيطات، كي لا تُمحى ذكراهم من الذاكرة الجماعية.

القصة 71: عبد الرحمن خليف العواد

عبد الرحمن خليف العواد، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 17 عاماً عند اعتقاله في صيف عام 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، يعمل في مهنة النجارة وكان المعيل الأساسي لأسرته، رغم صغر سنه، ولم يكن ينتمي لأي جهة سياسية أو عسكرية، وكان يُعرف في محيطه بالاجتهاد وحسن الخلق.

كان عبد الرحمن يعيش حياة بسيطة، يعمل في ورشة نجارة صباحاً، يعود للغداء والراحة قليلاً، ثم يواصل عمله حتى المساء، وحسب رواية والدته، كان عبد الرحمن شديد التعلق بوالديه، لا ينام إلا بجوار والدته، ويتعامل معها بعاطفة استثنائية، كان حلمه الوحيد أن يأخذ والديه في زيارة إلى مكة المكرمة، لكنه لم يتمكن من تحقيق حلمه.

في يوم 25 آب 2014، وأثناء ذهاب عبد الرحمن إلى السوق لشراء مستلزمات منزلية، تم اعتقاله من قبل مجموعة مسلحة تابعة لتنظيم داعش، وُثِق الاعتقال علناً من قبل شهود كانوا في السوق، حيث تم اقتياده معصوب العينين على يد أربعة عناصر دون أي مذكرة أو توضيح لسبب الاعتقال، وكان عبد الرحمن يردد: "ماذا فعلت؟ لماذا تعتقلونني؟"، دون أن يلقى أي رد، ومنذ ذلك اليوم، لم تحصل عائلته على أي معلومات عنه، ولم يُعثر على جثته حتى الآن، ولا يزال في عداد المفقودين.

بدأت الأسرة رحلة البحث منذ لحظة الاعتقال، الوالد كان الأكثر إصراراً على العثور عليه قبل وفاته، زارت العائلة جميع المقابر الجماعية في دير الزور، وتواصلت مع ناجين ومفرج عنهم من معتقلات تنظيم داعش، لكنها لم تعثر على أي دليل ملموس، تم تقديم بلاغات شفهية إلى جهات محلية، لكنهم طُردوا أو هُددوا بالصمت، كما تعرضت الأسرة لمحاولات تضليل وابتزاز من قبل محتالين وعدوهم بالكشف عن مكانه مقابل مبالغ مالية، دون أي نتائج.

أدى اختفاء عبد الرحمن إلى كارثة نفسية واقتصادية على الأسرة، والده، الذي بدأ البحث عنه دون توقف، أصيب بجلطة قلبية بعد فترة قصيرة وتوفي، أما والدته، فقد دخلت في حالة حزن مزمن وأُصيبت بمرض السكري نتيجة الصدمة، ولا تزال تحتفظ بملابسه وتنام بجوارها كل ليلة، باكية على غيابه الذي لم تتقبله حتى الآن، وفقدت الأسرة مصدر دخلها الوحيد بعد اختفائه، واضطرت لتقليل نفقاتها الأساسية من أجل البقاء، ووضعها المعيشي الحالي يُوصف بأنه سيئ جداً.

تطالب العائلة أولاً بكشف مصير ابنها، وإذا ثبت مقتله، فإنها تطالب بدفن لائق له يليق بكرامته، كما تطالب بمحاسبة المسؤولين عن الجريمة، وتؤكد الأسرة استعدادها الكامل للمشاركة في أي مسار قانوني أو حقوقي، وتعتبر أن العدالة لا تعني فقط القصاص، بل تشمل: الاعتراف الرسمي بالضحايا والمجزرة، توثيق الجرائم وضمها إلى السجلات الوطنية والدولية، وتقديم تعويض مادي يساعد الأسرة على تجاوز تداعيات الفقد والمعاناة، وترى العائلة أن الجريمة لم تقتصر على قتل ابنها، بل كانت جريمة ممنهجة ضد الإنسانية، استهدفت الأبرياء ودمرت أحلامهم وأسرهم، وتؤكد أن صمت العالم زاد من آلامهم، لذا تطالب بتوثيق قصتهم وتسليط الضوء الإعلامي عليها، حتى لا يُنسى عبد الرحمن ومن مثله.

القصة 72: عيسى علي الصالح

عيسى علي الصالح، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 29 عاماً عند اختفائه في الأول من تشرين الأول عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لطفلين، صبي وبنت، كانت أعمارهم تتراوح بين السنة والسنتين والنصف حين تم اعتقاله، وكان يعمل نجاراً، ويعتمد على مهنته لتأمين لقمة العيش لعائلته، ولم يكن منتميًا لأي جهة عسكرية أو سياسية، ولم يسبق له أن شارك في أي نشاط مسلح.

عُرف عيسى بالتزامه الشديد في عمله، فقد كان يعتبر النجارة مصدر فخر لا مجرد وسيلة عيش، لم يكن يضيع يوماً دون عمل، حتى في أقسى ظروفه، وكان عيسى محباً للرياضة، خاصة كرة القدم، وحلمه الأبسط والأصدق كان أن يسجّل في نادٍ رياضي ليحقق بعضاً من شغفه الطفولي، لكن الواقع الدموي لم يُمهله، تقول زوجته: "كانت كل أحلامه صغيرة... لكنه لم يُترك ليعيش حتى تلك الأحلام الصغيرة".

في صباح يوم الأول من تشرين الأول/أكتوبر 2014، وفي الساعة التاسعة والنصف صباحاً، كان عيسى برفقة زوجته وطفله متوجهاً إلى الطبيب في بلدة هجين، بعد أن لجأوا إليها هرباً من تصاعد هجمات تنظيم داعش على بلدات الشعيطات، وكانوا قد أُبلغوا بضرورة إخلاء المنازل والنزوح إلى أماكن أكثر أماناً، وعند أحد الحواجز، أوقفهم ثلاثة عناصر مسلحين من تنظيم داعش، قاموا بعصب عيني عيسى، واقتياده بالقوة، دون أن يوجّهوا له تهمة أو يبرزوا مذكرة اعتقال، وزوجته، التي كانت تحمل طفله بين ذراعيها، توسلت إليهم أن يتركوه، بكت، ترجّت، لكنهم لم يلتفتوا، ومضوا به، تاركينها منهارة على الطريق، وطفلها لا يفهم ماذا يعني أن يُخطف الأب في لحظة.

منذ لحظة اختطافه، بدأت العائلة رحلة البحث عن عيسى، وكانت والدته الأكثر إصراراً، إذ لم تستوعب أن يُؤخذ ابنها الثالث هكذا ببساطة، حاولت الأسرة التواصل مع ناجين من معتقلات التنظيم، لكن أحداً لم يملك معلومة واضحة عنه، كل ما عرفوه أنهم رأوه يُساق معصوب العينين من الحاجز، وقام والده بتقديم بلاغ للمطالبة بالإفراج عنه، لكنه قوبل بالطرد والتهديد، ومع انسحاب التنظيم، بدأت العائلة بزيارة المواقع التي يُعتقد أنها تضم مقابر جماعية، من دير الزور إلى البادية، لكن لم يجدوا له أثراً.

غياب عيسى ترك أثراً عميقاً في عائلته، ليس فقط كمعيل، بل كأخ، وزوج، وابن، وأب، زوجته ما زالت تعاني من أعراض نفسية مزمنة، بين الاكتئاب والقلق، تعيش على ذكرى الأيام التي كانت فيها ترافقه إلى العمل أو تنتظره مع الغروب، تحتفظ العائلة بكل ما يخصه: ملابسه، أدواته، صوره، حتى رائحة خشب النجارة التي كان يعود بها إلى البيت، ورغم أن عيسى لم يكن المعيل الوحيد للأسرة، فإن فراغه لم يكن مادياً بقدر ما كان وجدانياً، فغيابه كسر ترتيب البيت، أضعف روح العائلة، وأبقى سؤالاً بلا إجابة في عيون أطفاله: "أين ذهب أبي؟".

تطالب عائلة عيسى علي الصالح أولاً بمعرفة مصيره، والتحقيق الجدي في ظروف اعتقاله ومكان وجوده أو مقتله إن تأكد، وتطالب بإصدار شهادة وفاة رسمية إن تم إثبات ذلك، وإدراج اسمه ضمن قوائم ضحايا مجزرة الشعيطات التي ارتُكبت بحق المدنيين، كما تطالب بمحاسبة الجناة، وترى أن العدالة لا تعني فقط العقوبة، بل تشمل أيضاً الاعتراف بالمأساة، وجبر الضرر المادي والمعنوي، وضمان عدم تكرار ما حدث.

القصة 73: حمود حميد الهويش

حمود حميد الهويش، رجل في الرابعة والأربعين من عمره، من أبناء بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان متزوجاً وأباً لسبعة أطفال (ثلاثة ذكور وأربع إناث)، تتراوح أعمارهم بين 12 و25 عاماً، كان يعمل مزارعاً ويعيل أسرته الكبيرة، كما كان يساعد في رعاية والديه المسنين، ولم يكن له أي نشاط سياسي أو انخراط في النزاع القائم، بل كرّس حياته لعائلته وأرضه.

عرف حمود بحياته الهادئة والتزامه اليومي بالعمل في الأرض، كان يزرع القمح والخضروات الموسمية، يخرج مع طلوع الشمس، ويعود مع غروبها ليقضي ما تبقى من يومه مع أسرته، تميز بالصبر والرضا، لم يكن يتذمر حتى في أشد الظروف، أحد المواقف التي تذكرها عائلته بحزن وإعجاب أنه حينما حرق أحد جيرانه محصوله عمداً، اكتفى بالقول: "الحمد لله على كل حال"، دون أن يشتكي أو يغضب، كان حلمه البسيط أن يكمل بناء منزل يجمع فيه أسرته، ويُنشئ أبناءه على القيم والمبادئ التي نشأ عليها.

في الثالث عشر من آب 2014، ومع بدء اجتياح تنظيم داعش لبلدة غرانيج، فرّ حمود بعائلته إلى بلدة هجين، حفاظاً على سلامتهم، وبعد يومين، عاد برفقة زوجته إلى منزله في غرانيج ليجلب بعض الحاجيات الضرورية، معتقداً أن التنظيم لن يؤذيه كونه لم يرتكب أي جرم، ولم يشارك في أي نشاط مناهض، بينما كانت الزوجة في إحدى الغرف، سمعا صوت اقتحام مفاجئ، اختبأت الزوجة، وخرج حمود لاستطلاع الأمر، فباغته عناصر التنظيم، وأجبروه على الركوع، ثم، دون محاكمة أو تهمة، أطلقوا النار عليه وأعدموه بدم بارد أمام باب منزله، زوجته التي رأت المشهد بأم عينيها أغمي عليها من هول الصدمة.

لم تبدأ العائلة رحلة بحث طويلة كما في حالات المفقودين، لأن حمود قُتل أمام زوجته التي رافقته إلى المنزل وشهدت الجريمة، اتصلت بوالده على الفور، الذي تسلل ليلاً إلى المنزل وحمل جثمانه على ظهره بمساعدة الأقارب، ودفنه في مقبرة العائلة (جعابي) في غرانيج، لم تُقدَّم أي بلاغات، ولم يُفتح أي تحقيق رسمي، ولم تحصل العائلة على أي دعم من أي جهة، اكتفت بمساندة الأقارب والجيران خلال الأيام الأولى، ثم تُركت لمواجهة الحزن والفقد وحدها.

كان حمود العمود الفقري لعائلته، ومع غيابه انهارت البنية اليومية للأسرة، دخل الحزن إلى المنزل، وعمّ الصمت أجواءه، والده ووالدته المسنان لم يحتملَا الصدمة، وسرعان ما أصيبا بأمراض مزمنة وتوفيا بعد سنوات من المعاناة، وزوجته دخلت في اكتئاب حاد، وأطفاله كبروا في ظل غياب والدهم، وسط واقع نفسي واقتصادي بالغ القسوة، اضطرت العائلة إلى بيع جزء من أرضهم الزراعية لتغطية نفقات المعيشة، وتم الاستغناء عن معظم الاحتياجات غير الأساسية، ولا تزال العائلة تحتفظ بصوره وملابسه، كأنها تحاول أن تُبقيه حاضراً في تفاصيل الحياة رغم الغياب.

ترى عائلة حمود أن ما جرى هو جريمة بشعة بحق مدني أعزل، كان كل ذنبه أنه عاد إلى بيته، وتطالب العائلة اليوم، وبعد مرور أكثر من عشر سنوات، بالاعتراف الرسمي بما جرى في الشعيطات كمجزرة ممنهجة ضد السكان المدنيين، كما تطالب بمحاسبة الجناة وملاحقتهم، وتخاطب العائلة المنظمات الإنسانية والحقوقية والمحاكم الدولية، وتدعوها للوقوف إلى جانب العائلات المنكوبة، كما تناشد وسائل الإعلام لتوثيق هذه الجرائم، وتسليط الضوء على قصص ضحايا المجزرة المنسيين.

القصة 74: عبد الرزاق الجمعة العبد

عبد الرزاق الجمعة العبد، من أبناء بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 39 عاماً عند مقتله في خريف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لثمانية أطفال (أربعة ذكور وأربع إناث)، أكبرهم في الخامسة والعشرين من عمره وأصغرهم لم يتجاوز العاشرة، كان يعمل مديراً لمدرسة في منطقته، موظفاً في القطاع التربوي، ويُعرف بحرصه الشديد على تقديم حياة كريمة لأطفاله وزوجته، ولم يكن له أي انتماء سياسي أو ارتباط بأي جهة عسكرية أو فاعلة في النزاع السوري.

كان عبد الرزاق يعيش حياة ريفية بسيطة، يستيقظ مع الفجر، يتوجه إلى المدرسة، ويعود عند الظهيرة ليقضي بقية يومه في تلبية احتياجات المنزل والاهتمام بعائلته، كان معروفاً بين أهله وطلابه بصدقه ونزاهته، محبوباً في مجتمعه، لا يتردد في تقديم المساعدة، وتروي عائلته أنه في أحد الأيام، ورغم عطلة المدرسة، قام بفتحها لمساعدة جارٍ له كان يحتاج إلى وثيقة تثبت إنهاءه الدراسة من أجل تسريحه من الخدمة العسكرية، كان يحلم بتربية أطفاله في أمان، وبناء حياة مستقرة تجمعهم تحت سقف منزلٍ صغير آمن.

في الخامس والعشرين من أيلول/سبتمبر 2014، وأثناء عودته من رحلة قصيرة مع أصدقائه، تم إيقاف عبد الرزاق على أحد حواجز تنظيم داعش على أطراف بلدة أبو حمام، لم يُوجَّه له أي اتهام، ولم يُعرض على أي تحقيق، بل تمّ إنزاله من السيارة وإطلاق النار عليه مباشرة أمام أعين أصدقائه، الذين صُدموا من هول المشهد وعجزوا عن التدخل، حدثت الجريمة المروعة عند الساعة الخامسة عصراً، أمام العشرات، في وضح النهار، لتتحول عودته إلى منزله إلى نهاية مفجعة لم تُمحَ من ذاكرة من حضرها.

لم يكن هناك مجال للبحث عن عبد الرزاق، فحادثة قتله وقعت أمام شهود كثر، وأُبلغت العائلة بها فور وقوعها، وفي نفس الليلة، وبمساعدة بعض الأقرباء، استطاع الشبان نقل جثمانه ودفنه سراً رغم المخاطر الأمنية.

كان عبد الرزاق المعيل الأساسي لعائلته، ورحيله المفاجئ خلّف صدمة هائلة داخل أسرته، تغير نمط حياة العائلة جذرياً، وبدأت تعاني من تدهور مادي واضح، أصيبت زوجته بأمراض جسدية نتيجة الحزن والضغط النفسي، كما تدهورت صحة والدته المسنّة، انقلب البيت من مكان عامر بالحياة إلى فضاء مليء بالصمت والعزلة، واضطرّت العائلة إلى بيع ممتلكاتهم، بما في ذلك السيارة وبعض الأثاث، لتأمين أدنى احتياجاتهم، وظلوا متمسكين بذكراه، يحتفظون بملابسه وصوره وكأنها آخر ما تبقى من وجوده بينهم.

تطالب عائلة عبد الرزاق الجمعة أولاً بالاعتراف الرسمي بما حدث، وتوثيق الجريمة ضمن مجزرة الشعيطات باعتبارها جريمة ممنهجة ضد المدنيين، تطالب بمحاسبة الجناة، وترى في ذلك شرطًا أساسياً لتحقيق العدالة، كما تطالب العائلة بتعويض مادي عن الخسائر التي لحقت بها، وتخصيص قائمة رسمية بأسماء ضحايا تنظيم داعش، ليُحفظ حقهم في الذاكرة والعدالة، وترى العائلة أن العدالة لا تتوقف عند العقاب فقط، بل تشمل جبر الضرر، الاعتراف، والتوثيق، وتؤمن أن إنشاء نصب تذكاري لضحايا الشعيطات سيكون خطوة رمزية مهمة في طريق الاعتراف والإنصاف.

القصة 75: أحمد غدير الهويش

أحمد غدير الهويش، شاب أعزب من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 30 عاماً وقت مقتله عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، لم يكن كغيره من الناس، فقد كان يعاني من إعاقة عقلية منذ صغره، لكنه كان معروفاً في بلدته ببراءته ونقائه، لا يعرف السياسة ولا الحرب، لم ينتمِ لأي طرف من أطراف النزاع، ولم يكن في قلبه مكان للكراهية، كان يعيش ببساطة، يبتسم لكل من يمر بجانبه، ويثير الحنين في نفوس من يعرفونه بابتسامته البريئة وسلوكه الطفولي في جسد رجل.

رغم إعاقته العقلية، كان أحمد جزءاً أساسياً من حياة عائلته ومجتمعه، تقول والدته إنه كان أشبه بطفل دائم، يفرح بأبسط الأشياء، وكان يحب الجلوس في ظل الشجر، يراقب المارة ويضحك حين يرى الأطفال يلعبون، لم يكن يعمل أو يعيل أحداً، بل كانت أسرته ترعاه بمحبة، وكان والده يتولى تأمين احتياجاته البسيطة، وكان وجوده في البيت طقساً يومياً لا غنى عنه.

في التاسع من آب/أغسطس عام 2014، عند الساعة الحادية عشرة صباحاً تقريباً، دخل تنظيم داعش بلدة غرانيج، هرب الأهالي خائفين، لكن أحمد لم يكن يفهم ما يحدث، ولم يدرك معنى الخطر، ربما ظن أن هؤلاء أشخاص جدد في القرية، اقترب منهم، كعادته، ببساطة وبراءة، لم يحمل سلاحاً، لم يكن يشكل تهديداً، فقط كان يحمل رغيف خبز بين يديه، يأكله في الطريق، لكن عناصر التنظيم لم يرحموه، لم يشفع له مرضه ولا ضعفه، فأطلقوا عليه الرصاص على قارعة الطريق، ورموا جثته بجانب الخبز الذي كان يتناوله، لقد قُتل بدمٍ بارد، بلا ذنب، في مشهد ترك جرحاً عميقاً في ذاكرة كل من عرفه، حتى من لم يكن قريباً منه.

في البداية، لم تبحث العائلة عن أحمد، اعتقدوا أنه بمنأى عن الأذى بسبب حالته العقلية، لكن بعد أن عادوا إلى منازلهم، وجدوه ملقى في الطريق، مقتولاً، وبجانبه رغيف الخبز، كانت الجريمة واضحة، وصادمة، لم يقدموا بلاغاً، ولم يزوروا مقابر جماعية، لأنهم وجدوه حيث لم يتوقعوا: في الشارع، على مرأى الجميع.

كان فقد أحمد زلزالاً في قلب العائلة، صحيح أنه لم يكن معيلاً أو منتجاً، لكنه كان روح البيت، لم يكن مجرد "مريض عقلي"، بل كان الحضور الدائم، والوجه المبتسم الذي يرافق الجميع، تقول والدته إن غيابه مزّق قلبها، وإنها لم تعد تستطيع النوم دون احتضان غطاءه، أو شمّ قلابيته المعلّقة في زاوية غرفته، وأبوه أيضاً تأثر بشدة، وأصيب لاحقاً بارتفاع الضغط وتدهور في صحته، وما تزال العائلة تحتفظ بكل مقتنياته: الحذاء البالي الذي كان ينتعله يومياً، غطاؤه، ملابسه، وحتى الرغيف اليابس الذي وُجد قرب جسده. إنها ليست مجرد أشياء، بل شواهد على روح نقية قُتلت ظلماً.

تطالب عائلة أحمد غدير الهويش بمحاكمة المسؤولين عن هذه الجريمة، سواء كانوا من قادة داعش أو من نفذوا القتل ميدانياً، لا تطلب العائلة انتقاماً، بل اعترافاً رسمياً بالظلم، وعدالة تحمي غيره من المصير نفسه، وترى العائلة أن التوثيق ونقل القصة هو أول خطوات العدالة، لأن الصمت يُنسي، أما الحكاية فتحفظ الذاكرة، وتمنع تكرار الجريمة، ما يزال لديهم بصيص من الأمل أن يظهر الحق، وأن تُرفع أصواتهم، وأن يُقال يوماً ما: "لقد كان أحمد إنساناً... وقُتل ظلماً"

القصة 76: سامر أحمد العلي

سامر أحمد العلي، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 28 عاماً عند اعتقاله في تموز 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لطفل رضيع كان عمره أربعة أشهر فقط حين اختفى، كان يعمل في محطة مياه، ويعتمد على عمله في تأمين حياة كريمة لزوجته وطفله، ولم يكن منتمياً لأي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يشارك في أي نشاط مسلح.

كان سامر يبدأ يومه مع الفجر، يتوجه إلى عمله في محطة المياه ويعود مع حلول الظلام، يحمل معه تعب اليوم وقليلاً من المال يكفي بالكاد لإعالة أسرته، لم يكن يعرف الراحة، وكان نادراً ما ينام ساعات كافية، إذ كرّس وقته وجهده لبناء مستقبل آمن لزوجته وطفله، ولإعالة والدته وأخوته، وعُرف بين أقاربه وجيرانه بطِيبته وهدوئه ودماثة خلقه، وكان يحمل أحلاماً صادقة: عائلة مستقرة، حياة كريمة، وشيء من الأمان، لكن يد الغدر خطفت الحلم، وتركت فراغاً لا يُملأ.

في 20 آب 2014، عند الساعة العاشرة مساءً، وبينما كان سامر نائماً في منزله، اقتحمت مجموعة مسلحة تابعة لتنظيم داعش المكان الذي كان يتواجد فيه، لم يُمنح فرصة للسؤال أو الدفاع عن نفسه، تم اعتقاله من قبل ثلاثة عناصر مسلحين، عُصبت عيناه، واقتيد إلى جهة مجهولة دون مذكرة أو تهمة، ونُقل لاحقاً إلى مركز احتجاز مؤقت داخل مدرسة حوّلها التنظيم إلى مقر استجواب، وبعد أيام قليلة، بدأت تتسرب معلومات عن إعدامات جماعية نفذها التنظيم في محيط حقل العمر، لكن العائلة لم تتمكن من التأكد إن كان من بينهم، ولم يظهر اسمه في أي قوائم للضحايا أو الناجين، ولم يُعثر على جثمانه، وحتى اليوم، لا تملك العائلة أي دليل مادي على وفاته أو نجاته، ويُعتبر من ضحايا الاختفاء القسري في سياق مجازر الشعيطات.

منذ اللحظة الأولى، بدأت الزوجة والأم رحلة البحث عن سامر، متنقلتين بين الشهادات، والمراكز، والمواقع المحتملة، حاولت العائلة الوصول إلى مركز الاحتجاز، لكنهم مُنعوا من الدخول، تواصلوا مع عدد من الناجين من معتقلات داعش، لكن دون فائدة، لا أحد يملك معلومة موثوقة، زاروا مواقع يعتقد أنها تضم مقابر جماعية، من حقل العمر إلى بادية دير الزور، مروراً ببعض السجون في العراق، ولكن دون أثر، ورغم كل المحاولات، لم تحصل العائلة على وثيقة، أو شهادة، أو حتى تلميح رسمي بمصير ابنهم، وما زالوا حتى اللحظة يعتبرونه في عداد المفقودين.

كان سامر المعيل الوحيد لزوجته وطفله الرضيع، ومع غيابه، تهاوى كل ما بُني من استقرار هش، تحوّل البيت إلى مساحة من الصمت والانتظار المؤلم، زوجته، التي لم تستوعب حتى الآن رحيله، أُصيبت باكتئاب حاد، وأعراض جسدية مترافقة مع توتر دائم، دون أي رعاية طبية أو دعم نفسي من أي جهة، واحتفظت العائلة بملابسه، وصوره، وأغراضه الشخصية، وتتعامل معها كأنها بقايا جسده الذي لم يعد، أما الوضع الاقتصادي، فتدهور سريعاً، واضطرت العائلة إلى بيع بعض أثاث المنزل لتأمين الاحتياجات الأساسية.

تطالب عائلة سامر أحمد العلي قبل كل شيء بمعرفة مصيره، وإجراء تحقيق رسمي نزيه وشامل حول ما حدث له، تطالب أيضاً بمحاسبة المسؤولين، كما تطالب بجبر الضرر المادي والمعنوي، تريد العائلة تعويضاً عادلاً عمّا فُقد، لا فقط كحق اقتصادي، بل كاعتراف بمعاناتهم، وتطالب بإدراج اسمه ضمن قوائم ضحايا مجزرة الشعيطات، وبإصدار شهادة وفاة رسمية إن تأكد مقتله، وترى العائلة أن رواية قصتها ليست فقط للذكرى، بل جزء من معركة العدالة، والحقيقة، والاعتراف، فالعدالة في نظرهم لا تعني فقط معاقبة الجناة، بل تشمل أيضاً رفع الغطاء عن المأساة، وفتح الأبواب لمستقبل لا يُكرَّر فيه هذا العنف.

القصة 77: محمد علي الأحمد

محمد علي الأحمد، من مواليد بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 32عاماً عند اعتقاله في 24 آب 2014 أثناء مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لثمانية أطفال – أربعة ذكور وأربعة إناث – أكبرهم في الحادية عشرة من عمره وأصغرهم لم يتجاوز السنة، كان يعمل مع والده في الزراعة وتربية عدد محدود من الأغنام، ويعتمد على هذا العمل البسيط لإعالة عائلته، ولم يكن منتمياً لأي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يسبق له أن شارك في أي نشاط مسلح.

عاش محمد حياة ريفية تقليدية، بسيطة، ومتعبة، كان يستيقظ كل صباح ليذهب مع والده إلى الحقول، ويعتني بالأغنام، ويقوم بما أمكنه من العمل لتأمين احتياجات أطفاله وزوجته، لم يكن يملك مصدر دخل آخر، لكنه كان يملك قلباً كبيراً، وسمعة طيبة بين الناس، عُرف بين أهله وأصدقائه بأنه خلوق، طيب القلب، يُقدّم المساعدة دون طلب، ويحلم بأن يربّي أبناءه في كنف أمانٍ وكرامة.

في يوم الرابع والعشرين من آب 2014، وعند الساعة الرابعة عصراً، خرج محمد إلى إحدى الصيدليات القريبة من منزله في بلدة الكشكية ليشتري الحليب لطفله الرضيع، وبينما كان هناك، اقتحم المكان عناصر مسلحون تابعون لتنظيم داعش، واعتقلوه عصبوا عينيه، وساقوه دون أي مذكرة أو تفسير، ورفضوا حتى الإجابة على توسلات الحاضرين، تم نقله إلى مركز احتجاز مؤقت داخل منزل قديم حوله التنظيم إلى مقر للاستجواب، وبعد عشرة أيام فقط من اختفائه، بدأت تتسرب أخبار عن عمليات إعدام جماعي في محيط حقل العمر النفطي وبلدتي أبو حمام والكشكية، وبعد عودة العائلة إلى ديارهم، وتقصّيهم بين المقابر الجماعية، عثروا على جثمانه، وتعرفوا عليه من ساعته اليدوية التي كانت لا تزال على معصمه.

منذ لحظة اعتقاله، بدأت العائلة في البحث عنه دون كلل، كانت زوجته الأكثر إصراراً، إذ لم تقتنع بأن زوجها رحل بهذه البساطة، حاولت والدته الدخول إلى مقر الاحتجاز، لكن تم منعها، دون تقديم أي معلومات، ومع مرور الوقت، بدأت العائلة بزيارة جميع المواقع المحتملة التي يُعتقد أنها تضم مقابر جماعية، حتى عثروا عليه في إحدى مقابر صحراء الكشكية، إلى جانب عشرات الضحايا الآخرين.

غياب محمد لم يكن مجرد خسارة معيل، بل خسارة عمود العائلة، كان يشارك والده في العمل ويقود أسرته الكبيرة، ولما غاب، أصاب الحزن والمرض أباه، الذي لم يحتمل فراق الابن، كما أُصيبت والدته بأمراض نفسية وجسدية متراكبة نتيجة الصدمة، دون أن تحصل على رعاية طبية أو دعم نفسي، أما زوجته، فقد بقيت تحمل وحدها مسؤولية ثمانية أطفال، بعضهم لا يدرك حتى الآن ما الذي جرى، وتدهور الوضع الاقتصادي للعائلة بشكل حاد، واضطروا لبيع جزء من الأراضي والأغنام، لتأمين الحد الأدنى من المعيشة، وبقيت أغراض محمد الشخصية محفوظة بعناية – ملابسه، صوره، ساعته – يتعاملون معها كما لو أنها كل ما تبقى منه.

تطالب عائلة محمد علي الأحمد أولاً بدفن لائق لجميع ضحايا المجزرة، وتحديد قبورهم وإحياء ذكراهم، كما تطالب بمحاسبة المسؤولين، كما تطالب بتخصيص نصب تذكاري أو لائحة رسمية تضم أسماء الضحايا، وتوجيه رسالة مفتوحة إلى المنظمات الحقوقية والإنسانية للاهتمام بمصير العائلات المتروكة دون دعم، وتطالب أيضاً باعتراف رسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد المدنيين.

القصة 78: عبد الناصر الحسين الغدير

عبد الناصر الحسين الغدير، معلم أربعيني من أبناء بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان يعمل مدرساً لمادة اللغة العربية في مدرسة "الأوائل" التابعة لعشيرة الشعيطات، متزوج وأب لثلاثة أطفال (ولد وابنتان) تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشرة، لم يحمل السلاح يوماً، وكان يؤمن أن الكلمة أقوى من الرصاصة، متمسكاً بمبادئ التعليم والإصلاح، محباً لطلابه، ومشجعاً لهم، ورافضاً تقاضي المال مقابل الدروس الإضافية، وكان يُنظر إليه في المجتمع كرمز للعلم والهدوء والنزاهة، وكان حلمه الأبدي أن يرى أبناءه يكبرون وهم يواصلون درب المعرفة والنجاح.

كان عبد الناصر يعيش حياة بسيطة ومنضبطة، يستيقظ باكراً ويتوجه إلى المدرسة، ثم يعود إلى بيته بعد الظهيرة ليتابع شؤون عائلته ويساعد أبناءه في دراستهم، ومن أبرز صفاته التواضع والاجتهاد والإخلاص، وكان معروفاً بأنه لا يميّز بين طلابه، ويشجع الجميع على التقدم والتفوق، وكان ينتظرهم عند بوابة المدرسة بعد الامتحانات ليطمئن على أدائهم، لم يكن له انتماء سياسي أو صلة بأي جهة، وكان يرى في التعليم وسيلة لبناء الأوطان، لا وسيلة للنجاة الفردية، وحلمه الوحيد كان أن يكبر أولاده في بيئة آمنة ويكملوا درب العلم الذي نذر نفسه له.

في صيف 2014، بعد دخول تنظيم داعش إلى بلدات الشعيطات، عمّت الفوضى والاعتقالات والقتل الجماعي، فاضطر عبد الناصر للفرار مع عائلته إلى بلدة هجين، وفي 20 آب/أغسطس 2014، وبينما كان يحاول حماية أسرته، اقتحم عناصر داعش منزله، حيث اقتادوه معصوب العينين أمام زوجته وأطفاله، كانت تلك اللحظة مفصلية في حياة العائلة، إذ لم يُعرف عن عبد الناصر أي نشاط سياسي أو مسلح، وكانت آخر كلماته لأطفاله: "كونوا بخير... الكلمة ما بتموت"، ومنذ ذلك اليوم، لم يظهر له أثر، ولا يزال مصيره مجهولاً حتى اللحظة.

منذ لحظة اعتقاله، لم تتوقف العائلة عن البحث عن عبد الناصر، فبعد طرد تنظيم داعش، زاروا المقابر الجماعية، وتواصلوا مع ناجين من السجون، وسافروا حتى إلى سجون العراق على أمل العثور على دليل، لكن دون جدوى، زوجته كانت الأكثر إصراراً، وواصلت البحث رغم الألم والخذلان، وتلقت وعوداً كاذبة ومضللة من بعض المدّعين بمعرفة مصيره مقابل المال.

ترك عبد الناصر فراغاً هائلاً في حياة أسرته الصغيرة، ليس فقط لأنه كان المعيل الأساسي، بل لأنه كان مصدر الأمان والقدوة والقيم، زوجته دخلت في حالة من الانهيار العصبي، وأطفاله فقدوا الاستقرار النفسي، واضطر الابن الأكبر إلى ترك المدرسة والعمل في الزراعة لتأمين لقمة العيش، وتحول البيت إلى مكان تغلب عليه الصمت والقلق، وما زالت العائلة تحتفظ بأغراضه: ملابسه، صوره، دفاتره، وحتى عطوره الخاصة، وكأنها تحرس ذاكرة رجل لم يعد، تأثر وضعهم الاقتصادي بشدة، وانخفضت قدرتهم على تأمين الحاجات الأساسية، وأصبحوا يعيشون على الحد الأدنى من المعيشة في ظل غياب أي دعم.

تطالب عائلة عبد الناصر بكشف مصيره أولاً، وإن ثبتت وفاته، فبدفن لائق له واعتراف رسمي بظروف مقتله، كما تطالب بمحاسبة كل من شارك في جريمة اعتقاله وإخفائه، وتؤكد العائلة استعدادها الكامل للمشاركة في أي مسار قانوني أو حقوقي، وترى أن قصة عبد الناصر ليست مأساة فردية، بل دليل على فظائع داعش، لم تُدرج الدولة اسمه ضمن قوائم المختفين قسراً، ولم تتلقَ العائلة أي دعم نفسي أو مادي، وتطلب العائلة جبراً مادياً عن الخسائر، لكنها ترى أن العدالة الحقيقة تبدأ بالاعتراف بالجريمة، وتخليد ذكرى الضحايا، وتقول العائلة: "قصة عبد الناصر لا يجب أن تُنسى، فهو لم يحمل سلاحاً، بل حمل قلماً، وكانت كلمته أقوى من كل رصاصاتهم"، لا يزال الأمل قائماً في تحقيق العدالة، لأن العدالة – ولو تأخرت – تبقى ممكنة، وتبقى رواية القصة أول خطوة على طريقها.

القصة 79: سلطان أكرم السلطان

سلطان أكرم السلطان، شاب من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 22 عاماً عند اعتقاله في صيف عام 2014، متزوج وأب لطفلين، أحدهما لم يتجاوز السنة من عمره، بينما كانت زوجته حامل بالطفل الثاني وقت اختفائه، كان سلطان يعمل على سيارته الخاصة، ينقل المواد الغذائية لأقربائه مقابل أجر بسيط، لكنه كان كافياً لإعالة أسرته الصغيرة، وكان يُعرف بمسؤوليته وشهامته بين أقاربه وجيرانه.

كان سلطان يلتزم بروتين عمل منتظم، يخرج في الصباح الباكر إلى عمله ويعود وقت الظهيرة للراحة، ثم يعاود نشاطه بعد العصر ويستمر حتى المساء، امتاز بأخلاقه العالية، طيبة قلبه، وحرصه على خدمة الجميع، حتى أن جيرانه كانوا يلجؤون إليه لحلّ الخلافات العائلية لما عُرف عنه من حكمة واتزان، وكان حلمه البسيط أن يبني بيتاً صغيراً يأوي أسرته، ويوفّر لهم حياة كريمة ومستقرة، لكن هذا الحلم اختطف معه، كما اختُطف هو.

في اليوم الأول من شهر تشرين الأول/أكتوبر 2014، توفي أحد أقارب سلطان في بلدة هجين، فقرر الذهاب لتقديم العزاء، إذ كان حينها يقيم في قرية البحرة، وبعد عودته، حوالي الساعة 11 صباحاً، اعترضتهم مجموعة مسلحة تابعة لتنظيم داعش، فتم اعتقاله هو ومن معه، وبعد أيام، استطاع أحد الموقوفين الهروب وأخبر العائلة بما جرى، لكنه لم يكن يعلم شيئاً عن مصير سلطان، كانت سيارته تحتوي على مبالغ مالية ومصاغ ذهبي، تم نهبها بالكامل، ومنذ ذلك الوقت لم يعرف أحد ما حدث له.

منذ لحظة اختفائه، بدأت العائلة رحلة البحث عن سلطان، كان والده هو الأكثر إصراراً رغم تدهور صحته، وطرق كل الأبواب الممكنة، من التواصل مع ناجين ومفرج عنهم إلى زيارة المقابر الجماعية، لكن دون جدوى، حتى مكتب "المظالم" التابع لداعش، الذي تقدموا إليه بشكوى، لم يفعل شيئاً، وفي كل زيارة إلى المقابر، كان الأب ينهار من هول المشهد والخذلان، دون أن يجد أي دليل على وجود ابنه، واجهت العائلة أيضًا العديد من محاولات التضليل، حيث أوهمهم البعض بوجود معلومات مقابل المال، لكنها كانت أكاذيب، لم تحظَ الأسرة بأي دعم نفسي أو اجتماعي، وواصلت البحث وحدها، وسط صمت الجميع.

كان سلطان المعيل الرئيسي لأسرته، وبعد غيابه انهار استقرار العائلة تماماً، فقد والده السيطرة على صحته، وبدأ يعاني من نوبات هلع وارتفاع مزمن في ضغط الدم نتيجة الحزن والقلق، وخيّم الصمت على المنزل، وأصبحت زوجته تعيش على أمل واهٍ بعودته، ما زالت العائلة تحتفظ بأغراضه، من ملابسه وصوره وحتى مفاتيح سيارته، وكأنها تنتظر أن يفتح الباب في أية لحظة، وبعد نهب السيارة وما فيها، ساء الوضع الاقتصادي للأسرة، واضطرت العائلة إلى بيع ممتلكات بسيطة، وتقليص مصاريفها إلى الحد الأدنى للبقاء.

تطالب عائلة سلطان أولاً بكشف مصيره، وإن كان قد قُتل، أن يُمنح دفناً لائقاً، كما تطالب بمحاسبة الجناة من عناصر تنظيم داعش، وترى العائلة أن العدالة تبدأ بالاعتراف بهذه الجرائم كجرائم ممنهجة ضد الإنسانية، لم تتلقَ العائلة أي دعم من المنظمات الحقوقية رغم تواصلها مع بعضها، وهو ما زاد من ألمها وإحباطها، ولكن رغم ذلك، لم تفقد الأمل، وترى أن رواية قصتها هي خطوة أولى نحو تحقيق العدالة، لأن التوثيق يحفظ الذكرى ويمنع التكرار.

القصة 80: أحمد محمد العبد الله

أحمد محمد العبد الله، شاب من مواليد بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 22 عاماً عند مقتله على يد تنظيم داعش في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، عازب، وكان مغترباً في لبنان منذ سنوات، يعمل هناك بلا كلل ليؤمّن لقمة العيش لأسرته المكوّنة من أم قوية تعمل في صناعة الألبان، وأب مسن مريض، وأخوات إناث، وأخ معاق.

كان أحمد معروفاً بمثابرته وتفانيه، يعمل ليلاً ونهاراً في لبنان، ويرسل كل ما يجنيه إلى أسرته في سوريا، ليضمن لهم الحد الأدنى من الحياة الكريمة، كانت والدته تساعده بما تصنعه من أجبان وألبان في المنزل، في محاولة لتخفيف العبء عنه، كان أحمد محباً لعائلته، باراً بوالديه، ولم يكن لأحمد طموح يتعدى أن يرى عائلته بخير، وأن يوفّر لأخيه المعاق علاجاً، ولأمه راحةً تستحقها، لكنه، حين بدأ التنظيم يُحكم قبضته على مدينته، عاد من لبنان، لا لسبب سوى ليكون إلى جانب عائلته ويحميهم.

مع دخول تنظيم داعش إلى المنطقة، عاد الخوف ليسكن البيوت، ظن أحمد – كما ظن الكثيرون – أن التنظيم لن يؤذي أحداً ما دام لم يتدخل في شؤونهم، لجأ مع عائلته إلى مدينة هجين، حيث ظنّ أن الأمر مؤقت، كان يتسامر مع صديقه المقرب، الذي حذره من أن التدخين ممنوع، وأن العقوبة قد تكون قاسية، ولم يتوقع أحمد أن تكون "تهمة التدخين" سبباً في قطع رأسه، اعتقل عناصر داعش أحمد في 2014/10/20، وأثناء التحقيق، لاحظ عناصر التنظيم وجود وشم على ظهره باسم "علي"، كان قد وُشم غصباً عنه في لبنان، لم يشفع له أنه تاب، ولم تمنحه توسلاته فرصة أخرى، قُتل ذبحاً، وقاموا بتعليق رأسه على أحد الدوارات العامة في المدينة، وكانت والدته، التي خرجت لبيع ما صنعته من لبن وأجبان، تمر صدفة في الطريق، فرأت حشداً من الناس، اقتربت، فلم تصدّق ما رأت: رأس ابنها معلق أمامها، دون جسد، دون رحمة، دون حتى أن يُسمح لها بالاقتراب منه، صرخت، وانهارت، وفقدت عقلها بالكامل منذ تلك اللحظة.

كان أحمد هو المعيل الوحيد لعائلة من أكثرها هشاشة، ومع غيابه، تحطم كل شيء، الأم فقدت عقلها، الأب المريض توفي بعدها بوقت قصير، الأخوات دخلن في نوبات نفسية شديدة، والأخ المعاق بقي بلا رعاية، بلا صوت، بلا ظل يستند عليه، وتدهور الوضع الاقتصادي للأسرة إلى الحضيض، واضطروا لبيع كل ما يملكون، حتى البيت الذي يسكنون فيه، لتأمين المصاريف اليومية، لم يبقَ لهم شيء سوى بعض من ملابس أحمد وصوره، التي تحتفظ بها الأخوات كأنها كنز لا يُمس.

تطالب عائلة أحمد محمد العبد الله بالاعتراف الرسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد المدنيين الأبرياء، وبمحاسبة الجناة، وتؤكد أن أحمد قُتل ظلماً، لا لشيء سوى أنه عاد لحماية عائلته، وأنه لم يكن عدواً لأحد، العائلة لم تتواصل مع منظمات حقوقية، لكنها تطالب اليوم بجبر الضرر المادي والنفسي، خاصة للوالدة التي فقدت عقلها، ولعائلة باتت بلا مأوى ولا معيل، وتدعو العائلة إلى تسليط الضوء على قصص من قُتلوا غدراً، وإلى الضغط من أجل كشف الحقيقة وضمان عدم تكرار هذه الجرائم، وتخصيص نصب تذكاري أو سجل رسمي للضحايا.

القصة 81: أحمد إبراهيم الإسماعيل

أحمد إبراهيم الإسماعيل، شاب من مواليد بلدة الكشكية في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 30 عاماً عند تصفيته خلال أحداث مجزرة الشعيطات في صيف عام 2014، متزوج وأب لطفلين، أكبرهما يبلغ من العمر أربع سنوات، وأصغرهما لم تتجاوز عامها الثاني، كان أحمد عامل بناء مغترباً في السعودية، ويعيل أسرته الصغيرة التي تضم زوجته وطفليه، إضافة إلى والده وزوجتيه، لم يكن أحمد منخرطاً في أي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يسبق له أن شارك في أي نشاط يتجاوز إطار الحياة المدنية والمعيشية.

كان أحمد يعيش حياة شاقة، يعمل منذ الصباح الباكر في مهنة البناء ويعود في المساء للتواصل مع عائلته والاطمئنان على أحوالهم، كان معروفاً بتدينه، والتزامه الأخلاقي، وحفظه للقرآن الكريم، ووفقاً لشهادة عمه، كان أحمد مسالماً، بعيداً عن أي نشاط سياسي، ويؤمن أن لقمة العيش تأتي بالكدّ لا بالعنف، لم يكن يحمل أي موقف عدائي، بل كان يرى أن بُعده عن الصراع يحمي أسرته، كانت أحلامه بسيطة: أن يبني بيتاً صغيراً لأطفاله، وأن يؤمّن لهم حياة كريمة.

في 9 آب/أغسطس 2014، قرر أحمد وإخوته الثلاثة: محمد، سليمان، وخليل، البقاء في منزل العائلة في الكشكية، رغم أن أقاربهم قد نزحوا، اعتقدوا أن المدنيين المتدينين مثلهم لن يكونوا مستهدفين من قبل تنظيم داعش، لكن في ساعات متأخرة من الليل، اقتحمت مجموعة من عناصر التنظيم منزلهم، وقامت بتصفيتهم نحراً بالسكاكين دون رحمة، وبحسب شهادة عمهم، الذي كان مختبئاً في المنزل نفسه، فإن خليل وصل لاحقاً إلى المنزل للاطمئنان على إخوته، لكنه قُتل بالطريقة نفسها على يد أحد عناصر التنظيم، في اليوم التالي، تسلل أبناء عمومتهم ليلاً ودفنوا الإخوة الأربعة في الأرض الزراعية التابعة للعائلة في قبر واحد.

منذ اللحظة الأولى، لم يكن هناك مجال للبحث، فقد كان عم أحمد شاهداً مباشراً على الجريمة. تمكن من الفرار وإخبار بقية العائلة بما جرى، وتم دفن الإخوة الأربعة في اليوم التالي، لم تُترك العائلة وحدها؛ فقد وقف أبناء بلدة الكشكية بجانبهم، وعبّر الجميع عن فاجعتهم بمقتل أربعة إخوة مدنيين دفعة واحدة. لاحقاً، وبعد أن خفت صدمة الجريمة، توفي والد أحمد، تاركاً وراءه أسرة بلا سند، ومأساة مستمرة تعيشها النساء والأطفال الذين بقوا دون معيل.

غياب أحمد وإخوته الأربعة دمّر العائلة بالكامل، لم يبق من الأسرة سوى والدهم الطاعن في السن، وزوجات أبنائه، وأطفال يتامى لا معيل لهم، أصبح منزلهم صامتاً، يملؤه الحزن والرعب، وتحولت الذكريات إلى كوابيس، والد أحمد لم يتحمل الفاجعة، وأصيب بنوبات هلع وأمراض نفسية مزمنة، ثم توفي بعد فترة قصيرة، تاركاً خلفه نساءً وأطفالاً يعانون من فقدان الأمان والاستقرار، وما زالت الأسرة تحتفظ بملابس أحمد وإخوته، وصورهم، يتعاملون معها كما لو كانت آخر ما تبقى من أرواحهم، وبعد رحيل المعيلين، باتت العائلة تعتمد على مساعدات الأقارب وبعض الإعانات الإنسانية المتقطعة، واضطر والدهم قبل وفاته إلى بيع ممتلكات شخصية لتأمين الاحتياجات الأساسية.

تطالب عائلة أحمد أولاً بمحاسبة الجناة المسؤولين عن هذه الجريمة، كما تطالب بجبر الضرر مادياً ونفسياً، من خلال تقديم مساعدات إنسانية لعوائل الضحايا، ودعم نفسي خاص لزوجات الشهداء اللواتي يعانين من اضطرابات نفسية شديدة، يقول عمهم: "لقد ذُبح أولاد أخي الأربعة بدم بارد. لم يطلبوا سوى الحياة، فماذا بقي لنا؟ نطالب أن تُوثق قصصهم، أن تُنشر، أن تُخلّد، حتى لا تُكرر الجريمة"، وترى العائلة أن العدالة الحقيقية تبدأ بكشف الحقيقة، واعتراف العالم بجرائم داعش، ومحاكمة مرتكبيها، وليس فقط عبر التعويض، فالصمت المستمر وغياب الاعتراف الرسمي يمثلان إهانة لكرامة الضحايا وذويهم، ويزيدان من أوجاعهم.

القصة 82: حسن محمد التركي

حسن محمد التركي، شاب في الثانية والعشرين من عمره، من مواليد مدينة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، أحد قرى الشعيطات، كان أعزباً، يعمل على سيارة أجرة ينقل فيها المواد النفطية من الكازيات ويبيعها لتأمين دخله اليومي، لم يكن له انتماء سياسي أو عسكري، وكان معروفاً بين أبناء منطقته بأخلاقه العالية، وعلاقته الوثيقة بعائلته التي تتكوّن من والدين وتسعة إخوة وأخوات، وكان مثالاً في المسؤولية، يعمل ليل نهار ليؤمّن لأسرته حياة كريمة وآمنة، وكان حلمه أن يتزوج ويؤسس أسرته الخاصة.

كان حسن يعيش حياة مليئة بالتعب لكن مفعمة بالنية الطيبة، كان يستيقظ باكراً للعمل على سيارته، يحمل الوقود ويبيعه، ثم يعود ليطمئن على والديه وأخواته، كان يعمل في أكثر من مهنة لتأمين دخل إضافي يساعده على تحقيق حلمه، وكان مُحباً لعائلته إلى درجة أن أقاربه وأصدقائه اعتادوا ضرب المثل به في الوفاء والحب، لم يكن يحمل همّاً إلا أن يعيش الجميع من حوله في أمان وسلام، كان يرى في الزواج وبناء بيت دافئ غايته في الحياة، لكن الحرب خطفت هذا الحلم، قبل أن يرى النور.

في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني عام 2014، حوالي الساعة الخامسة مساءً، وبينما كان حسن يصطاد السمك على ضفة النهر، اقتحمت مجموعة من عناصر تنظيم داعش المكان، حاول الهرب والمقاومة بما استطاع، لكنه لم ينجُ، كان دائماً يتحاشى الظهور بسبب تهديد التنظيم، لكنه في تلك اللحظة لم يجد مفراً، تم اعتقاله أمام والدته، وتم اقتياده على يد عناصر مسلحة وسط صدمة الأسرة، ومنذ تلك اللحظة اختفى ولم يُعرف مصيره حتى اليوم، ولا تزال والدته تحتفظ بصورته الأخيرة في ذاكرتها، لحظة سحبه بعيداً عن عينيها وهي عاجزة عن إنقاذه.

بدأت العائلة رحلة البحث عن حسن منذ لحظة اختفائه، كانت والدته الأكثر إصراراً، إذ لم تتوقف يوماً عن السؤال، أو عن التعلق بأي خيط من الأمل، حاولوا التواصل مع ناجين ومفرج عنهم، وقدّموا بلاغات في أكثر من سجن، لكن دون جدوى، زاروا المقابر الجماعية المكتشفة، دون أن يجدوا له أثراً، كل زيارة كانت تعني لوالدته صدمة جديدة، وجرحاً أعمق، العائلة تُركت وحدها في هذا الطريق المظلم، دون أي دعم نفسي أو اجتماعي، وتعرّضت أكثر من مرة لتضليل وإشاعات، منها من قال إنه قتل في الميادين، لكن والدته رفضت التصديق، وما زالت حتى اليوم تنتظره بدموع لا تجف.

كان حسن هو الابن الوحيد للعائلة، والمصدر الأول للحياة داخل المنزل، ترك غيابه صدمة لا يمكن وصفها، خصوصاً على والدته التي دخلت في حالة من الصمت والانهيار، ولم تنطق بكلمة لأيام طويلة، والده تعرض لأزمات صحية ونفسية حادة، وأخواته أصبن بصدمة نفسية ما زالت آثارها واضحة حتى اليوم، لم تفقد العائلة ابنها فقط، بل فقدت روحها وأمانها، ولا يزالون يحتفظون بملابسه وأغراضه كما تركها، ويمنعون أي أحد من تحريك شيء منها، وكأنهم يحمون ما تبقى من وجوده بينهم، وبعد اختفائه، تدهور وضع العائلة المادي، واضطروا لتقليص نفقاتهم إلى الحد الأدنى من أجل البقاء، بعد أن فقدوا من كان يحمل عنهم عبء الحياة.

تطالب عائلة حسن أولاً بمعرفة مصيره، وإن كان قد قُتل، فبأن يتم تسليم جثمانه ليدفن بكرامة، كما تطالب بالاعتراف الرسمي بمجزرة الشعيطات بوصفها جريمة ممنهجة ضد المدنيين، وبمحاسبة كل من شارك في القتل أو التواطؤ مع التنظيم، وتدعو العائلة إلى إقامة نصب تذكاري بأسماء الضحايا ليبقوا في ذاكرة الأجيال، وتختم العائلة رسالتها بنداء: "لا نريد منكم أن تسمعوا قصصنا للتسلية، بل نطالبكم بأن تعملوا من أجل تحقيق العدالة، رواية قصتنا هي أول الطريق، فالصمت يقتل، والكلمة تخلد الذاكرة وتحمي الآخرين من المصير ذاته".

القصة 83: خليف السليمان النقريش

خليف السليمان النقريش، رجل في الأربعين من عمره، متزوج وأب لستة أطفال (ثلاث ذكور وثلاث إناث)، أكبرهم يبلغ من العمر 10 سنوات، وأصغرهم لم يتجاوز السنة، وُلد في العراق لكنه هاجر منذ أكثر من 30 عاماً إلى بلدة أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي، حيث استقر هناك وأصبح من أبنائها، كان يعمل في طاحونة حبوب يملكها، ويُعرف بين أهل البلدة بالتزامه الديني وخلقه الطيب.

كان خليف يعيش حياة ريفية بسيطة، يبدأ يومه في الصباح الباكر بالعمل في طاحونته، ويعود للراحة مع أسرته عند الظهيرة، ثم يعود إلى عمله حتى المساء، كان أباً حنوناً، يقضي وقته في تعليم أطفاله الدين وحثّهم على الصلاة، ومن أبرز ما يتذكره أقرباؤه أنه كان يأخذ ابنه ذي الثلاث سنوات إلى المسجد، ويُعلمه حفظ القرآن الكريم، وحلمه كان واضحاً وبسيطاً: أن يربّي أبناءه على كتاب الله ويشهدهم يكبرون في كنف الإيمان والسكينة.

في يوم 10 آب/أغسطس 2014، حوالي الساعة الخامسة مساءً، وبينما كانت أغلب العائلات في الشعيطات تفر إلى بلدة هجين، قرر خليف البقاء، معتقداً أن التزامه الديني سيحميه من بطش داعش، خاصة أنه لم يحمل سلاحاً ولم يشارك في أي مقاومة، لكن التنظيم اقتحم طاحونته واعتقله، وبعد ثلاث ساعات فقط من اعتقاله، حاول الهروب عندما وصلوا إلى مقر التنظيم، لكنه لم ينجُ، وبعد أيام قليلة، عثرت زوجته عليه جثة هامدة ملقاة في بستان الرمان القريب من منزلهم، رأسه مفصول عن جسده، أصيبت بصدمة هائلة، لكنها وبقوة قلب الأم، دفنته في المكان ذاته، ثم جمعت أبناءها وفرت بهم عبر نهر الفرات إلى منطقة "الدوير" على الضفة المقابلة، هرباً من العقاب الجماعي الذي كان يُهدد من بقي من أهالي الضحايا.

لم تتمكن العائلة من القيام ببحث حقيقي، فقد كانت الزوجة بمفردها، ومعها ستة أطفال، لم يكن هناك وقت للبحث؛ فقد جاء الجواب سريعاً حين وجدت زوجها جثة هامدة، لم تتواصل العائلة مع ناجين أو مفرج عنهم، لأنه لم يُسجن لفترة طويلة، لم تُقدَّم أي بلاغات للجهات الرسمية أو الطبية، ولم تُزر المقابر الجماعية، فقد تم الدفن على الفور، وبشكل سري خوفاً من القصاص.

كان خليف هو حجر الأساس في حياة عائلته، والقدوة التي يستند إليها أبناؤه، وبعد مقتله، تغيّر كل شيء؛ توقفت دروس حفظ القرآن التي كان يحرص عليها لأطفاله، وعمّ الصمت والحزن البيت، زوجته كادت أن تفقد عقلها من شدة الصدمة حين رأت جسد زوجها ملقى في البستان، ومنذ ذلك اليوم، تعاني من اضطرابات نفسية مستمرة، لا تزال العائلة تحتفظ بأغراضه: ملابسه، صوره، مصحفه، وحتى أدواته في الطاحونة، كأنها بقايا روحه، كان خليف هو المعيل الوحيد لعائلته، وبعد موته اضطرت الأسرة إلى بيع الطاحونة وبعض أثاث المنزل، فقط لتتمكن من تأمين أدنى متطلبات الحياة.

تطالب عائلة خليف أولاً بالاعتراف الرسمي بما جرى كمجزرة جماعية ممنهجة ارتُكبت بحق المدنيين في الشعيطات، كما تطالب بمحاسبة المجرمين، وتطالب الأسرة بجبر مادي مباشر، لمساعدتها في استعادة جزء بسيط من استقرارها المعيشي الذي فُقد تماماً بعد الجريمة، كما تطلب الدعم النفسي، خاصة للزوجة التي تعاني من آثار الصدمة منذ أكثر من عقد.

القصة 84: حسين حمود الهويش

كان حسين حمود الهويش يبلغ من العمر 44 عاماً عند اعتقاله في صيف 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لسبعة أبناء (ثلاث ذكور وأربع إناث)، أكبرهم كان يبلغ 22 عاماً وأصغرهم لم يتجاوز العاشرة، عمل حسين لسنوات في السعودية كعامل مغترب، وكان يُعيل أسرته التي تقيم في بلدة أبو حمام بريف دير الزور الشرقي، لم يكن له أي انتماء سياسي أو عسكري، وكان معروفاً بحسن خلقه وطيب معشره.

عاش حسين حياة بسيطة في غربته، يستيقظ مع الفجر لأداء الصلاة ثم ينطلق إلى عمله، ويعود ظهراً ليطمئن على عائلته المقيمة مع والدته، كان يُعرف بين معارفه بصفاء نيته وحنان قلبه، لا يؤذي أحداً، ويساعد الفقراء من ماله كلما استطاع، أحد أفراد العائلة ذكر أنه في مطلع كل شهر كان يُحضّر وجبات ويوزعها على المحتاجين بنفسه، وحلمه كان بسيطاً: أن يرى أبناءه يكبرون في أمان، بعيدًا عن الخوف والمشاكل، وأن يوفّر لهم حياة كريمة.

عاد حسين من غربته برفقة ابنه الأكبر لعقد قرانه على ابنة أخيه، تحقيقاً لحلم طالما انتظره الابن، لكن في أحد الأيام الهادئة، وصلهما خبر دخول تنظيم داعش إلى البلدة، طلبت منه عائلته مغادرة المنزل والنزوح مع بقية الأهالي إلى بلدة هجين، لكنه رفض معتقداً أنه لم يفعل شيئاً يستدعي الأذى، لم يكن يعلم أن الأبرياء هم الهدف الأول، أخذ ابنه الأكبر عائلتهم إلى بر الأمان، ثم عاد لإقناع والده بالرحيل، وبينما كانا في طريق العودة إلى العائلة، تم توقيفهما على حاجز لتنظيم داعش بتاريخ 10 آب 2014، واقتيد الاثنان بقوة من قبل ثلاثة عناصر مسلحين، ولم تُعرف أي تفاصيل عن مصيرهما بعد ذلك.

منذ اللحظة الأولى، بدأت العائلة رحلة البحث عن حسين وابنه، وكان قلبها النابض هو الزوجة التي لم تيأس رغم كل شيء، تواصلت العائلة مع ناجين ومفرج عنهم من سجون داعش، لكن الأجوبة كانت متضاربة: البعض قال إنهما قتلا، والبعض الآخر زعم أنهما لا يزالان في السجن، زارت الأسرة العديد من المقابر الجماعية، لكن دون جدوى، وتُركت العائلة وحيدة في رحلة البحث، بلا دعم نفسي أو اجتماعي من أحد. عانوا من شح المعلومات، ومن الإشاعات والتضليل، وذهبوا حتى إلى سجون العراق للبحث عن أي أثر لهما، دون أن يجدوا شيئاً يُطمئنهم أو ينهي انتظارهم الموجع.

كان حسين هو المعيل الرئيسي والركن الذي تعتمد عليه العائلة، وفقده قلب حياتهم رأساً على عقب، غيابه ترك فراغاً كبيراً ليس فقط في المسؤوليات اليومية، بل في الروح العامة للعائلة، المنزل بات كئيباً، يملؤه الصمت والحزن، زوجته، التي فقدت زوجها وابنها الأكبر في الوقت نفسه، لم تحتمل الصدمة، وأصيبت بأمراض نفسية وجسدية مزمنة، ولا تزال تعاني حتى اللحظة، واحتفظت العائلة بكل ما يخص حسين من صور وملابس وأغراض شخصية، تتعامل معها بحرص وحرمة، وكأنها بقايا روح لا يُفرط فيها، وتدهور الوضع الاقتصادي للعائلة بشدة، فاضطرت لبيع أجزاء من أراضيها وبعض أثاث المنزل لتأمين احتياجاتها الأساسية، وما زال وضعهم المعيشي في تراجع مستمر حتى الآن.

تطالب العائلة أولاً بلجان تحقيق رسمية تساعدهم في معرفة مصير حسين وابنه، وتطالب بمحاسبة الجناة عن هذه الجريمة البشعة التي ارتكبت دون ذنب، وترى الأسرة أن حقها لا يضيع، حتى إن طال الزمن، وتطالب بجبر الضرر المادي عبر تعويض يساعد في إعادة جزء من الاستقرار المعيشي المفقود، كما تطالب بدعم نفسي خاص لزوجته التي لا تزال تنتظر عودة زوجها وابنها كل يوم، ويرون أن التوثيق هو الطريق الوحيد لحماية الذاكرة، وأن رواية القصة تمنع الجريمة من أن تُمحى من الوعي العام.

القصة 85: عبد القهار محمد النايف

عبد القهار محمد النايف، من مواليد بلدة الكشكية بريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 45 عاماً عند اعتقاله في صيف عام 2014 خلال أحداث مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لثمانية أبناء (خمسة ذكور وثلاث إناث)، أكبرهم كان في العشرين من عمره وأصغرهم لم يتجاوز الحادية عشرة، لم يكن عبد القهار منتمياً لأي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يسبق أن شارك في أي نشاط مسلح، وكان يعمل على سيارته الخاصة لتأمين دخل أسرته.

كان عبد القهار يعيش حياة ريفية بسيطة ويعمل في الخليج في مجال البناء، يعود إلى أسرته بين الحين والآخر، وخلال تواجده في سوريا، كان يزرع الخضار الموسمية بنفسه، وعُرف بين أقاربه بطيب قلبه وكرمه، وكان دائماً ما يُقدّم ما يزيد عن حاجته من الخضار للفقراء، وحلمه الأبسط كان أن يعلّم أطفاله العلم والدين والأخلاق، وأن يراهم يكبرون في كنف الكرامة والاستقرار.

في العاشر من أيلول/سبتمبر 2014 عند الساعة السادسة مساءً، وبينما كان عبد القهار في منزله في بلدة الكشكية، رفض مغادرة البلدة مع بقية الأهالي، ظناً منه أن التزامه الديني وأسلوب حياته السلمي سيجعلانه في مأمن من الأذى، لكن عناصر من تنظيم داعش اقتحموا المنزل الذي كان يتواجد فيه، واقتادوه إلى جهة مجهولة دون إبراز أي مذكرة توقيف أو توضيح سبب الاعتقال، تم احتجازه في منزل محلي حوله التنظيم إلى مركز استجواب واحتجاز، ومنذ تلك اللحظة انقطعت أخباره بالكامل.

منذ اليوم الأول لاعتقاله، بدأت العائلة رحلة بحث طويلة وشاقة، حاولت زوجته الوصول إلى مكان احتجازه لكن تم منعها، ولم تحصل على أي معلومة مؤكدة، لاحقاً، وخلال تفتيشهم لعدة مواقع يُشتبه أنها تضم مقابر جماعية، تمكنت العائلة من التعرف على جثته في إحدى المقابر الجماعية بأطراف بلدة أبو حمام، بعدما دلهم بعض المقربين إلى المكان، لكن الحقيقة لم تكن سوى صدمة أخرى: ما تبقى منه كان هيكلاً عظمياً فقط.

غياب عبد القهار كان كمن اقتلع عمود البيت، زوجته وأطفاله عاشوا في عزلة وصمت طويلين، وظهرت على زوجته أعراض صحية ونفسية نتيجة الصدمة والحزن، لم تتلقَ أي رعاية طبية أو دعم نفسي، لكنها ما زالت تحتفظ بكل ما يخصه من ملابس وصور وأغراض شخصية، تتعامل معها وكأنها أمانة لا تمسّ، وكونه المعيل الأساسي، تأثر الوضع المادي للعائلة بشكل ملحوظ، لكنه بقي في حدود "متوسط الحال" بفضل بعض المساعدات المحدودة، دون أن تضطر العائلة إلى بيع ممتلكاتها حتى تلك اللحظة.

تطالب العائلة بدفن لائق لكل ضحايا مجزرة الشعيطات، وتطالب بمحاسبة المسؤولين عن هذه الجريمة، سواء من قيادة تنظيم داعش أو من نفذوا جرائم القتل ميدانياً، وتعبر العائلة عن استعدادها التام للمشاركة في أي مسار عدالة، سواء كان دولياً أو عبر مبادرات وطنية للعدالة والحقيقة، رغم أنها لم تتواصل مسبقاً مع أي جهة حقوقية أو لجنة تحقيق، وتطالب العائلة أيضاً بجبر ضرر معنوي ومادي، من خلال تعويض يخفف وطأة فقدان المعيل، وتخصيص نصب تذكاري أو لائحة بأسماء الضحايا كي لا تُنسى أرواحهم في زحام النسيان.

القصة 86: باسل إبراهيم العسكر

باسل إبراهيم العسكر، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 25 عاماً وقت المجزرة في صيف عام 2014، متزوج وأب لأربعة أطفال (ولدَين وبنتَين) تتراوح أعمارهم بين السنة والسنتين، عمل مزارعاً في أرضه الخاصة، ولم يكن ينتمي لأي جهة سياسية أو عسكرية.

كان باسل مزارعاً نشيطاً، يقضي أيامه بين مزرعته ومنزله، يزرع القمح والخضروات الموسمية، ويعتني بأرضه كما يعتني بأسرته، عُرف بطيب قلبه وهدوئه، ولم يكن من أصحاب المشاكل أو النزاعات، تحكي عائلته عن حادثة بسيطة تعكس طباعه: حين أتلف أبناء أحد جيرانه محصوله، اكتفى بالقول: "الحمد لله على كل حال"، كان يحلم بأن يصبح ابنه الأكبر مزارعاً ماهراً مثله، وكان يخطط لبناء طابق ثانٍ في منزله كي يؤمن راحة عائلته مستقبلاً.

في التاسع من آب 2014، وبينما كان يعمل في مزرعته، بدأت موجة نزوح من مدينة غرانيج باتجاه مدينة هجين هرباً من تنظيم داعش، حاولت عائلته إقناعه بالرحيل، لكنه رفض في البداية، متمسكاً بأرضه، وبعد إلحاح، وافق على المغادرة، لكنه بقي قلباً معلقاً بمزرعته، وفي اليوم التالي، عاد سراً دون علم عائلته لتفقد أرضه، معتقداً أنه لن يُؤذى كونه مدنياً،
وعند وصوله إلى منزله في غرانيج، داهمه عناصر من تنظيم داعش واعتقلوه، بحسب شهادة أحد الجيران الذي رآه يُقتاد معصوب العينين من داخل بيته، لم تتمكن العائلة من التدخل، وبعد عودة السكان إلى البلدة، تم اكتشاف مقبرة جماعية في بادية غرانيج، وكان جثمان باسل من بين الجثث، وتعرفت عليه عائلته من خلال ثيابه، وقد قُتل بطلق ناري في الرأس.

منذ لحظة اختفائه، بدأت العائلة البحث عنه بقلق، حاولت والدته الوصول إلى مركز الاحتجاز، لكن تم منعها من الدخول، وزاروا عدة مواقع يُعتقد أنها تضم معتقلين أو مقابر، بما في ذلك سجون في العراق وحقل العمر النفطي، دون نتيجة، وواجهوا صعوبات عديدة، أبرزها التضليل والإشاعات التي أرهقتهم نفسياً وزادت من ضياع الأمل، وبعد جهد مضنٍ، وفي أثناء عودة الأهالي إلى غرانيج، تم اكتشاف المقبرة الجماعية التي ضمت جثمانه، لتنتهي رحلة البحث بألم وحسرة، ولكن بيقين يُمهّد لطريق العدالة.

شكل فقد باسل صدمة كبيرة لعائلته، فقد كان المعيل الوحيد والمسؤول عن رعاية أطفاله ووالدته المسنة، وبعد موته، خيم الحزن على المنزل، وامتلأ بالصمت والكآبة، تأثرت والدته نفسياً وجسدياً، وأصيبت بضغط دم وسكري مزمن نتيجة الصدمة، بينما انعزل أحد أبنائه وأُصيب باكتئاب أثّر على كامل الأسرة، لم تقم العائلة ببيع أي من أراضيها التي كانت تمثل ذكرى باقية منه، لكنها اضطرت للاستغناء عن بعض الاحتياجات الأساسية، مثل تعليم الأبناء، بسبب تدهور الوضع الاقتصادي، وأصبحت تعتمد بشكل رئيسي على مساعدات إنسانية متقطعة لا تكفي لتلبية الحد الأدنى من المعيشة.

القصة 87: أسود حداوي العلي

أسود حداوي العلي، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 72 عاماً عند مقتله في صيف عام 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لـ14 طفلاً (6 ذكور و8 إناث)، تتراوح أعمارهم بين 6 سنوات وأكثر، كان يعمل مزارعاً، يعتني بأرضه ومحاصيله بنفسه، ويعيش حياة بسيطة مبنية على العمل والرضا.

عاش أسود العلي حياته في الحقل، بين سنابل القمح والخضروات الموسمية، كان يبدأ يومه مع الفجر، يروي أرضه، يعود إلى البيت ليطمئن على أسرته، ويستأنف عمله حتى الغروب، ورغم تقدمه في السن، لم يتوقف عن العمل، وكان يؤمن أن "الأرض لا تخون من يرعاها"، كان معروفاً بهدوئه، صبره، ورضاه العميق بكل ما يأتي من الله، وحين فسد محصول القمح ذات موسم، واكتفى بالقول: "لا بأس"، عُرفت عنه هذه العبارة بين أولاده، الذين كانوا يستشهدون بها كلما واجهوا ضيقاً.

في الثامن من آب 2014، ومع دخول تنظيم داعش إلى بلدة غرانيج، بدأت العائلات بالنزوح إلى مدينة هجين هرباً من المجازر، حاول أبناء أسود العلي إقناعه بالمغادرة، لكنه رفض، كان يعتقد أن كِبر سنه وبراءته من أي انخراط في النزاع سيجعلانه في مأمن، وأصرّ على البقاء لحراسة أرضه وغنمه، وفي اليوم التالي، تسلل أحد أبناء الجيران إلى البلدة سراً ليتفقد الأوضاع، وهناك رأى بعينيه مجموعة من عناصر تنظيم داعش وهم يقتلون أسود العلي في منزله، بطلق ناري مباشر في الرأس، عاد الرجل مذعوراً وأبلغ ابنه الأكبر، الذي حاول الذهاب لاسترداد جثمان والده، لكن تم اعتقاله على الحاجز لمدة شهر قبل أن يُفرج عنه، ولاحقاً، عُثر على جثة أسود العلي داخل منزله، وعليها آثار تعذيب بالإضافة إلى الطلقة القاتلة.

لم تبدأ العائلة رحلة طويلة للبحث، لأن الشاهد أبلغهم مباشرة بما رآه، وتم العثور على الجثة لاحقاً، لكن العائلة لم تلتزم الصمت، تواصلوا مع منظمة حقوقية محلية تُعنى بتوثيق جرائم تنظيم داعش، وقدّموا شهاداتهم، لكنهم لم يتلقوا أي رد أو متابعة رسمية حتى الآن.

كان أسود العلي هو قلب الأسرة وروحها، لم يكن فقط مزارعاً، بل كان الراعي الأبوي لكل من في البيت، وبعد مقتله، تغيّر كل شيء، حلّ الحزن بدلاً من الضحك، غابت الأعياد، وغابت المناسبات، وصارت الحياة تمر بلا لون، أصابت الصدمة والدته – التي كانت ما تزال على قيد الحياة – بأمراض مزمنة في القلب وضغط الدم، وسرعان ما فقدت قدرتها على التحمّل، وتوفيت بعد فترة وجيزة، وأحد أبنائه دخل في حالة من الاكتئاب والعزلة، أثّرت على إخوته، وزادت من حالة الانهيار العام في البيت، ورغم تدهور الوضع المالي، رفضت العائلة بيع الأراضي الزراعية، لأنها كانت وصية والدهم، وذكراه الحية بينهم، لكنها اضطرت إلى تقليص الإنفاق بشكل حاد، بما في ذلك تقليص تعليم الأطفال، والاعتماد على مساعدات إنسانية محدودة بالكاد تكفي لأدنى مقومات العيش.

تطالب عائلة أسود حداوي العلي بمحاسبة الجناة، وبفتح تحقيقات رسمية وشفافة في جرائم تنظيم داعش ضد المدنيين، وترى أن قتل رجل طاعن في السن، لم يرتكب أي جرم، يُعد جريمة حرب مكتملة الأركان، وأن السكوت عنها يعني القبول بها، كما تطالب بجبر الضرر المادي من خلال تعويض يساعد الأسرة على استعادة شيء من الاستقرار، وتطالب أيضاً بالاعتراف الرسمي بالضحية وضمه إلى قوائم الشهداء المدنيين.

القصة 88: ياسر محمد الأحمد

ياسر محمد الأحمد، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 25 عاماً وقت المجزرة في صيف عام 2014، متزوج وأب لطفلين (ولد وبنت) تتراوح أعمارهما بين السنة والسنتين، عمل مزارعاً في أرضه الخاصة، ولم يكن منخرطاً في أي جهة سياسية أو عسكرية، ولم يسبق له أن شارك في أي نشاط مسلح.

كان ياسر يعيش حياة بسيطة، يقضي نهاره في الزراعة بين حقول القمح والقطن التي يعتني بها بنفسه، ثم يعود إلى منزله ليقضي وقته مع أسرته، عُرف بهدوئه وصبره ورضاه بقضاء الله، تروي عائلته حادثة تعبّر عن شخصيته: عندما احترق كامل محصول القمح، قال ببساطة "الحمد لله على كل حال"، دون غضب أو انفعال، وكان حلمه أن يؤسس منزلاً يسعه هو وأهله، وأن يُربي أطفاله تربية صالحة تقوم على الكرم والأخلاق.

في يوم 10 أغسطس 2014، وأثناء عمله في سقي زرعه بأطراف غرانيج، بدأ الهجوم على البلدة من قِبل عناصر تنظيم داعش، قرر العودة إلى منزله للاطمئنان على أسرته، لكن في طريقه أوقفه حاجز للتنظيم عند مدخل البلدة، وتم اقتياده معصوب العينين "للاستجواب"، ولم يعد بعدها إلى منزله، لاحقاً، أخبر أحد الناجين من معتقلات داعش أنه شوهد في مدرسة غرانيج التي حوّلها التنظيم إلى مركز احتجاز، وبعد عدة أشهر، عُثر على جثته في مقبرة جماعية ببادية غرانيج، وقد ظهرت عليها آثار تعذيب وكان رأسه مفصولاً عن جسده. تم التعرف عليه من ملابسه وعلامة مميزة في يده اليسرى.

منذ اللحظة الأولى لاختفائه، بدأت عائلة ياسر رحلة البحث عنه، ذهب والده وأبناء عمومته إلى مقرات التنظيم وحواجزه، لكن دون جدوى، وبعد شهر من اعتقاله، وصلهم خبر من أحد الناجين بأنه ذُبح مع معتقلين آخرين، زار أفراد العائلة المقابر الجماعية، وبذلوا جهداً كبيراً في الفحص والتحقيق، حتى تم التعرف على جثمانه، وفي رحلة البحث واجهت العائلة تضليلاً متكرراً من أشخاص ادعوا معرفة مصيره مقابل المال، ما زاد من الألم والتشويش، قبل أن يتم التأكد من مقتله.

غياب ياسر خلّف ألماً عميقاً في أسرته، فقد كان المعيل الأساسي والمسؤول عن أطفاله ووالديه المسنين، وبعد اختفائه، بات المنزل يغرق في الحزن، وعمّ الصمت أجواءه، والدته لم تتقبل غيابه، وأصيبت بأمراض مزمنة كالضغط والسكر، بينما دخلت زوجته في حالة اكتئاب أثرت سلباً على أطفالهما، ورغم احتفاظهم بأغراضه الشخصية كذكرى، إلا أن غيابه الثقيل لا يُعوّض، اضطرت العائلة لبيع جزء من أراضيها لتغطية بعض النفقات، واستغنت عن بعض الأساسيات، في ظل تراجع حاد في دخلهم، واعتمادهم لاحقاً على مساعدات إنسانية موسمية غير كافية.

تطالب العائلة أولًا بمحاسبة الجناة ومعاقبتهم على الجريمة البشعة التي ارتُكبت بحق ابنهم، وتطالب بجبر الضرر المادي والمعنوي، والاعتراف الرسمي بالضحية ضمن سجلات الشهداء والمفقودين، العائلة تدعو إلى تقديم دعم نفسي خاص لوالدته التي لم تتجاوز صدمتها حتى اللحظة، وتعبّر عن استعدادها الكامل للمشاركة في أي مسار قانوني أو حقوقي، إذا تم فتح باب العدالة، وتؤمن العائلة أن العدالة لا تسقط بالتقادم، وأن التوثيق هو السبيل لعدم النسيان، وردّ الكرامة للضحايا.

القصة 89: أحمد خليل العسكر

أحمد خليل العسكر، شاب في الخامسة والعشرين من عمره وقت اعتقاله في صيف عام 2014، أعزب، يعمل في الزراعة بأرض عائلته في بلدة غرانيج بريف دير الزور الشرقي، لم يكن منتمياً لأي جهة سياسية أو عسكرية، بل كان يعيش حياة بسيطة هادئة بين عائلته وأرضه وأحلامه الخاصة.

كان أحمد يخرج صباحاً ليتفقد زراعته، ثم يقضي نهاره بين أصدقائه، يساعد هذا ويدعم ذاك، لم يكن يتأخر عن تقديم المساعدة لأي شخص من أبناء بلدته، واتسم بشخصية هادئة ومحترمة، وكان يتحلى بالصبر والتفاهم حتى في أقسى لحظاته، ومن المواقف التي لا تنساها عائلته، أنه في أصعب ظروفه، لم يُسمع له صوت غاضب. حلمه الأكبر كان الزواج من فتاة أحبها منذ الطفولة، لكن الحلم قُتل في لحظة، تماماً كما قُتل هو.

أثناء لجوئه مع عائلته إلى بلدة هجين، كان يسكن مع إخوته ووالدته في مدرسة مؤقتة، وفي 10 آب 2014، داهم عناصر تنظيم داعش المكان بحثاً عن شقيقه الأكبر الذي رفض التعاون معهم، فقاموا باعتقال الإخوة الثلاثة دفعة واحدة، دون رحمة أو تفريق، تركت والدتهم خلفهم تبكي وتصرخ وتتوسل أن يتركوا أحدهم، لكنهم لم يعرفوا للرحمة طريقاً، تم إخفاؤهم قسراً، وعندما عادت العائلة إلى بلدتهم بعد فترة، اكتشفوا أن أحمد وإخوته قد دفنوا في مقبرة جماعية في بادية غرانيج، تعرفت والدته عليه من ثيابه وحذائه، وكان مقتولاً بطلق ناري في رأسه.

منذ لحظة اعتقاله، جنّ جنون والدته، وبدأت رحلة البحث عن أحمد في كل اتجاه، طرقوا الأبواب، قدموا بلاغات في كل مكان، لكن لم يسمعهم أحد، زاروا المقابر الجماعية المكتشفة في صحراء أبو حمام، حيث وجدوا هياكل عظمية متناثرة، بقايا جثث نهشتها الحيوانات، تعرفت والدته عليه من بعض ملابسه وساعته، لم تكن العائلة وحيدة في بحثها، بل وقف معهم الأقارب والأصدقاء بكل ما يستطيعون، ولم يشعروا يوماً بأنهم تُركوا لوحدهم، وكان الإصرار على معرفة الحقيقة أكبر من الخوف والخذلان.

لم يكن أحمد هو المعيل الأساسي، لكنه كان أحد أعمدة البيت، وأحد الروابط القوية التي تجمع العائلة، وبعد مقتله ومقتل إخوته، تفككت الأسرة، كل فرد منهم أصبح يعيش في عزلة داخلية وصمت ثقيل، وظهرت أعراض مرضية شديدة على والده الذي بات يعاني من نوبات هستيرية، يكسر فيها أثاث المنزل كلما تذكرهم، ووالدتهم أصيبت بأمراض جسدية ونفسية نتيجة الحزن، ما تزال العائلة تحتفظ بملابس أحمد وساعته وصوره، يتعاملون معها كأنها آخر ما تبقى منه في هذا العالم، لم يكن أحمد من يساهم بالدخل، لكن بعد الفقد أصبح الوضع الاقتصادي للأسرة هشاً، لم يبيعوا ممتلكاتهم، لكنهم قللوا من نفقاتهم لأدنى حد، ووضعهم اليوم مستقر جزئياً رغم الألم.

العائلة تطالب أولاً بمحاكمة الجناة الذين ارتكبوا هذه الجريمة، وتؤكد أن ما حدث مع أبنائهم لا يمكن أن يمر بلا حساب، كما تطالب بجبر الضرر المادي والمعنوي، خاصة أن فقدان الأبناء حطم التوازن النفسي للأسرة، خصوصاً والدتهم التي لا تزال تعيش صدمة الفقد، وتقول العائلة: "إذا أُتيحت لنا فرصة للحديث أمام العالم، فلن نطلب سوى العدالة، ومحاسبة من قتل أبناءنا ظلماً، نطالب باعتراف رسمي بما جرى، ونريد أن نرى نصباً تذكارياً يحمل أسماء الضحايا، حتى لا تُنسى دماؤهم، الصمت يقتل الحقيقة، أما التوثيق فهو ذاكرتنا الوحيدة التي لا تُمحى".

القصة 90: بسام خليل العسكر

بسام خليل العسكر، من مواليد مدينة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 33 عاماً عند اعتقاله في صيف 2014 خلال مجزرة الشعيطات، متزوج وأب لطفلة لم يتجاوز عمرها عشرة أيام آنذاك، خريج كلية الشريعة الإسلامية، وكان يعمل معلماً في المدرسة الابتدائية نهاراً، ومعلّمًا في مسجد البلدة مساءً، حيث كان يعلّم الأطفال القرآن الكريم، مؤمناً برسالة الدين والعلم، كان زاهداً في الدنيا، ينام في الظلام لكي يتذكر ظلمة القبر، وحلمه أن يربّي ابنته تربية صالحة على الإسلام.

كان بسام يعيش حياة ريفية بسيطة ومليئة بالتفاني، لم يكن يملك مصادر دخل سوى عمله في التعليم، وكان يُعرف بتقواه وإخلاصه في خدمة مجتمعه، كرّس حياته للعلم والدين، وكان قريباً من الجميع، هادئ الطباع، لطيف المعشر، لا يعرف الغضب ولا الإساءة، كان حلمه في الدنيا أن يفوز بالآخرة، وأن يرى ابنته تكبر على قيم القرآن والسنة.

بحسب شهادة والدته وزوجته، تم اعتقال بسام من إحدى المدارس في بلدة هجين، حيث لجأ مع إخوته وأحد أعمامه بعد اشتداد الحصار، في تمام الساعة العاشرة صباحاً من يوم 5 أكتوبر 2014، اقتحم عناصر مسلحون تابعون لتنظيم داعش المدرسة، حيث صادفوه وهو يقرأ القرآن بصوت مرتفع، طلبوا منه الانضمام إليهم لتحليل القتل باسم الدين، لكنه رفض بوضوح وثبات، فقاموا باعتقاله مع إخوته وعمه دون أي مذكرة أو تهمة واضحة، واقتادوهم إلى جهة مجهولة، وبعد اختفاء دام أشهر، عُثر على جثمانه في المقبرة الجماعية التي تم اكتشافها في صحراء غرانيج، وتعرّفت والدته عليه من ثيابه، لقد قُتل بطلق ناري في الرأس، وقد دفن مع إخوته الثلاثة في نفس المكان.

بدأت العائلة البحث عنه منذ اليوم الأول لاعتقاله، لم تترك باباً إلا وطرقته، وذهبت إلى كل المقابر الجماعية المكتشفة في غرانيج، حتى عثرت على جثمانه، ومع كل خطوة أثناء البحث، واجهوا صعوبات كبيرة، من نقص في المعلومات، إلى الخوف من التعرض لعقاب التنظيم، لكنهم لم يتوقفوا يوماً عن المطالبة بالحقيقة.

ترك غياب بسام خليل العسكر جرحاً عميقاً في قلب العائلة، لم يكن فقط ابناً، بل كان سنداً لوالديه، وأخاً معطاءً، وزوجاً حنوناً، وأباً لطفلة لم يتسنّ له رؤيتها تكبر، سيطر الحزن على منزله، وتحول البيت إلى صمتٍ ثقيل وكآبة عميقة، والده المسن دخل في حالة اكتئاب حاد، ووالدته رفضت لمس ثيابه أو أغراضه، واحتفظت بها كما هي، وكأنها جزء من روحه، زوجته، التي أصبحت أرملة في أيامها الأولى كأم، انهارت نفسياً بعد فقده، ومع غيابه، اضطرت العائلة لبيع بعض ممتلكاتها، بما فيها الأراضي وأثاث المنزل، لتأمين الحد الأدنى من المعيشة، خاصة في ظل انقطاع مصدر دخلهم الأساسي، وأصبح وضعهم الاقتصادي صعباً، وتحولت حياتهم إلى صراع يومي مع الحزن والبقاء.

تطالب العائلة باعتراف رسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد المدنيين، ومحاسبة كل من شارك فيها، وتؤمن أن العدالة لا تعني فقط العقوبة، بل تشمل الاعتراف بالمأساة، وجبر الضرر المادي والمعنوي، وضمان عدم تكرار ما حدث، وتقول العائلة: "إذا أُتيحت لنا الفرصة للحديث أمام العالم، لن نطلب شيئاً سوى العدالة، والاعتراف بدماء أبنائنا الذين قُتلوا ظلماً، ونطالب بنصب تذكاري يحمل أسماء الشهداء، حتى لا تُنسى جرائم داعش، وحتى تبقى هذه الذاكرة حية في ضمير الإنسانية".

القصة 91: إبراهيم خليل العسكر

إبراهيم خليل العسكر، من مواليد بلدة غرانيج في ريف دير الزور الشرقي، كان يبلغ من العمر 19 عاماً عند مقتله خلال مجزرة الشعيطات في آب 2014، عازب، طالب في الصف الثالث الثانوي، وكان يعمل إلى جانب دراسته في الزراعة لمساعدة أسرته، ولم يكن منتمياً إلى أي جهة عسكرية أو سياسية.

كان إبراهيم يجمع بين الاجتهاد في الدراسة والمساعدة اليومية في أرض عائلته الزراعية، يستيقظ باكرًا ليلتحق بمدرسته، ويعود بعدها ليعمل في الحقل، يزرع القمح والخضروات، ويسقي الأرض بنفسه، رغم صغر سنه، كان يتحمّل المسؤولية ككبير، عُرف بين أهله وأقرانه بهدوئه وتواضعه، وكان محباً للخير، حسن الخلق، لا يرفع صوته، ولا يُغضب أحداً.

في 10 آب 2014، كانت عائلة إبراهيم قد نزحت إلى مدينة هجين بعد اجتياح تنظيم داعش لبلدة غرانيج، لجأ مع إخوته إلى إحدى المدارس هناك، وفي أحد الأيام، خرج ليُحضر قالب ثلج لعائلته، وهناك تم اعتقاله على يد عناصر من تنظيم داعش، خلال التحقيق، ذكر دون قصد أن لديه إخوة في نفس المدرسة، أفرجوا عنه حينها، دون أن يدرك أنهم قد نصبوا له فخاً مميتاً، عاد إلى مقر سكنه، وبعد ساعات قليلة، اقتحم التنظيم المدرسة واعتقل إبراهيم وإخوته الثلاثة، واختفى الأربعة عن الأنظار دون أي توضيح أو محاكمة، وبعد مرور أشهر، وأثناء عودة العائلات إلى بلدتهم، تم العثور على مقبرة جماعية في بادية غرانيج، وتبيّن أن جثث الإخوة الأربعة كانت مدفونة فيها، أُعدموا بطلقات نارية في الرأس، وكانوا قد دُفنوا معاً، في قبر واحد، كأنّ التنظيم أراد أن يُسكت صوتهم في الحياة والموت معاً.

لم تقف العائلة مكتوفة الأيدي، فمنذ اللحظة الأولى، انطلقت في رحلة بحث مضنية عن أبنائها الأربعة، قدّمت بلاغات للجهات الطبية والحقوقية، زارت كل مقبرة جماعية تم الإعلان عنها، وطرقت أبواب جميع السجون المعروفة، لكن دون جدوى، وتعرضت العائلة للكثير من التضليل والإشاعات، ووعود كاذبة من بعض الأشخاص، لكنها لم تيأس، كانت والدته تصرّ على سؤال كل ناجٍ عن أي معلومة، وظلت العائلة تبحث حتى عثرت على الجثامين في مقبرة جماعية ببادية غرانيج، حين عثروا عليهم، لم تكن فقط مأساة الموت، بل مأساة الغدر، والخذلان، والسكوت.

كان إبراهيم، رغم صغر سنه، سنداً حقيقياً لأسرته، يساعد في الزراعة، يعتني بوالديه، ويُخفف عنهم هموم الحياة، وبغيابه، خيّم الصمت على البيت، وتحول إلى مكان يغلب عليه الحزن والترقب والانتظار المؤلم، والدته بدأت تعاني من ارتفاع مزمن في السكر، ووالده انزوى في عزلته، يعاني من اكتئاب شديد، وأخوته، الذين اعتادوا أن يشاركهم إبراهيم كل شيء، لم يستطيعوا التكيف مع غيابه المفاجئ، لا سيما أن ثلاثة من إخوتهم رحلوا معه في ذات اليوم.

تطالب عائلة إبراهيم خليل العسكر بمحاسبة الجناة، وتعتبر أن ما حدث هو جريمة ممنهجة، وأن من قتل أربعة إخوة دفعة واحدة، لم يقتلهم وحدهم، بل قتل روح عائلة بأكملها، كما تطالب بجبر مادي ونفسي للعائلة، تعويضاً عن الألم والخسارة، ودعماً لوالديه وإخوته الذين ما زالوا يعيشون تبعات هذه المجزرة حتى اليوم، وتدعو العائلة إلى إدراج أسماء الضحايا في سجل رسمي، والاعتراف بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد المدنيين، وتطالب منظمات حقوق الإنسان بمتابعة القضية، ودعم العائلات المنكوبة نفسياً واجتماعياً.

القصة 92: عدي خالد البحر للغلاف

عدي خالد البحر، طفل من أبناء قرية أبو حمام في ريف دير الزور الشرقي – إحدى قرى منطقة الشعيطات، وُلد في حارة الصنور، وكان يبلغ من العمر 12 عاماً عند مقتله في صيف عام 2014، عازب، طالب في المرحلة الابتدائية، لم تكن في جيبه سوى أقلامه وممحاته الصغيرة، لكن ذلك لم يشفع له من رصاص التنظيم.

عدي كان ابناً لأسرة بسيطة، والده مغترب في الكويت، ووالدته تزرع الأرض بجوار البيت وتعتني بأطفالهما، كان عدي يذهب إلى المدرسة في أبو حمام كل صباح، يحمل حقيبته وكأنها كنز، لا يفارق محفظته الصغيرة التي يضع فيها أقلامه ومبراة أعطاها له والده، وبعد المدرسة، كان يساعد أمه في سقاية الزرع أو يذهب ليلعب كرة القدم مع أبناء الحارة، وكان يُعرف بين أصدقائه بخفة دمه وابتسامته الدائمة، وكان لا يمل من الركض بين الحقول أو الإصغاء لحكايات جدته قبل النوم.

في 9 آب 2014، اجتاح تنظيم داعش مدن وبلدات الشعيطات، ومنها أبو حمام، في هجوم دموي مروع استهدف المدنيين بوحشية لا تُوصف، وفي الأيام الأولى للهجوم، ومع تصاعد الاشتباكات وظهور الصواريخ والقذائف، حاولت عائلة عدي الهروب من البلدة باتجاه الشعفة أو هجين، لكن التنظيم أقام حواجز على الطرق وبدأ في اقتياد سكان الشعيطات، الكبار والصغار، إلى أماكن مجهولة، عدي، ذو الاثني عشر عاماً، تم اقتياده مع مجموعة من الأطفال والرجال إلى أطراف بلدة البحرة، وبعد أيام، أكدت شهادات ناجين من الاعتقال الجماعي أن عدي قد قُتل رمياً بالرصاص، دون تهمة، ودون محاكمة، ولم تُعثر العائلة على جثمانه حتى اليوم، لكن روايات الناجين حملت معها خبر الفاجعة.

لم تتوقف العائلة عن البحث عن جثة عدي، زاروا كل مقبرة جماعية اكتُشفت في أبو حمام، غرانيج، بادية الكشكية، دون أثر، تواصلوا مع جهات حقوقية وإنسانية، وطرقوا أبواب المستشفيات، دون إجابة، وفي إحدى المحاولات، تواصل معهم محتالون ادّعوا أن عدي لا يزال على قيد الحياة، وطلبوا مالاً مقابل إثبات ذلك، لكن عندما طلبت العائلة دليلاً حقيقياً كفيديو أو صورة، انقطع الاتصال، كان الألم يُعاد بصيغة جديدة: أمل كاذب، ومزيد من الطعنات، وحتى اليوم، ما زالت العائلة تتمسّك بأمل أن يُعثر على رفاته، ليُدفن كما يستحق، لا أن يبقى اسمه معلقاً بين الغياب والقهر.

لم يكن عدي معيلاً، لكن غيابه قصم ظهر البيت، والدته غرقت في صمت طويل لم تنطق خلاله بكلمة واحدة، فيما انهار والده من بعيد، هناك في الكويت، حيث وصله الخبر كصاعقة لا يمكن استيعابها، إخوته وأخواته لم يصدقوا ما حدث، كانت الصدمة أكبر من أن تُفهم، فعدي هو الذي كان يزرع البهجة، يضحك، يركض، يشاكس، ثم يعتذر بوجه لا يُرد، كان آخر ضوء في البيت، وانطفأ.

تمثل قصة عدي خالد البحر مأساة طفل بريء، لم يحمل سلاحاً، ولم يعرف من الحرب سوى أنها اختطفت حلمه وقلمَه ودفتره، فالعدالة، بالنسبة لعائلته، تبدأ من معرفة مكان جثمانه ودفنه بكرامة، ثم محاسبة الجناة الذين قتلوا طفلًا دون ذنب، وشاركوا في تنفيذ أبشع المجازر بحق المدنيين، وتُطالب العائلة بالاعتراف الرسمي بمجزرة الشعيطات كجريمة ضد المدنيين والأطفال، وتحمّل تنظيم داعش، ومن شارك ميدانياً في عمليات القتل، المسؤولية القانونية الكاملة.

القصة 93: حمد حامد الهويش

كان حمد حامد الهويش يبلغ من العمر 18 عاماً عند اعتقاله في صيف 2014، خلال أحداث مجزرة الشعيطات التي ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ، أعزب، يعمل في أرضه الزراعية الخاصة ويربي عدداً محدوداً من الأغنام، ويقيم مع أسرته في بلدة غرانيج بريف دير الزور الشرقي، كان شاباً يافعاً بسيطاً، ينتمي للأرض ويعيش من خيرها، ولم ينخرط في أي نشاط سياسي أو عسكري.

كان حمد يستيقظ يومياً عند أذان الفجر، يصلي، ثم يتناول فطوره الذي تعده له والدته، يقبّل رأسها، ويذهب ليعتني بزراعته الصغيرة، كان معروفاً بحبه لأهله وجيرانه، ملتزماً بدينه، لا يأكل إلا الحلال، يذبح الدجاج بنفسه ليضمن الذبح الشرعي، وكان يحلم أن يغترب في يوم من الأيام، ويؤسس حياة هادئة، يتزوج ممن أحبها منذ صغره، ويبني لها بيتاً في أرضه، لكن هذا الحلم الجميل أُطفئ فجأة.

في العاشر من أغسطس 2014، وكعادته اليومية، خرج حمد لتفقد مزرعته، حين بلغه خبر دخول تنظيم داعش إلى المنطقة، هرع إلى أهله، ورافقهم إلى بلدة السوسة حفاظاً على سلامتهم، ثم خرج لتأمين مكان لائق يقيمون فيه، وبينما كان عائداً، اعترضه حاجز للتنظيم، فاعتُقل بتهمة أنه من الشعيطات، وبحسب شهادات من ناجين من غير أبناء الشعيطات كانوا محتجزين معه، تم تصفيته داخل أحد مقرات التنظيم، ولم يخرج حياً، وبعد أيام، أُعيد جثمانه إلى عائلته، جثة بلا رأس، فقط جسد بارد أُرعبت به قلوبهم وأُحرقت به أمّه التي لم تتوقف عن البكاء منذ ذلك الحين.

بدأت العائلة بالبحث عن حمد فور تأكدهم من اعتقاله، وجاء تأكيد مصيره حين خرج أحد المعتقلين السابقين من أبناء السوسة، وأبلغهم أنه قُتل داخل المقر، حاولت العائلة تقديم بلاغ لأحد المحاكم التابعة للتنظيم، لكن دون جدوى، ولم تزُر العائلة المقابر الجماعية، لأن جثمانه أعيد إليهم مباشرة، وكانت والدته ووالده الأكثر إصراراً على معرفة مصيره، وقد اعتبروا أن عودة جثمانه، رغم بشاعة الحالة، أرحم من العيش على أمل زائف، لكن الجرح ظل مفتوحاً، لأن ما قُتل لم يكن جسداً فقط، بل أحلاماً، ومستقبلاً، وحقاً في الحياة.

كان حمد الابن الثاني في العائلة، لكنه كان الأكثر اهتماماً بالأرض، والأقرب لأمه وأبيه، وغيابه ترك فجوة كبيرة في حياة أسرته، ليس فقط في المهام اليومية، بل في الروح نفسها، تغيّر نمط الحياة داخل المنزل؛ أصبح أكثر صمتاً، أكثر حزناً، وأشدّ وحدة، الوالدان أُصيبا بأمراض مزمنة، منها الضغط والسكري، بفعل الحزن، ما زالت والدته تحتفظ بملابسه وصوره في غرفة خاصة، لا تسمح لأحد بلمسها، لم يكن المعيل الرئيسي، لكنه كان يسهم في دخل الأسرة، ومع رحيله، ضعف دخلهم، لم تضطر العائلة لبيع ممتلكاتها، لكنها قلّلت من نفقاتها للحد الأدنى، وارتفع مستوى العوز، خاصة في ظل غياب الدعم.

تطالب العائلة بمحاكمة الجناة، ومحاسبة كل من ارتكب هذه المجزرة، والاعتراف الرسمي بما حدث، كما تطالب بجبر الضرر المادي، نظراً لتأثير الفقد على معيشة العائلة، والدعم النفسي، خاصةً لوالدته التي لم تتجاوز صدمة فقدانه حتى اليوم، وترى العائلة أن رواية قصتها هي جزء لا يتجزأ من العدالة، لأن الصمت يُنسي، أما التوثيق فيُخلد الذكرى ويمنع تكرار الجريمة، ويريدون أن تبقى مجزرة الشعيطات شاهدة على الظلم، حتى تُقام العدالة، ولو بعد حين.